المخطوط العربي

وشيء من قضاياه

تأليف د. عبدالعزيز بن محمد المسفر

قسم علوم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض



المخطوط العربي

وشيء من قضاياه

المخطوط العربي

وشيء من قضاياه

تأليف

د. عبد العزيز بن محمد المسفر

عضو هيئة التدريس

قسم علوم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض



ص. ب: ١٠٧٢٠ ـ الرياض: ١١٤٤٣ ـ تلكس ٤٠٣١٢٩

المملكة العربية السعودية ـ تلفون ٤٦٥٨٥٢٣ ـ ٤٦٤٧٥٣١

ردمك : ٦ ـ ٤٦٣ ـ ٢٤ ـ ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى زوجتي.. شريكة حياتي

إلى أحبتي.. فلذات كبدي:

خالد، ومحمد، وعبد الله، ولولوه

إلى أبنائي وبناتي طلاب وطالبات التخصص

إلى إخواني الأفاضل زملاء المهنة

إليكم جميعا أهدي هذا الكتاب.

المحتويـــات

إهـــداء ٥

تقديـــم ٩

البـاب الأول

الفصل الأول: الكتابة: نشأتها وتطورها ١٣

الفصل الثاني: أدوات الكتابة: ٢٥

- أولًا: الأدوات التي يُكتب عليها ٢٥
- ثانياً: الأدوات التي يُكتب بها ٣٠

الفصل الثالث: الإصلاحات في الكتابة العربية: ٣٥

- الإصلاح الأول ٣٥
- الإصلاح الثاني ٣٦
- الإصلاح الثالث ٣٩

الفصل الرابع: إنتشار الخط العربي وتطوره: ٤١

- أولًا: اللغات التي كتبت بالخط العربي ٤١
- ثانياً: أشهر أنوا ع الخط العربي ٤٣
- ثالثاً: أشهر أعلام الخط العرب: ٥٧

إبن مقلة ـ إبن البواب ـ ياقوت المستعصمي ٥٧

مراجع الباب الأول ٥٩

البـاب الثاني

الفصل الخامس: تعريف المخطوط ٦٧

الفصل السادس: صناعة الكتاب العربي المخطوط: ٧١

- أولًا: التأليف والإملاء ٧١
- ثانياً: الترجمـــة ٧٥

الفصل السابع: الوراقة والوراقون ٨١
الفصل الثامن: ملامح الكتاب العربي المخطوط ٨٥
الفصل التاسع: المخطوطات العربية في العالم ١٠٧
الفصل العاشر: صيانة المخطوطــــات ١١٥
مراجع الباب الثاني ١٢٩

البـــاب الثالث

الفصل الحادي عشر: الفهرسة والتصنيف: ١٣٧
- فهرسة المخطوطات ١٣٨
- تصنيف المخطوطات ١٤٨
- الأشكال المشهورة لفهارس المخطوطات ١٤٩

الفصل الثاني عشر: المصادر والمراجع التي ينبغي توفرها في مكتبات المخطوطات: ١٥٧
- أولاً: كُتب التراجــــم ١٥٧
- ثانياً: الفهارس والببليوغرافيا ١٦٣

الفصل الثالث عشر: تحقيق الكتاب العربي المخطوط ١٦٩
- أولاً: جمع النُسخ ١٧٠
- ثانياً: مراحل التحقيق ١٧١
- ثالثاً: الإعداد النهائي للطبع ١٧٣

مراجع الباب الثالث ١٧٤

البـــاب الرابع

الفصل الرابع عشر: لوحات مختارة في الخط العربي ١٧٧
- فهرس الأشكال والنماذج واللوحات المختارة في الخط الغربي ١٩٣

مراجع الكتاب: ١٩٧
- المراجع العربية ١٩٧
- المراجع الأجنبية ١٩٧

تقديم

الأمة العربية الإسلامية من أعرق الأمم التي خلَّد التاريخ حضارتها القديمة، وتراثها العظيم؛ إذ خلَّفت من الآثار والمقتنيات الشيء الكثير مما يشهد على سمو هذه الأمة، ورقيها، وإزدهار حضارتها المادية والفكرية.

والكتاب العربي المخطوط بما يمثله من الناحية الفكرية المتطورة، هو نتاج تلك الحضارة، التي شهد العالم على عظمتها، وسمو مكانتها. فلقد ترك لنا قدماء العرب المسلمين ملايين الكتب في مختلف ميادين الثقافة والعلوم؛ إلاّ أن معظم هذا التراث المدون قد ضاع عندما ضعفت دولة الإسلام، وأخذت تتفكك وتنهار لأسباب عديدة لعل من أهمها الفتن، والنزاعات الداخلية، والحروب الخارجية، والتي كان أكثرها قساوةً، وشراسةً، وتأثيراً تلك الهجمات التي شنها التتار والمغول من الشرق، والصليبيون من الغرب؛ إذ كلها عاثت في بلاد العرب والمسلمين نهباً، وحرقاً، وتدميراً؛ فلم تبقِ من التراث المخطوط إلاّ القليل مما لم تصل إليه أيديهم القذرة الحاقدة.

وبما أن الكتاب العربي المخطوط يُمثِّل جانباً هاماً من الجوانب المضيئة لحضارة أُمتنا الخالدة وثقافتها العريقة؛ فقد أخذت كثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية تتسابق في البحث والتنقيب عما بقي من هذا التراث المخطوط في محاولاتٍ جادةٍ، رائدةٍ ومخلصةٍ، بُغية جمعه سواء عن طريق الشراء، أو التصوير، أو الإهداء، أو التبادل؛ فتكونت ـ ولله الحمد ـ مراكز كثيرة في العالم العربي بصفة عامة، وفي المملكة العربية السعودية بصفةٍ خاصة؛ كلها تُعنى بالمخطوط العربي والإسلامي؛ حيث عملت ولا تزال تعمل جاهدةً للتعرف على أماكن هذا التراث المدون، والعمل ما أمكن على لمِّ شتاته. وقد تكللت جهود هذه المراكز ـ بعون من الله وتوفيقه ـ بالنجاح في تحقيق الكثير من أهدافها؛ إذ أصبح بعض هذه المراكز يقتني عشرات الآلاف من المخطوطات الأصلية والمصورة؛ كما قامت بإتاحتها للباحثين والدارسين بُغية الإستفادة منها، وتعميم نفعها.

وتجاوباً مع اهتمامات مراكز المخطوطات هذه، فقد أخذت أقسام المكتبات في الجامعات العربية على عاتقها مسؤولية تخريج أخصائيين، مزودين بخلفية جيدة في مجال المخطوطات

وكيفية التعامل معها؛ سواء من حيث طرق الحفظ، أو التنظيم، أو الحماية والصيانة، أو الخدمات التي ينبغي توفيرها للباحثين، المهتمين بدراسة وتحقيق المخطوطات العربية.

وبما أني أقوم منذ أكثر من ثمان سنوات بتدريس مقرر عن المخطوطات العربية، في كل من قسم علوم المكتبـات والمعلومـات بكلية الآداب بجـامعة الملك سعود، وقسم المكتبات بكلية الآداب، التابعة لوكالة كليات البنات بالرياض؛ فإنه يُمكن القول بأني لم أجـد ـ والحق يُقـال ـ كتاباً واحداً من الكتب التي تناولت موضـوع المخطوط العربي بالدراسة والبحث إلاّ وكان يتنالوه من زاوية محددة، أو زوايا ناقصة تحتاج إلى إستقصاء لسد الثغرات، ويلبي احتياجات المادة العلمية لطلاب وطالبات التخصص. من هنا كان على دارسي ودارسات المقرر الغوص في بحور كثير من المراجع من كتب ودوريات، وبـذل جهـود كبـيرة تأخـذ الكثير من وقتهم، بهدف البحث وجمع المعلومات المشتتة، واستكشـاف الحقـائق التي تـتطلبهـا الدراسة؛ وهي مراجع قد لا يتسع الوقت لديهم للبحث عنها؛ أو قد لا تكون أيضاً متوفرة في المكتبات.

من هذا المنطلق رأيت أن أتناول هذا الموضوع الهام، وأن أقوم بمحاولة لعلها تُسدي خدمة لطلاب وطالبات التخصص، ألا وهي جمع أكبر قدر مما قد يحتاجونه من معلومات تصب في خدمة مقرر المخطوط العربي في كتاب واحد يسد النقص، ويحقق الهدف. وقد بذلت قصارى جهدي أن يكون التناول في تسلسل منطقي، ومتدرج؛ ضمن مجموعة من الأبواب والفصول؛ خالية من الحشو الممل، أو التقصير والحذف المخل؛ مدعومة بالكثير مـن الأشكال، والنماذج، واللوحات الخطية التي رأيت ضرورتهـا وأهميتها.

ولست هنا أزعم بأنني قد أوفيت الموضوع كامل حقه، فالكمال في كل شيء صعب المنال؛ ولكنها ـ كماسبق وقلت ـ محاولة، أرجو أن أكون قد وُفقت فيها.

ولا يفوتني في الختام أن أتقدم بالشكر ـ بعد شكر الله عزّ وجل ـ لأخي وزميلي الفاضل الأستـاذ الـدكتـور يحيى بن محمـود جنيد «الساعاتي»؛ الذي لم يبخل عليّ بنصح، أو توجيه، أو مشورة؛ كما أمدني بالعديد من المراجع القيمة التي ـ لاشك ـ قد أثرت هذا الكتاب، وساعدت على إخراجه بصورة أراهاـ من وجهة نظري ـ مرضية. فله جزيل الشكر، وعظيم الإمتنان.

ختـامـاً أحمد الله تعالى أن مكنني من إخراج هذا الجهد المتواضع إلى حيز الوجود؛ سائـلاً العـلي القـدير أن ينفـع به، وأن يجعله محققـاً للأهـداف التي سعيت إليهـا؛ ألا وهـي خدمــة طلاب وطــالبــات التخصص ؛ ومـا التـوفيق إلاّ مـن عنـد الله.

البـــاب الأول

الفصل الاول الكتابة نشاتها وتطورها

الفصل الثاني: أدوات الكتابة

الفصل الثالث: الإصلاحات في الكتابة العربية

الفصل الرابع: إنتشار الخط العربي وتطوره

مراجع الباب الأول

الفصل الأول

الكتابة: نشأتها وتطورهـا

يُقـال بأن الأمم القـديمـة، العربية وغير العربية لم تكن قبل ظهور الأبجدية أو ما يُسمّى ـ أحيانا ـ بالألفبائية تُدون بالحروف المتعارف عليها؛ بل كانت تستخدم الرسم أو التصوير. يقول محمد طاهر كردي: «. . . إختلفت الشعوب في الطريقة التي صوّروا بها أفكارهم، ودونوا بها أخبارهم؛ فمنهم من رسم أفكاره رسماً حقيقياً فعبّر عن الإنسان برسم الإنسـان، وعن الجبـل برسم الجبـل. . . ، ومنهم من عبّر عـن أفكـاره بطريقة أُخـرى رمزية. . . وهـي التـي تقوم على إستخدام الأدوات، والأجسام للدلالة على شـيء مرتبط بها. . .»[1]

فالكتابة التصويرية، والتي وُجدت أمثلة منها على جدران الكهوف والمعابد والصخور وجـذوع الأشجار، هي إذن أول وسيلة إستخدمها الإنسان لتدوين أفكاره. ومع أنها كانت محدودة؛ تُعبِّر عن أشياء معروفة وواضحة؛ إلاّ أنّها تُعد الأساس الذي إستند إليه تطور الكتابات في العصور اللاحقة.

بعـد أن نمت المجتمعـات وتـطورت، أدرك النـاس عجز هذا الأسلوب، أو هذه الوسيلة البدائية عن مواكبة هذا التطور، وبالتالي التعبير الكامل عن المفاهيم والمعطيات الجـديدة في حياتهم الإجتـماعية؛ فطوّروهـا إلى ما يُسمّى بالكتـابـة الـرمـزية، أو الإصطلاحية؛ وهي التي تقوم على إستخدام رموز معيّنة للتعبير عن فكرة معينة مرتبطة بها؛ فلم تعدُ العين تُعبر عن العين فقط، بل قد تعني البصر أو النظر؛ والقدمان، أو السـاقـان قد تُعبِّران عن المشي؛ والنجمة قد تُعبِّر عن الليل أو الظلام؛ والشمس عن الضـوء أو النهـار. . . الـخ. يقول مجيد خان في كتابه (نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية): «لقد توصل العرب الأصليون (البدو القدامى) في المملكة العربية السعودة إلى وسيلة إتصال تصويري؛ أعقبه نظام الإتصال التصويري الرمزي، والذي قاد في النهاية إلى الوصول إلى أصل الكتابة»[2]. وفي موضع آخر من دراسته المسحية لنقوش

الفن الصخري القديم في المملكة العربية السعودية يقول: «وبالنسبة لمرحلة ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية فإنه يتضح أن هناك نظام إتصال وتسجيل للمعلومات وغيرها عن طريق الأشكال الرمزية. . . ؛ وأنه ربما يكون نظام الإتصال التصويري الرمزي الذي سبق نشأة الكتابة العربية»(٣). ثم إستنتج مجيد خان بعد إستعراضه لأشكال عديدة لرسومات عربية قديمة، آدمية وحيوانية بأن عرب الجزيرة لم يستعيروا أبجديتهم من أيِّ مصدر خارجي؛ إذ يقول: «إن ظهور الأشكال العودية، وأطرافها التخطيطية في أبجدية الجزيرة العربية القديمة مثل: الثمودية، المسند الجنوبي والمسند الشمالي، يدعم الطرح بأن إنسان ما قبل التاريخ في الجزيرة لم يستعرها من أيّ مصدر خارجي. . .، وأنه كان يستخدمها كوسيلة للإتصال؛ وهو ما يعرف بالنظام التصويري ـ الرمزي، والذي نُطلق عليه هنا «البادية القديمة» (وهو نظام الكتابة الخاص بالعرب القدامى) للدلالة على نظام إتصال إنتقالي يسبق في تاريخه الكتابات العربية المعروفة»(٤).

إن الصور والرسوم الرمزية تُستخدم حتى في أيامنا هذه، لتعطي بعض الدلالات؛ فللمعاقين ـ مثلاً ـ رمز خاص بهم؛ كما أن رجال المرور يضعون في الشوارع وعند بعض التقاطعات وبعض الأماكن الأخرى كالمدارس والمستشفيات لوحات قد تخلوا من الكتابة، إلاّ أن الرمز الذي تحمله مفهوم من قبل معظم الأفراد وخاصة سائقي السيارات.

من أشهر وأهم الكتابات الرمزية التي استطاع العلماء فهمها، الكتابات الهيروغليفية المصرية؛ أو ما يُسمّى بالقلم المصري القديم؛ والتي خلّفها المصريون القدماء، ولازال بعضها باقٍ منذ أكثر من خمسة آلاف عام؛ وكذلك الكتابات الصينو ـ تبتيه، التي استُخدِمتْ في الحضارة الصينية القديمة.

إن البحث عن تاريخ الكتابة منذ نشأتها، والعثور على معلومات مفيدة وصحيحة صعب جداً؛ بل قد يكون ضرباً من المستحيل؛ إذ لم يُعثر حتى الآن على مصادر يُمكن الوثوق بها، والإعتماد عليها إعتماداً كلياً فيما يتعلق بنشأة الكتابة، ومن وضعها. أمّا ما تنقله الروايات التي نجدها في بعض الكتب فليست إلاّ إجتهادات، وإفتراضات متضاربة لا ترقى إلى التسليم المطلق بصحة معلوماتها.

من هُنا يُمكن القول بأن الروايات التي بين أيدينا لم تتفق على أول من وضع الكتابة. لقد ذهب بعض المؤلفين العرب القدامى والمحدثين إلى القول بأن الكتابة موجودة منذ عهد آدم عليه السلام وأنه أول من كتب الكُتب مستندين في ذلك على قوله تعالى:

﴿وعلم آدم الأسماء كُلها. . . .﴾ ؛ غير أن هذه الآية الكريمة لا تُؤكد وجود الكتابة منذ ذلك العهد.

ممن يؤيد الرأي القائل بوجود الكتابة منذ ذلك الحين، القلقشندي، والنويري، وبن عبد ربه. يقول صاحب كتاب (صبح الأعشى) : «قيل إن أوّل من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام؛ . . . وذلك قبل موته بثلثمائة سنة. . . ؛ وقيل أخنوخ (وهو إدريس عليه السلام)؛ وقيل إنها أُنزلت على آدم عليه السلام في إحدي وعشرين صحيفة. . . »[٦]

ويُورد النويري كلاماً مشابهاً حيث يقول: «وقد ورد في المعارف أن حروف المعجم أُنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة»[٧].

ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً بن عبد ربه إذ يقول: «أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلثمائة سنة؛ كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ماكان أصاب الأرض من الغرق وجد كُلُّ قوم كتابهم فكتبوا به؛ فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب». [٨]

ولكن ابن خلدون لايؤيد الرأي القائل بأن أصل الخط والكتابة إلهي توقيفي، بل يرى أنها من صُنع الإنسان؛ فهو يقول: «إن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وأنها من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان». [٩]

ومما يؤيد ما ذهب إليه بن خلدون ما ذكره النديم، والقلقشندي في رواية عن بن عبّاس رضي الله عنهما مفادها أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان؛ وهي ـ أي بولان ـ قبيلة من طي، نزلوا مدينة الأنبار، وهم: مرامر بن مره، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، إجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية؛ فأما مرامر فوضع الصور ـ أي صور الحروف ـ، وأمّا أسلم ففصل ووصل، وأمّا عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقل هذا العلم إلى مكة وتعلّمه من تعلمه، وكثر في الناس وتداولوه. [١٠]

وهناك رأي آخر يقول بأن الذي وضع الخط العربي وألّف حروفه ستة أشخاص من بني المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين، من طَسْمٍ؛ وكانت أسماؤهم: أبجد، وهوّز، وحطّي، وكلمن، وسعفص، وقرشت؛ وأنّهم وضعوا الكتابة والخط على أسمائهم؛ فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها

(الروادف)، وهي: الثاء، والخاء، والذال، والضاد، والظاء والغين؛ وهي مجموعة في كلمتي (ثخذ ضظغ)[١١].

الشيء الذي تؤكده كثير من المصادر هو أنّ الفينيقيين، والذين كانوا يسكنون سواحل بلاد الشام، هم الذين إخترعوا أول ابجدية عرفها العالم؛ وذلك قبل حوالي ألف وسبعمائة عام قبل الميلاد. وكانت أبجديتهم تتألف من إثنين وعشرين حرفاً؛ وقد علموها لغيرهم ممن عاصرهم من الأمم؛ ومن هؤلاء إنتشرت في الأمم الأخرى. إنها المرحلة الثالثة بعد الصورية والرمزية؛ وتُسمى هذه المرحلة بمرحلة الكتابة الصوتية؛ لأنها تقوم على كتابة الكلمات بحروف معينة وفقاً لطريقة لفظها.

إذن فالشعوب مدينة للفينيقيين بهذا الفضل؛ حتى وإن كانت هذه الشعوب قد طوّرت، أو حوّرت أو كيّفت أبجديتها بما يناسبها. فالعرب ـ مثلاً ـ طوّرا أبجديتهم وزادوا حروفها حيث أصبحت ثمانية وعشرين حرفاً؛ وكذا فعل غيرهم.

مما سبق يُمكن القول بأن الكتابة المعروفة الآن في العالم نشأت في مصر طبقاً للصور والرموز الهيروغليفية؛ ثُمّ حوّلها الفينيقيون إلى الحروف الهجائية. يقول الكردي: «إن الفينيقيين علموا اليونانيين الحروف الهجائية، وذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد؛ وللآشوريين بعد ذلك بقليل، وعُرفت بالحرف الآرامي؛ ومن الحروف اليونانية القديمة تولدت جميع الخطوط الإفرنجية التي يكتب بها أهل أوربا وأمريكا وكثير من مستعمراتها؛ ومن الحرف الآرامي تولدت الخطوط التي تُكتب بها اللغات الشرقية، وأكثرها إنتشاراً الخط العربي ـ أي الحرف العربي ـ»[١٢].

ومثلما كانت الأقوال عن تاريخ الكتابة العربية متضاربة فإن الأقوال عن الجذور التاريخية للخط العربي، والتطورات التي مرّ بها هي الأخرى كانت أيضاً موضع إختلاف وإجتهاد. فللعلماء في أصل الخط العربي نظريات مختلفة قديما وحديثاً. فهناك النظرية القديمة التي تقول بأن أصل الخط إلهي توقيفي؛ أنزله الله على آدم عليه السلام؛ بينما يرى آخرون بأن الخط العربي مشتق من الخط المسند الحميري لقبيلة حمير، والتي كانت تقطن اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث كانت لحمير حضارة عريقة، ودولة قوية جعلتها تفرض سلطانها السياسي، وبالتالي الثقافي والتجاري على بعض الشعوب العربية الشمالية؛ وأن هذا تم أيضا نتيجة للهجرة بين الجنوب والشمال؛ وللترابط الذي نشأ بين عرب الجنوب وعرب الشمال.

ويؤيد هذه النظرية عدد من العلماء القدامى والمحدثين؛ فمن القدامى بن إسحاق وبن هشام في (السيرة النبوية)[١٣]، وبن خلدون في (كتاب العبر)؛[١٤] ومن المحدثين تركي عطية عبود الجبوري في كتابه (الخط العربي الإسلامي).[١٥] إلاّ أن هذه النظرية تلقى معارضة قوية من كثير من الباحثين المحدثين. يقول محمد ماهر حماده: «وقد أثبتت دراسة النقوش المكتشفة في بلاد الشام والعراق وشمال الحجاز، مع ما وصل الينا من نقوش حميرية عدم وجود أية صلة بين الخطين؛ كما دلت الدراسات المقارنة على أن الخط العربي لم يقتطع من الخط المسند الحميري أو فروعه. . .» ثم يقول: «وأغلب الباحثين المحدثين هم في جانب رفض هذه النظرية الجنوبية للخط العربي رفضاً قاطعاً»[١٦].

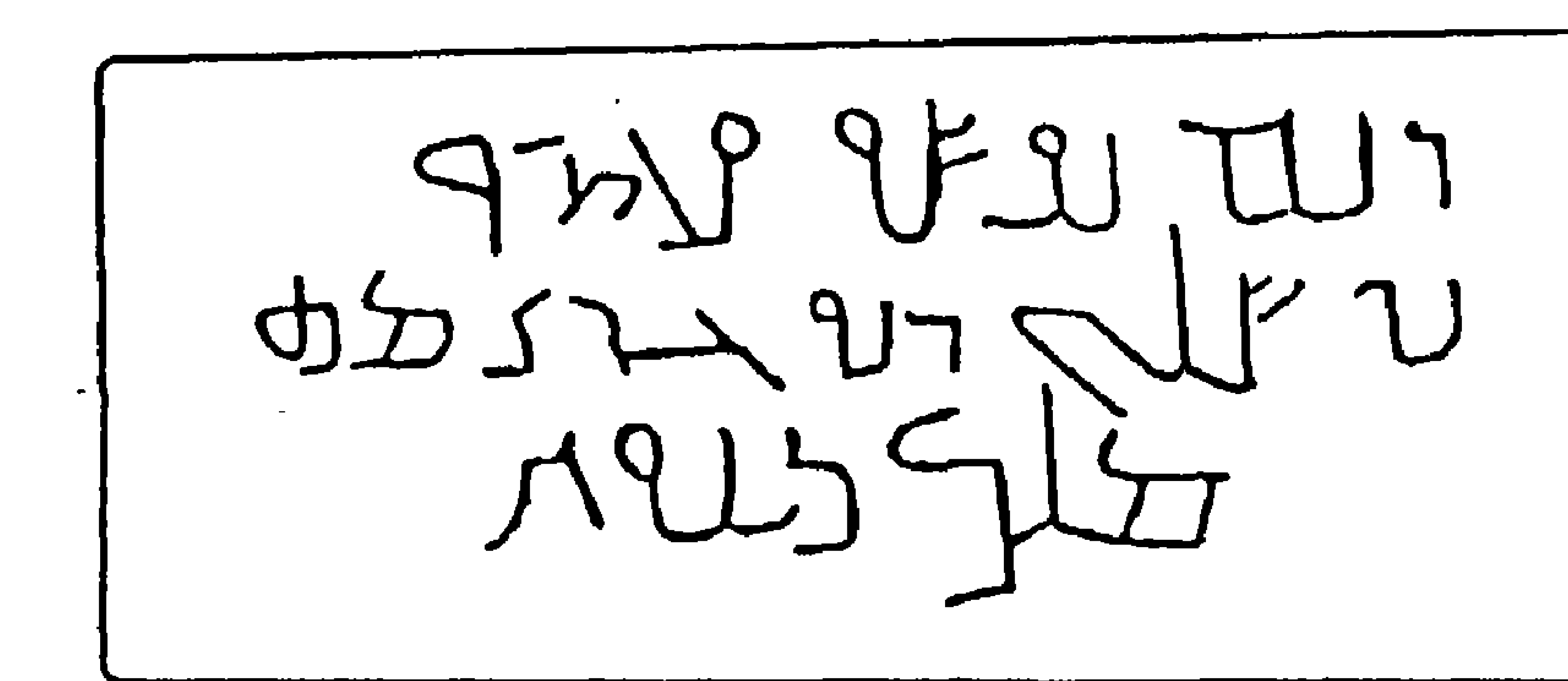
وهناك رأي ثالث يؤيده عدد آخر من المؤرخين القدامى والمحدثين، يُرجع أصل الخط العربي إلى الأصل الحيري الأنباري. ممن يذهب إلى هذا الرأي البلاذري في كتابه (فتوح البلدان)[١٧]، والنديم في (الفهرست)، وبن عبد ربّه في (العقد الفريد). وقد ورد في كتاب (الخط العربي من خلال المخطوطات) ما نصه: «كانت بلدتا الحيرة والأنبار في العراق قبل الإسلام المركزين الرئيسيين اللذين إنبعث منهما تعليم الكتابة الخطية للجزيرة العربية»[١٨]. ويقول حسين قاسم وحسين أمين في كتابهما (أثر العرب): «إن العرب تدين للحيرة بمعرفة فنها في الكتابة، ذلك الفن الذي انتقل من الحيرة والأنبار إلى الحجاز». [١٩]

إن علماء الإفرنج الذين كانوا قد أيدوا النظرية الأولى بأن الخط والكتابة من وحي إلهي أُنزل على آدم عليه السلام، ما لبثوا أن خالفوها بعد أن توصلوا إلى ما يرونه وسائل مادية تثبت أصل الخط العربي، وأنه مُشتق من الخط النبطي الذي أُشتق بدوره من الخط الآرامي. لقد قام عدد من المستشرقين برحلات علمية عثروا خلالها على نقوش وكتابات تحمل إسم جماعة تُعرف بـ (النبط) كانت تسكن مدين وماجاورها من الأجزاء الشمالية لشبه الجزيرة العربية؛ ومن ثم قاموا ـ أي المستشرقون ـ بقراءة هذه النقوش والكتابات؛ ودرسوها دراسة جيدة ومتمعنة، فتبين لهم أن الخط العربي تطور عن الخط النبطي «أنظر الشكل رقم ١».

يؤيد هذا الرأي قاسم أحمد السامرائي الذي يقول بأن هذا ما تؤيده الدراسات الأثرية للفخاريات التي عُثِر عليها، والأطلال التي لم تزل قائمة في شمال غرب الجزيرة العربية وجنوب الأردن، حيث سكن الأنباط العرب، وأقاموا فيها حضارة إستمرت قروناً طويلة. [٢٠]

أما إدخال الكتابة إلى مكة المكرمة حيث تُقيم قبيلة قريش، فهناك الرأي الذي أُشير إليه سابقاً عن قصة الرجال الثلاثة من قبيلة طي؛ غير أن هناك مصادر تُشير إلى أن أول من أدخل الكتابة إلى مكة هو أبو قيس بن عبد مناف بن زهره؛ ولكن غالبية المصادر التي بحثت هذا الموضوع تُشير إلى أن أول من أدخلها إلى مكة هو حرب بن أُميّة بن عبد شمس القُرشي، جد معاوية بن أبي سفيان؛ والذي يُقال بأنه ـ أي حرب ـ تعلمها أثناء أسفاره من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك.(٢١)

من المؤكد أن عرب الجاهلية كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة؛ ومن أهم المصادر التي تثبت ذلك القرآن الكريم، حيث ورد هذا التأكيد في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾**(٢٢)، وقوله: **﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بُكرة وأصيلا﴾**(٢٣). وكما في قوله تعالى حول إنكار العرب رسالة الإسلام عند ظهورها حين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُنَزِّل عليهم كتاباً من السماء يقرأونه: **﴿... ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...﴾**(٢٤)



شكل رقم (١): نقش نبطي على قبر فهر في أم الجمال؛ يعود تاريخه لسنة ٢٥٠م.

تفسير هذا النقش هو:

١ ـ دنه نقشو فهرو	(هذا قبر فهر)
٢ ـ بن شلي ربو جذيمة	(إبن شلي مربي جذيمة)
٣ ـ ملك تنوخ	(ملك تنوخ)

هذا النقش ـ كما أُشير أعلاه ـ يعود إلى سنة ٢٥٠م؛ وهو تارخ بدء إستعمال الخط النبطي عند ملوك العرب.

أيضاً هناك كتابات قديمة منقوشة بحروف عربية، أو قريبة من الصورة العربية، عُثر عليها في شمال الحجاز، وعلى طريق القوافل إلى دمشق؛ مثل نقش النمارة، ونقشي أُم الجمال، وغير ذلك من الكتابات المنقوشة، التي أشارت المصادر التاريخية إليها. «أنظر الأشكال رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤».

مما سبق يتبين لنا أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وإنْ على نطاق ضيق؛ ولعل ذلك يرجع لإسباب قد يكون من أهمها كثرة حِلِّهم وترحالهم، للتجارة وغيرها؛ كذلك قلة أو لنقل ندرة الأدوات، أو المواد التي يُمكن الكتابة بها أو عليها.

تُحاول بعض المصادر أن تصف عرب الجاهلية بالأميين؛ أي بجهل القراءة والكتابة بشكل مطلق؛ وتصورهم على أنهم بدو رُحَّل، يعتمدون فقط على الذاكرة في حفظ وتسجيل تُراثهم؛ فمثل هذا القول، أو الإدعاء إنما هو في الحقيقة ظلم لهم، وتجنٍ على حضارتهم التي لازلنا حتى وقتنا الحاضر نكتشف آثارها يوماً بعد يوم. يقول القرطبي: «قال بن عباس: الأميون هم العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب».[٢٥]

صحيح أن لفظ «الجاهلية» مشتق من الجهل الذي هو ضد العلم؛ لكن هناك من يرى أن المقصود به ـ بالنسبة لعرب الجاهلية ـ الجهل الذي هو ضد الحلم؛ والدليل على ذلك قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته :ـ

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٢٦]

أما ماورد في القرآن الكريم من وصف للعرب قبل الإسلام بالجاهلية، كما في قوله تعالى: ﴿**أفحُكم الجاهلية يبغون**﴾[٢٧]؛ وقوله تعالى: ﴿**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . .**﴾[٢٨] ففُسر على أنه يُقصد به أنهم في ضلالة عمياء، نتيجة الظلم، وضياع الحقوق، وممارسة العادات السيئة، وإرتكاب المحرمات التي نهى الله عنها كعبادة الأصنام، وشُرب الخمر، ولعب الميسر، ووأد البنات، وغير ذلك مما كان يمارسه عرب الجاهلية. فهذا الوصف الإلهي لهم بأنهم أهل جاهلية إنما جاء نتيجة أفعالهم وتصرفاتم، حتى وإن كانوا أهل فصاحة وبيان، ومعرفة بالقراءة والكتابة؛ بل إن هذا الوصف ـ أي الجهل ـ يُستعمل في وقتنا الراهن ـ أحياناً ـ حينما يُطلق على الشخص الذي يتصرف تصرفات غير سليمة، أو يتفوه بكلمات أو عبارات نابية، أو يُفسِّر الأشياء تفسيراً خاطئاً؛ حتى وإن كان يجيد القراءة والكتابة، أو يحمل الشهادات الدراسية، فيُقال عنه إنه جاهل.

النص الذي في الشكل رقم (٢) هو ما يُسمى بنقش النمارة؛ في جبل الدروز من بلاد الشام. يعود تاريخه إلى سنة ٣٢٨م؛ ويُعتبر النص العربي الأول. هذه الكتابة العربية النبطية وُجِدت على قبر إمريء القيس أحد ملوك لخم.

الشكل رقم (٢)

يقرأ النقش بلغة اليوم هكذا:ـ

١ ـ هذا قبر امريء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج

٢ ـ ملك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم جميعاً وهزم مذحجا بقوته وقاد

٣ ـ الظفر إلى مشارف نجران مدينة شمر وملك معدا وولى بنيه

٤ ـ على القبائل كلها فرسانا للروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ـ في القوة. هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كسلول، ليسعد الذي ولده.

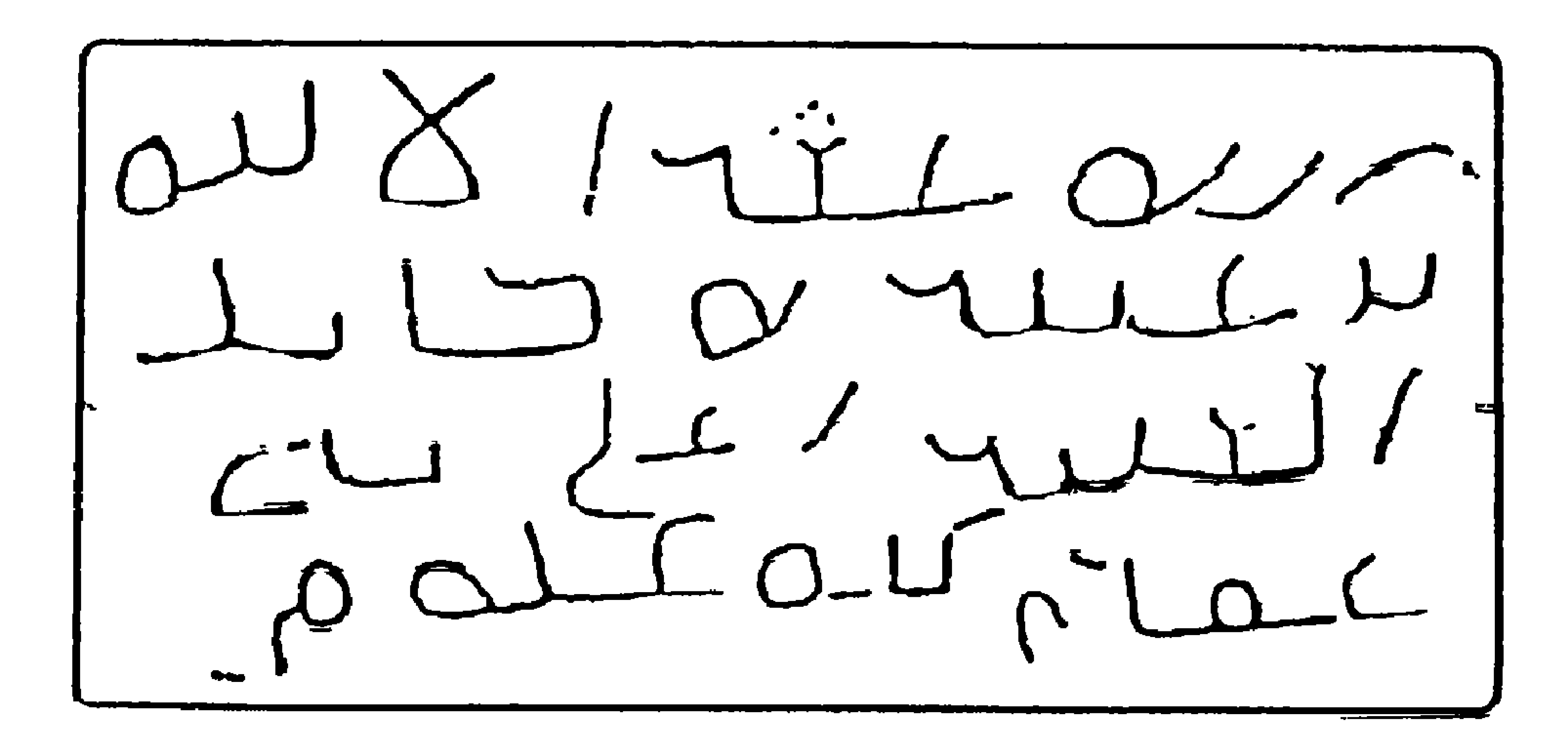
الشكل رقم (٣)

هذا الشكـــل هو مايسمى بنقش حران؛ حيث وُجِـد على باب كنيسـة في حرّان، الواقعة في جبل الدروز؛ ويعود تاريخه إلى سنة ٥٦٨م.

أما ترجمة النص فهي كالآتي :

أنا شرحبيل بن ظلموا (ظالم) بنيت ذا المرطول
سنت (سنة) **٤٦٣** بعد مفسد
خيبر
بعم (بعام)

الشكل رقم (٤) هو النقش الثاني الذي عُثر عليه في أم الجمال ؛ ويُعتبر أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ؛ ويعود تاريخه إلى القرن السادس الميلادي .



الشكل رقم (٤)

وتفسير هذا النقش هو كالآتي :

١ ـ الله عفر ا الاليه
٢ ـ بن عبيدة كاتب
٣ ـ الخليد أعلي بن
٤ ـ عمري كتب عنه من
٥ ـ يقرؤه

إن عرب الجاهلية بالرغم من المآخذ عليهم إلاّ أنه كان لهم بكل تأكيد أدب رفيع سواء في النثر أو الشعر؛ وقد وصلنا جزء يسير منه ، بعضه وصل حفظاً مما علق بالأذهان

لنفاسته أو بلاغته، والبعض الآخر وصل مدوناً، ولكنه كان محدوداً. ويصف أحمد حسن الزيات النثر الجاهلي قائلاً: «يمتاز بجريانه مع الطبع؛ إذ ليس فيه تكلف، ولا غلو. . ؛ قوي الألفاظ، متين التركيب، قصير الجملة، موجز الأسلوب. . . أما عن الشعر فيقول: «إنهم ـ أي عرب الجاهلية ـ أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم على الشعر قدرةً. . . ؛ ولو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم، وأدبهم، لوجدنا لهم نفوساً كبيرة، وأذهاناً بصيرةً، وحنكةً خبيرةً، ومعارف واسعةً. . . ؛ ولعمري ما يكون التمدن اللغوي إلّا بعد تمدن إجتماعي راقٍ في حقيقته وإن لم يرق في شكله؛ عام في أثره وإن لم يعم في أهله»[٢٩]. ويقول السيوطي: «الشعر شعر العرب، وديوانهم، وحافظ مآثرهم، ومقيد حسابهم»[٣٠].

إذن فإن عدم إهتمام العرب قبل الإسلام بتدوين جُل تراثهم لا يعني جهلهم للقراءة والكتابة؛ بل يُمكن إرجاعه إلى عوامل أُخرى منها إنشغالهم بالحروب القبلية، واعتمادهم على حياة التنقل وعدم الإستقرار؛ هذا إلى جانب قلة، أو لنقُل ندرة الأوراق والمواد الأخرى التي يُكتب عليها أو يُكتب بها.

بعد ظهور الإسلام، ودخول كثير من العرب فيه بدأ التحول الكبير في حياتهم الدينية، والإجتماعية، والثقافية. فقد حثّت التوجيهات الإلهية، والتعاليم النبوية على طلب العلم؛ فأخذ كثير من الناس في الإقبال على تعلُّم القراءة والكتابة؛ وزاد هذا الإقبال أكثر فأكثر بعد إنتشار الإسلام، واحتكاك العرب بالأمم الأخرى أثناء الفتوحات الإسلامية. ولا عجب في ذلك، فهم يعملون ـ أي المسلمون ـ بوحي من تعاليم دينهم؛ فالله سبحانه وتعالى قد بيّن لهم مكانة المتعلم عن غير المتعلم حين قال عزَّ من قائل: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** . . . ﴾[٣١]؛ كما بيّن في موضع آخر فضل المتعلم عنده حيث قال: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات**﴾[٣٢]. وما هذا التفضيل الرباني إلّا لأن المسلم المتعلم تعليماً سليماً يكون أكثر وعياً وإدراكاً؛ وبالتالي يكون ـ في الغالب ـ أحسن عملاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماءُ**﴾[٣٣].

أيضا كانت الإرشادات النبوية الشريفة تصبُّ في الإتجاه ذاته؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة»[٣٤] رواه مسلم. كما قال عليه الصلاة والسلام أيضا: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[٣٥]. رواه الترمذي. ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بتعليم حفصة الكتابة؛ كما حث الآباء على تعليم أبنائهم الكتابة؛ إذ يروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، وأن يُحسن إسمه . . .»[٣٦]. وكان من حرصه عليه الصلاة والسلام على إفادة المسلمين أن جعل فداء أسرى قريشٍ في غزوة بدر أن يُعلِّم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة. وقد حثَّ كذلك على تعلُّم لغات الأمم الأخرى؛ إذ وجّه زيد بن ثابت لتعلم لغة اليهود قراءةً وكتابةً.

هذه التوجيهات الإلهية العظيمة، والإرشادات النبوية الكريمة كان لها ـ دون أدنى شك ـ دور فعّال في إقبال المسلمين بجميع فئآتهم، وأجناسهم على طلب العلم؛ مما قفز بالكتابة قفزات شاسعةٍ، وجعلها تتوسع وتزدهر. فقد أخذت المدارس ودور العلم الأخرى تنتشر حتى في أماكن العبادة من مساجد وجوامع؛ وكانت تكتظ بالعلماء وطلبة العلم. وكنتيجة لذلك بدأت المؤلفات تظهر وتتكاثر شيئاً فشيئاً؛ إلاّ أن ازدهار التأليف، أو ما يمكن تسميته بالعصر الذهبي للتأليف إنما بدأ بعد التوسع الكبير في الفتوحات الإسلامية، وتوفر الورق الذي أصبح يُصنع في العالم العربي بعد أن كان يُؤتى به من سمر قند.

الفصل الثاني
أدوات الكتابة

أولاً: الأدوات التي يكتب عليها:

يقال إن الإنسان منذ ظهوره على الأرض وهو يدون أفكاره وحوادثه، وما يتعلق بشؤون حياته اليومية، وأنه كان يستخدم لهذا الغرض مواد مختلفة مما يتوفر في بيئته، كالعظام، والحجارة، والجلود، والأخشاب. وقد تنوعت المواد واختلفت باختلاف العصور وحضارة كل عصر؛ فالبابليون، والآشوريون استخدموا ألواح الطين؛ واستخدم قدماء الهند أوراق الأشجار؛ وكتب الصينيون على الحرير؛ كما كتب المصريون على ورق نبات البردي.

والإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية مثله مثل غيره استخدم في كتاباته مواد متوفر معظمها في بيئته الصحراوية. ومن المواد التي استخدمها عرب شبه الجزيرة في تدوين أفكارهم وتراثهم المواد التالية:

١ ـ العسب والكرانيف: وكانت أكثر مواد الكتابة شيوعاً في البيئة العربية؛ نظراً لوفرتها وسهولة الحصول عليها. والعسب جمع عسيب وهو جريد النخل إذا نُحي عنه خوصه. أما الكرانيف فهي جمع كرنافة. يقول بن منظور في لسان العرب: «إنها أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة؛ وتسمى أيضاً (الكرب) بعد قطع السعف منه»[٣٧] ولقد وجد القرآن الكريم مكتوباً على كرانيف قبل جمعه في الصحف. يقول الزهري: «قبض الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن في العسب، والقضم، والكرانيف»[٣٨].

٢ ـ العظام: ويقصد بذلك عظام اكتاف، وأضلاع بعض الحيوانات، وخاصة الكبيرة منها كالإبل ونحوها.

٣ ـ اللخاف: مفردها لخفة؛ وهي حجارة بيضاء عريضة ورقيقة.

٤ ـ الجلود: وهي جلود الحيوانات؛ ومن أشهر ما استخدم منها في الكتابة: الرق، والأديم، والقضيم. وقد سمي الرق بهذا الإسم لأن الجلد كان يرقق ليصبح

صالحاً للكتابة عليه. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾(٣٩) أما الأديم والقضيم، فالأول كما يقول الدكتور الحلوجي هو الجلد الأحمر أو المدبوغ، أما الثاني - أي القضيم - فهو الجلد الأبيض(٤٠). ويقال بأن هذين النوعين رغم إستعمالهما في الكتابة إلا أنهما كانا أقل جودة من الرق(٤١).

لقد ظلت هذه المواد سالفة الذكر هي الأكثر شيوعاً واستعمالاً لدى عرب الجاهلية، وحتى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ حيث استعملت في صدر الإسلام في كتابة القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة. ويقال إن الرسائل الخاصة التي كان الرسول عليه الصلاة والسلام يوجهها إلى الملوك المحيطين بالجزيرة العربية كانت تتم على الجلود؛ كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا قد اتفقوا على جمع القرآن وكتابته على الرق، وذلك لتوفره وقدرته على البقاء طويلا.(٤٢)

٥ - المهارق: وهي صحف من القماش الأبيض اللون، مفردها مهرق؛ وهو لفظ فارسي معرّب، عرّفه بن منظور بأنه ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ، ويصقل ثم يكتب عليه.(٤٣) ويبدو أن هذا النوع من مواد الكتابة كان نادراً في بلاد العرب، لأنه كان يجلب إليها مع القوافل التجارية؛ ولم يكن يستعمل إلاّ في كتابة الأمور العظيمة والهامة كالعهود والمواثيق.(٤٤)

وكمحصلة للتوسع الإسلامي الذي تم نتيجة الفتوحات، ودخول أمم كثيرة في الإسلام، وانتشار الولاة والقادة المسلمين في الأمصار التي تم فتحها، كثرت المراسلات بين الخليفة والولاة وقادة الجيوش؛ وأصبحت المراسلات عن طريق الكتابة جزءاً أساسياً، بل ومهما من أعمال الدولة الإسلامية المترامية الأطراف. وبالطبع فإن مواد الكتابة السابقة والتي كانت سائدة في ذلك الحين لم تكن كافية للوفاء باحتياجات الدولة الجديدة. لهذا واجهت الدولة مشكلة تتمثل في أن مواد الكتابة الموجودة إلى جانب كونها قليلة فإنها أيضا غير عملية؛ لكن هذه المشكلة قد حُلت بفتح مصر والتعرف على مادتين كانتا تستخدمان في الكتابة هما: القباطي وورق البردي.

٦ - القباطي: مفرده قبطية؛ وهو من فصيلة المهارق، إذ أنه نسيج من القماش الأبيض؛ غير أنه ينفرد بخصائص وسمات تميزه عن غيره؛ فهو من الكتان الناصع البياض والنقاء. ويقال أن المعلقات كُتبت على قماش القباطي بماء الذهب، وعلقن على جدران الكعبة.(٤٥)

٧ ـــ ورق البردي: بإضافة هذه المادة بالذات إلى المواد التي كان يستخدمها العرب، قفـزت الكتـابـة العـربية خطوات رائدة إلى الأمام؛ وبدأت مرحلة جديدة من مراحـل النمو والتطور؛ حيث انتشر استخدامها؛ بل لقد ظلت المادة الرئيسية تقريباً في الكتابة طوال العصر الأموي، وجزءاً من العصر العباسي الأول.(٤٦) يقـــول جرجي زيدان: إن أكثـــر مكـاتبـات الأمـويين كانت تتم على الـبردي والقبـاطي.(٤٧) ومما ساعـد على كثـرة استعمال ورق البردي هو وفرته، وسهولة الحصول عليه، إذ كان في متناول عامة الناس.(٤٨)

والـبردي نبـات ينمو على ضفاف نهر النيل في مصر، حيث يتم تصنيع أوراقه على شكل لفائف طول الواحدة ـ في الغالب ـ ثلاثون ذراعاً؛ وعرضها أكثر من شبر(٤٩).

إنـتشـــار ورق البـردي لا يعني أن المـواد الأخـــرى لم تعـد تستعمـــل؛ فقـد كان استخدامها يتم عند الضرورة، وعلى نطاق ضيق جيداً؛ وخاصة في المناطق التي لا يتوفر فيها ورق البردي.

لقـد ظل ورق الـبردي المادة الرئيسية في الكتابة إلى أن ظهر الورق وأصبح منافساً جديداً بل وخطيراً.

٨ ـــ الورق: يُعتَبر الورق ـ بفتح الرَّاء ـ من أهم المنجزات الحضارية عبر التاريخ. يقول القلقشندي عن الورق: «إنه إسم جنس، يقع على القليل والكثير، واحده ورقه، وجمعه أوراق»(٥٠) وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاساً، وصُحُفا؛ كما في قوله تعالى: ﴿**ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم...**﴾(٥١) وكما في قولـه تعالى: ﴿**إنّ هذا لفي الصُحُف الأولى صُحُف إبراهيم وموسى**﴾(٥٢) ويُسمّى أيضـا (الكـاغـد). والسؤال الذي قد يطرحه القارىء هو: من الذي اخـترع الـورق؟. ولـلإجابة عن مثل هذا التساؤل يُمكن القول بأن المؤرخين متفقـون على أن الصينيين هم الـذين اخـترعوه. فالمصادر تشير إلى أنهم ـ أي الصينيون ـ هم أول من صنع الورق؛ وأن الذي اخترعه موظف صيني يُدعى Tsai Lun تسائي لون؛ وذلك عام ١٠٥م. أما المواد التي صنع منها هذا الرجل الورق فتتألف من الياف نباتية؛ حيث كان يقوم بفصل الأجزاء الداخلية للحاء شجر التوت، ومن ثم طحنها وتحويلها بعد مزجها بالماء إلى عجينة يتم فردها على سطحٍ مستوٍ أملس، لتُصبح على شكل فرخ يتم تركه حتى يجف؛ ليحصل بعد ذلـك على فرخ ورق يمكن الكتـابـة عليه. هذه كما يُقال كانت البداية. لكن

الصينيين ما لبثوا أن اكتشفوا نباتات أخرى تصلح لصناعة الورق، منها: نبات القنّب، والكتان.

كانت صناعة الورق سراً من الأسرار حاول الصينيون الإحتفاظ به لإنفسهم أكثر من خمسة قرون؛ إلاّ أن الورق انتشر بعد ذلك في كوريا واليابان، ثم في العالم الإسلامي.

لقد عرف العرب الورق الصيني عن طريق بعض الرحّالة والتجار الذين أحضروا بعضا منه، استعمل في الكتابة؛ ولكن كان ذلك على نطاق ضيق.

تشير المصادر التاريخية إلى أنه حدث في أواخر العصر الأموي أن وقعت معركة حربية بين المسلمين وبين الجيش الصيني في بلاد ما وراء النهر (تركستان الروسية)؛ وأنها ـ أي المعركة ـ إنتهت بإنتصار المسلمين على أعدائهم؛ ووقوع عدد كبير من الصينيين في الأسر. وكان من بين الأسرى عدد من الأشخاص يتقنون صناعة الورق؛ فعرض عليهم الحاكم المسلم تأسيس مصنع للورق في سمرقند؛ وأن يُعلّموا المسلمين أسرار صناعته لقاء إطلاق سراحهم؛ فقبلوا حيث تم في عام ١٣٣هـ ـ ٧٥١م تأسيس أول مصنع للورق في العالم الإسلامي. وكان من أسباب نجاح هذه الصناعة وازدهارها في سمرقند توفر المواد الخام اللازمة لصناعة الورق مثل ألياف وخيوط الكتّان، ونبات القنب؛ بالإضافة إلى مصادر المياه الغزيرة التي يحتاجها إنتاج الورق.

يُنسب إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، الفضل في إدخال الورق إلى دواوين الدولة ليحل محل الجلود. يقول القلقشندي: «وبقي الناس على ذلك ـ أي على إستعمال الجلود ـ إلى أن ولي الرشيد الخلافة؛ وقد كثر الورق، وفشا عمله بين الناس، فأمر ألاّ يكتب الناس إلاّ في الكاغد؛ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة؛ فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحي منه فسد، وإن كُشِط ظهر كشطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار. . .)[٥٣]

لم تلبث صناعة الورق أن انتقلت إلى العالم العربي؛ حيث تأسس أول مصنع للورق في البلاد العربية في بغداد؛ عاصمة الدولة العباسية؛ وذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد؛ وكان ذلك سنة ١٨٠هـ ـ ٧٩٥م. وتُشير المصادر إلى أن الفضل بن يحيى البرمكي، وزير الرشيد هو الذي أقام هذا المصنع[٥٤].

ظلت صناعة الورق منحصرة في العراق وبلاد ماوراء النهر حتى القرن الرابع الهجري؛ إذ في منتصف ذلك القرن إنتقلت صناعة الورق إلى بلاد الشام؛ بل وازدهرت هناك، حيث ظلت لعدة قرون مصدر تموين العالم من الورق. ويُقال بأن

الورق المصنّع في بلاد الشام كان يُنافس في جودته وجماله الورق السمرقندي. بعد ذلك إنتقلت صناعة الورق إلى مصر؛ إلاّ أن المصريين لم يُقْبلوا عليه؛ فقد كان لديهم البردي الذي كان يُزرع نباته على ضفاف نهر النيل، ويصنع منه ورق البردي الذي ألفوه منذ زمن بعيد. وقد ظلت المنافسة بين هذين النوعين زمناً طويلاً حتى انتهت بتراجع استعمال ورق البردي، وحلول الورق الجديد محله.

ما قلناه في موضع سابق من أن إنتشار ورق البردي بعد فتح مصر لم يقض تماما على استعمال بعض المواد الأخرى في الكتابة، وخاصة الجلود، يُمكن قوله بالنسبة للورق؛ إذ رغم توفر الورق وإنتشاره في معظم أنحاء الدولة الإسلامية إلاّ أن الرقوق، وورق البردي ظلا يُستعملان بعد انتشار الورق وشيوع استعماله في دولة الخلافة مدةً تُقدَّرْ بنصف قرن؛ بل يُقال بأن استعمال البردي كمادة للكتابة لم يتوقف نهائياً إلاّ حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي. (٥٥)

لقد طوَّر العرب صناعة الورق؛ وخطوا بها خُطوات كبيرة في طريق الإتقان والجودة؛ كما أدخلوا على صناعة الورق أشياء لم تكن موجودة من قبل؛ منها الأحجام المختلفة، والألوان المتعددة؛ بل وصار له ـ نتيجة شيوع استعماله، وتعدد مصادر إنتاجه ـ أنواع مختلفة ومسميات عديدة؛ ذكر منها النديم في (الفهرست)(٥٦) سبعة أنواع مختلفة، منها:

١ ـ الورق السليماني؛ نسبة إلى سليمان بن رشيد؛ ناظر بيت المال بخراسان.
٢ ـ الورق الجعفري؛ نسبة إلى جعفر بن يحيى البرمكي.
٣ ـ الورق الطاهري؛ نسبة لآل طاهر، حُكّام خراسان.
٤ ـ الورق الطلحي؛ نسبة إلى طلحة بن طاهر، ثاني أُمراء بني طاهر.
٥ ـ الورق النوحي؛ نسبة إلى نوح بن نصر الساماني.

إستمرت صناعة الورق في الزحف غرباً، حيث وصلت إلى بلاد المغرب العربي في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي. وكنتيجة لإحتكاك الأوربيين، وخاصة الأسبان بالعرب، أدخل العرب صناعة الورق إلى بلاد الأندلس. وقد تأسس أول مصنع للورق في إسبانيا في مدينة شاطبة Jativa في إقليم فالنسيا Valencia وذلك سنة ١١٥٠م؛ ثم توالت بعد ذلك إقامة مصانع للورق في بقية البلدان الأوربية؛ حيث أُقيم مصنع في إيطاليا عام ١٢٣٦م، وآخر في فرنسا عام ١٣٣٨م؛ وبعد ذلك أُقيم مصنع في ألمانيا عام ١٣٩٠م. أمّا بريطانيا فأُقيم أول مصنع فيها سنة ١٤٩٤م. (٥٧) يقول أ. هـ. كريستي:

«والمسلمـون هم الـذين أسسـوا أول المصـانع الأوربية للورق في إسبانيا. . .، ومنها إنتقلت إلى بقية دول أوربا»[٥٨].

إن صناعة الورق تُعتبر من أهم إنجازات الحضارة العربية الإسلامية؛ وتُعتبر أوربا مدينة بفضل العرب عليها في كثير من المجالات العلمية، وخاصة صناعة الورق؛ الذي كان شيوع إستعماله على نطاق واسع من العوامل الهامة في إنتشار الطباعة. يقول فيليب حتّي: «إن هذه الصناعة ـ أي صناعة الورق ـ من أجلّ الخدمات التي أسداها الإسلام إلى أوربـا، ولولاها لما تمَّ إختراع الآلة الطابعة ذات الحروف المتحركة؛ هذا الإختراع الذي نجز في ألمانيا حوالي منتصف القرن الخامس عشر؛ ولولا الورق والآلة الطابعة لما تيسر للعلم أن ينتشر في أوربا بهذه الصورة العامة التي انتشر بها». [٥٩]

ثانياً: الأدوات التي يكتب بها:

١ ـ الأقــلام:

إذا انتقلنا من المواد التي يُكتب عليها إلى المواد التي يُكتب بها نجد أنها هي الأخرى قد تطورت مع التـطور الحضاري للأمم والشعوب؛ فالأدوات التي كان يُكتب بها في العصر الإسـلامي هي ـ بلاشـك ـ أفضـل بكثـير مـن تـلك التـي استخدمـت فـي العصـر الجاهلي.

العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون الأقلام، ويتحدثون عنها، ويكتبون بها. وقد ورد لفظ القلم في القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾[٦٠] وقوله عز من قائل: ﴿. . . **إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم**﴾[٦١] وكانوا ـ أي العرب ـ يطلقون على القلم لفظ «اليراع» و«المزبر»، أخذاً من قولهم زبرت الكتـاب إذا أتقنت كتـابته؛ ومنه سُميت الكتب زبراً؛ كما في قول الله في كتابه العزيز: ﴿**وإنه لفي زبر الأولين**﴾[٦٢]

هناك عدة أنواع من الأقلام العربية؛ وذلك لأن كل مادة يكتب عليها، تحتاج لأداة معينة يكتب بها، مما يعني أن كل قلم معدّ لنوع من الكتابة.

من أشهر أنواع الأقلام التي شاع استعمالها قديماً:

أ ـــ قلم البوص؛ وهو يصنع من البوص؛ وأحياناً يسمى قلم القصب.

ب ـــ قلم الخشب؛ وهو يصنع من أغصان الأشجار.

ج ـــ قلم العظم؛ وكان يصنع من العظام الرفيعة.

د ــ قلم الريش؛ وكانوا يأخذونه من ريش الطيور؛ خاصة ريش الذيل، أو أطراف الجناحين[٦٣].

٢ ـ الأحبـار :

هي مجموع «حِبْر»؛ يقول القلقشندي: «وأما الحبر فأصله اللون يُقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء»[٦٤] وينسب إلى المبرّد أنه قال: «قال التـوزي: سألت الفراء عن المداد لم سُمي حبراً، فقال: يُقال للمُعلِّم حَبْر وحِبْر يعني بفتـح الحـاء وكسرهـا، فأرادوا مداد حبر أي مداد عالِم، فحـذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا. . . ؛ ثم أضاف المبرد قائلاً: وأنا أحسب أنه سُمي ـ أي الحبر ـ بذلك لأن الكتاب يُحبر به أي يُحسّن، أخذاً من قولهم: حبرت الشيء تحبيراً أي حسنته»[٦٥].

ويُسمى الحبر مداداً؛ سُمي بذلك لأنه يمد القلم بالمادة الملونة التي يكتب بها. يقول القلقشنـدي: «سُمي بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه؛ وكل شيء مددت به شيئاً فهو مداد. . . ؛ سُمي الزيت مداداً لأن السراج يُمدُّ به»[٦٦] وقد ورد ذكر المداد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**قُل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي. . .**﴾[٦٧]

والأحبار هي ـ في الغالب ـ أصباغ كيميائة، معدنية، أو عضوية، مختلفة الألوان، تترك أثراً للنصوص المكتوبة عند إستعمالها. وكانت ـ أي الأحبار ـ تُجلب من الصين، كما كانت تُصنع أيضاً في بلاد العرب.

وللحبر أنواع متعددة، وألوان مختلفة، حسب المواد التي يُصنع منها، أو التي تُضاف إليه. ومن أهم ما عُرف من الأحبار القديمة الحبر الكربوني؛ وهو ما يُركّب من:

- السُّنّاج (الدخان)؛ لإعطاء اللون الأسود.
- الصمغ؛ لتثبيت اللون.
- الماء، أو الخل؛ لإذابة السناج والصمغ.

ويُقال إن هذا النوع من الأحبار هو أول سائل إستُخدم في الكتابة.

وهناك نوع آخر من الحبر يُصنع من العفص (ثمار شجر البلوط)، والزاج (كبريتات الحديد)، والصمغ؛ ويُسمى هذا النوع بـ «الحبر المطبوخ»؛ حيث تُطبخ مكوناته على النار أثناء التجهيز.

أيضـا هناك نوع من الحبر يُصنع من الورد الجوري؛ حيث يوضع في مرجل ويُغلى الورد غلياً جيداً، ثم يُقطر ماؤه، فتبقى الحُثالة، أو العُصارة، حيث يضاف إليها حديد صاد ليتأكسد ـ أي الحديد ـ ويُغير لون العصارة إلى اللون الأسود؛ ثم تُجفف المادة حتى تُصبح حبيبات تُطحن فيما بعد طحناً جيداً، وتُذاب في ماء حار، لتُكون حبراً أسوداً. ولضمان إلتصاق الحبر على الورق يُضاف إلى المحلول صمغ الأشجار لتثبيته، وإعطائه لمعاناً خاصاً.

يقـول القلقشنـدي في حديثـه عن المداد: «واعلم أن المواد لذلك منها ما يُستعمل بأصله لا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتدبير، كالعفص، والزاج، والصمغ، وما شابهها؛ ومنه ما يحتاج إلى علاج وتدبير، وهو الدخان. . . ، ويُتوخى في الدخان أن يكون من شيء له دهنيه، ولا يكـون من دخـان شيء يابس في الأصـل، لأن دخـان كل شيء مثله»[٦٨] وتُشير المصادر إلى أن من الأحبار الكربونية (الدخانية) الجيدة ما يُصنع من الدخان الناتج عن دهن بزر الفجل والكتان؛ حيث يُجمع سواده الناتج عن الإحتراق بماء الآسِ والصمغ العربي. وماء الآس كما ورد في كتاب (صبح الأعشى) يجعل سواد المداد مائلاً إلى الخضرة؛ أما الصمغ فيجمعه ويمنعه من التطاير.

لكن أجود المداد كما يقول بن مقله: «ما إتخذ من سخام النفط؛ وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيُجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في (طنجير أو قدر)، ويُصب عليه من الماء ثلاثـة أمثـالـه، ومن العســل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحـوق خمسـة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يُترك في إناء ويُرفع إلى وقت الحاجة»[٦٨]. وكانوا يُضيفـون إلى الحـبر شيئـاً من الكـافور لتطييب رائحته، وقليلاً من الصبر ليمنع وقوع الذباب عليه.

يُقال بأن الحبر المصنوع من الدخان كان يُعتبر أفضل أنواع الحبر للكتابة على الورق، لأنه لا يحتوي على مواد ضارة بالورق؛ بينما الحبر المصنع من العفص، فبالرغم من أنه يتميز بثبات لونه إلّا أنه يُكوِّن الحموضة، المسببة لتآكل الورق. لهذا كانوا يستعملونه ـ أي المصنع من العفص ـ للكتابة على الجلود لا على الورق، وذلك أن الجلود أكثر مقاومة للحموضة من الورق.

إلى جانب اللون الأسود إستخدم المؤلفون والناسخون الأحبار الملونة الأخرى، ومنها البني، والأخضر، والأزرق، وماء الذهب؛ إلّا أن استخدام المداد الأسود كان الأكثر شيوعاً؛ وذلك لإسباب لعل من أهمها:

- أن اللون الأسود مضاد للون المواد التي يُكتب عليها، وهو ـ أي لون المواد ـ في الغالب أبيض، مما يساعد على إظهار الكتابة بوضوحٍ أكثر من غيره من الألوان.
- أن صناعته كانت أسهل من صناعة بقية الأحبار الملونة.
- أن وفرة خاماته ـ كما يبدو ـ كانت أيسر بكثير من وفرة خامات الأحبار الملونة الأخرى.

وكان المـداد أو الحبر يوضع بعد تصنيعه في وعاء يُسمى «الدواة» أو «المحبرة». وهو وعاء كان يُصنع من الخزف، أو الخشب، أو الفخار، أو من بعض المعادن كالحديد، أو النحاس؛ ثم أصبح يُصنع من الزجاج، أو البلاستك.

الفصل الثالث
الاصلاحات في الكتابة العربية

اشتهـر العرب بالفصاحة، والبلاغة؛ وتلك كانتْ موهبة إلهية، وفطرة فطرهم الله عليها؛ أي أنها غير مكتسبة بالتعليم. من هنا كان لدى الذين يجيدون القراءة والكتابة منهم قدرة ذاتية على تمييز الحروف المتشابهة دون وضع علامات عليها؛ إذ لم يكونوا ـ في الواقع ـ بحاجة إلى وضع تلك العلامات.

ولما ظهر الإسلام؛ وأخذ ينتشر خارج بلاد العرب؛ واختلط العرب بالأعاجم، أخذ اللحن في ألفاظهم يتفشى بينهم؛ فخَشي العرب على ألسنتهم، ولغتهم الجميلة من هذا الإنحراف. وكان خوفهم أكثر على القرآن الكريم؛ الذي هو دستورهم، وعماد دينهم؛ مما دفع بعض الغيورين المخلصين من العرب إلى البحث عن حلول يحمون بها لغتهم، ويصلحون بها ألسنة الناس عند القراءة؛ خاصة أولئك الذين دخلوا في الإسلام من غير العرب؛ فكانت النتيجة إصلاحات ثلاثة أُدخلت على الكتابة العربية تتعلق بشكلها وإعجامها.

الإصـلاح الأول :

أول اصـلاح أُدخل على الكتابة العربية هو الشكل؛ إذ سبق الإعجام. والمقصود بالشكل هو ضبط الكلمات بالحركات لتنطق (بضم التاء) وفقاً للغة العرب الصحيحة، ولتؤدي المعنى المقصود أو المطلوب. وقد بدأ الشكل نقطاً على أواخر الكلمات، لم يلبث أن امتد إلى بعض حروفها؛ ثم تطور إلى الحركات الإعرابية التي نعرفها اليوم، وهي: الضمة، والفتحة، والكسرة، والسكون، وغير ذلك من الحركات.

تشير المصادر إلى أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) هو أول من قام بالإصلاح الأول، وهـو وضـع أساس الشكل للأحرف العربية، مستعينا بطريقة السريان؛ الذين يقال بأنهم أول من وضع الشكل على الكلمات. وكان الشكل عندهم بالنقط؛ فاقتدى بهم في وضع هذه الرموز؛ وهي النقط على أواخر الكلمات لتمنع تحريف لفظها، الذي لو تم ـ أي التحريف ـ فإنه قد يُغير معناها.

يقال أيضا أن أبا الأسود الدؤلي قام بهذا الإصلاح بأمر من زياد بن ابيه، وإلي البصرة في زمن أخيه الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وهناك رأي آخر يقول إنه تم بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. لكن المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن زياداً هو الذي طلب الإصـلاح؛ وأن أبا الأسود لم يستجب لطلبه؛ مما حدا بزياد إلى وضع رجل من الأعراب في طريق أبي الأسود؛ وطلب منه ـ أي من الأعرابي ـ أن يقرأ حين يمر به أبا الأسود آية من القرآن الكريم يتعمّد فيها اللحن. فلما مر أبو الأسود بدأ الأعرابي يقرأ بصـوت مرتفـع الآية الكـريمـة من سورة التـوبة: ﴿. . . أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾[٦٩] بكسر اللام في رسوله؛ فاستعظم أبو الأسود ما سمع، وعزّ عليه أن يصل التحـريف إلى القـرآن الكريم، وبهذه الصورة الخطيرة؛ فما كان من أبي الأسود إلّا أن ذهب من فوره إلى زياد، وقال له: «قد أجبتك إلى ما سألت؛ ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن الكريم»[٧٠] فاستحضر أبو الأسود كاتباً تم اختياره من مجموعة رجال احضرهم له زياد بن أبيه بناءً على طلبه؛ وأمر ذلك الكاتب بأن يتناول المصحف، وأن يأخذ مداداً يخالف لون المداد الذي كُتب به المصحف، وقال له: إذا رأيتني فتحت شفتي فضع نقطة فوق الحـرف؛ وهذه النقطة هي الفتحة (س• = سَ) وإذا خفضتهما عند آخر الحرف فضع نقطة تحته؛ وهذه النقطة هي الكسرة (سِ = سِ) فإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف ـ أي إلى جانبه ـ فيكون هذا هو الضم (س• = سُ)؛ ثم قال: فإن اتبعت شيئـاً من هذه الحـركـات بغنة فانقط نقطتين إحداهما فوق الأخرى. والمقصود بالغنة التنوين[٧١]. وكان أبو الأسود يعيد نظره على كل صحيفة يتمها الكاتب ليتأكد من سلامة وضع النقط؛ واستمر على هذا المنوال حتى اعرب المصحف كله.

فالإجمـاع إذن على أن هذا الإصلاح الأول الذي أُدخل على الكتابة العربية، وهو شكل أواخر كلمات القرآن الكريم بطريقة النقط قد تم على يد أبي الأسود الدؤلي؛ وأن الهـدف الأساسي منه هو منع اللحن في قراءته بعدما لوحظ من فساد الألسن، نتيجة اختلاط العرب بمن دخل في الإسلام من الأجناس الأخرى.

هذا الإصطلاح تم في مدينة البصرة بالعراق؛ ومن البصرة انتقل إلى المدينة المنورة؛ ثم إلى المغرب العربي فبلاد الأندلس[٧٢].

الإصـلاح الثاني:

لقـد حل الشكـل قضية خطيرة، ألا وهي مشكلة التحريف ـ أي تحريف المعاني ـ والتي كانت تعاني منها الكتابة العربية؛ لكن لم يمض وقت طويل حتى ظهرت مشكلة

أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها؛ تلك هي «التصحيف» الذي كثر، وصار ينتشر بين الناس نتيجة لاختلاط العرب بكثير من الأجناس غير العربية؛ الذين إعتنقوا الدين الإسلامي. فلقد بلغ التصحيف حداً أفزع الحجاج بن يوسف الثقفي؛ والي العراق من قبل عبد الملك بن مروان؛ الذي أمر بإدخال الإصلاح الثاني وهو (الإعجام) على الكتابة العربية.

والتصحيف يقصد به قراءة الحرف على غير حقيقته؛ من مثل قراءة البعض للآية الكريمة: ﴿. . . قال عذابي اصيب به من اشاء . . .﴾ هكذا: ﴿. . . قال عذابي أصيب به من أساء . . .﴾ أما الإعجام فهو وضع نقط على الحروف المتشابهة الرسم كالباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، وغيرها من الحروف المتشابهة؛ وذلك لتمييزها عن بعضها، منعاً لوقوع اللبس فيها.

يقال أن الإعجام كان موجوداً قبل الإسلام؛ وان الكُتّاب تساهلوا في أمره شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منه إلا النادر. ويستنتج من تجنبهم لإعجام الحروف المتشابهة في الرسائل والكتب أنه جاء بسبب الإعتزاز بالنفس، لأن الإعجام قد يُفسر على أنه عيب، أو قصور وعدم ثقة في ثقافة القارىء؛ كما كانوا يعتبرون الشكل والإعجام تشويهاً للمكتوب[٧٠]. ويورد أصحاب الرأي القائل بأن الإعجام وضع قبل الإسلام بعض الأدلة منها:

١ ـ ما روي عن بن عباس من أن عامر بن جدره هو الذي وضع الإعجام. وعامر هو أحد الثلاثة الرجال الذين اشير إليهم سابقاً عند الحديث عن وضع الحروف العربية.

٢ ـ العثور على عدد من البرديات المكتوبة في مصر قبل عهد الحجاج بن يوسف؛ وفيها إعجام لبعض الحروف. وأشهر هذه البرديات بردية دهنس ـ نسبة إلى بلدة دهنس المصرية ـ؛ والتي يعود تاريخها ـ أي البردية ـ إلى زمن عمر بن الخطاب سنة ٢٢هـ؛ وهي محفوظة في المكتبة الوطنية في فينا بالنمسا ضمن مجموعة الأمير دينر.

٣ ـ أن تكرار حروف متشابهة كالباء، والتاء، والثاء، ودون تمييز يفرق بينها مع اختلاف نطقها انما يتنافى مع المنطق، وحكمة واضع هذه الأحرف؛ إذ من المستبعد جداً أن يكون مخترعها قد غاب عنه الإحتمال القوي للإلتباس فيما بينها إذا لم تكن منقوطة.

٤ ـ العثور على نقش قرب مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية يرجع إلى سنة ٥٨هـ وفيه تنقيط للحروف[٧٥].

ومن يرجح الرأي القائل باستخدام النقط في الكتابة قبل الإسلام ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي)[٧٦]، ومحمد طاهر الكردي في كتابه (الخط العربي وآدابه)[٧٠] والدكتور إميل يعقوب في كتابه (الخط العربي)[٧٧].

إلا أن هناك من يرى أن الإعجام لم يكن له وجود قبل الإسلام؛ وأنه لم يظهر إلا في العصر الأموي؛ وبالتحديد في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان؛ ومن هؤلاء الدكتور محمود عباس حمودة، في كتابه (تاريخ الكتاب الإسلامي)[٧٨]؛ والدكتور عبد الستار الحلوجي، الذي يضعّف كثيراً الرأي الأول حيث يقول: «أما إعجام الحروف، أو نقطها للتفريق بين المتشابه منها فقد حدث في عهد بني أمية. أما ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن النقط وجد في الجاهلية وأنه لم يستعمل في كتابة المصاحف الأولى فلا يستند إلاّ إلى بعض الروايات، والتفسيرات، والتأويلات.[٧٩]

وهو ـ أي الحلوجي ـ يرى أن المسلمين كانوا يتحرجون من إضافة أي شيء إلى المصحف الذي جمعهم عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ إذ يعتبرون ذلك دخيلا على المصحف لا يجب استعماله فيه. ويستشهد بتحرج أبي الأسود الدؤلي، بل رفضه في بداية الأمر إجراء الإصلاح الأول الذي قام به بأمر من زياد بن ابيه. ورأي الدكتور الحلوجي وجيه، ولكن يظل الرأي الأول ـ من وجهة نظري ـ أقوى؛ ذلك أن التحرج الذي أشار إليه إنما كان لأن الإصلاح المطلوب، وهو الشكل، يتطلب إدخال شيء على كتابة المصحف؛ أما لو كانت الإضافة المطلوبة على غير كتابة المصحف فلا اعتقد أن أبا الأسود أو غيره من علماء اللغة كانوا ترددوا في القيام بهذا الإصلاح؛ ولعل أكبر دليل على ذلك أن الإصلاحين الثاني والثالث لم يجدا معارضة ممن كُلف بهما.

الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن لمس أن التصحيف كثر واستشرى خطره فزع إلى اثنين من كتابه هما نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ)، ويحيى بن يعمر الوسقي العدواني (ت ١٢٩هـ) وطلب منهما وضع حد لهذه المشكلة، فقاما بما يعتبر الإصلاح الثاني في الكتابة العربية؛ وهو الإعجام؛ وذلك بوضع نقط على الحروف المتشابهة لتمييزها عن بعضها؛ فلكي يميزا بين الباء، والتاء، والثاء وضعا نقطة تحت الباء، ونقطتين فوق التاء، وثلاث نقط فوق الثاء. وللتفريق بين الصاد والضاد أهملت الأولى ووضع نقطة فوق الثانية؛ وهكذا فعلا في بقية الحروف المتشابهة. ويرجح أن نصر بن عاصم ويحيى

ابن يعمر قاما بعد اعجام الحروف المتشابهة بإعادة ترتيب الحروف العربية وذلك بوضع الحروف المتشابهة بجانب بعضها، وهو الوضع الذي نعرفه اليوم (أ ب ت ث ج ح خ . . . الخ)[٨٠]

وتُظهر المخطوطات العربية القديمة وجود خلاف بين عرب المشرق وعرب المغرب على كيفية إعجام الفاء والقاف، فقد ذهب المشارقة إلى نقط الفاء بواحدة من أعلى، ونقط القاف باثنتين من أعلى أيضا. أما المغاربة فقد ذهبوا إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل، والقاف بواحدة من أعلى «أنظر الشكل رقم ٥ ص ٤٦».

الإصلاح الثالث:

الإصلاح الثاني وهو الإعجام أصبح يختلط بالإصلاح الأول وهو الشكل؛ لأن كليهما يستخدم النقط، مما سبب اللبس لكثير من القراء؛ فظهرت الحاجة الماسة إلى حل يريح الناس من هذا اللبس أو الإشكال؛ ومايسببه من خلط بين الشكل والإعجام؛ فصار الوراقون كحل لهذه القضية يضعون نقط الإعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكتاب، وهو في الغالب الأسود؛ ويضعون نقط الشكل بمداد مختلف كالأحمر ـ مثلاً ـ؛ «أنظر الشكل رقم ٦ ص ٤٦».

هذا التعديل أو الحل لم يدم طويلاً؛ لأنه لم يقض على المشكلة تماماً؛ إذ أن وجود نوعين من النقط وإن كانا بمدادين مختلفين، كان ـ فعلاً ـ أمراً معقداً، ومجهداً، لا للكتاب والنساخ فحسب، بل وللقراء أيضاً. من هنا كان لابد من البحث عن حل جذري وسليم يقضي على هذا التشابه المسبب للبس والخلط بين الشكل والإعجام؛ حل يريح الكتاب والقراء على حد سواء؛ فكان الإصلاح الثالث والأخير الذي أُدخل على الكتابة العربية؛ وهو الإصلاح الذي تم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، في العصر العباسي الأول. فقد قام الخليل بوضع طريقة جديدة للشكل، لا يحتاج الكاتب أو الناسخ معها إلى استعمال مدادين مختلفي اللون. هذه الطريقة تقوم على إبدال نقط الشكل التي وضعها أبو الأسود الدؤلي بعلامات ثمان هي: الفتحة، والكسرة، والضمة، والسكون، والشدة، والمدة، والهمزة، والوصل. واصطُلح على أن تكون الفتحة الفاً مبطوحة فوق الحرف؛ والكسرة جرة مماثلة للفتحة ولكن تحت الحرف. أما الضمة فواو صغيرة فوق الحرف. فإذا كان الحرف منوناً كُررت العلامة مرتين فوق الحرف أو تحته. أما علامة السكون فدائرة صغيرة فوق الحرف؛ والشدّة سيناً صغيرة تكتب فوق الحرف. وقد أختير للهمزة رأس عين صغيرة، وللوصل رأس صاد لطيفة.

أما شكل العلامات فهو كالتالي: ـَـ للفتحة؛ ـِ للكسرة؛ ـُ للضمة؛ ـْ للسكون؛ ـّ للشدة؛ ـء للهمزة؛ ـ صـ للوصل. وهذه العلامات هي التي سار عليها الناس حتى وقتنا الحاضر[٨١].

وبفضل الله ثم بفضل الشكل والإعجام اللذان أُدخلا على الكتابة العربية بجهود رجال غيورين وعلماء مخلصين تمكن العرب ـ ولله الحمد ـ حتى الآن من المحافظة على لغتهم العربية، وخطهم العربي، من اللحن والتصحيف؛ وصدق سعيد بن حُميد الذي قال: «من سلك طريقا بلا إعلام ضل، ومن قرأ خطاً بلا إعجام زل»[٨٢]

الفصل الرابع
انتشار الخط العربي وتطوره

أولًا: اللغات التي كتبت بالخط العربي:

لم يكن الخط العربي وقفاً على العرب وحدهم؛ فقد استعملته شعوب أخرى غير عربية في آسيا، وأفريقيا، وأوربا. فمع التوسع في الفتوحات الإسلامية انتشر الإسلام واللغة العربية انتشاراً واسعاً في البلدان التي تم فتحها؛ ولا غرابة في ذلك فالدين الإسلامي هو دين الدولة، واللغة العربية هي لغتها؛ مما جعل معظم السكان يقبلون على الدين الإسلامي؛ إذ وجدوا فيه ضالتهم؛ بل ومنقذهم من الضلال، والخرافات، والبدع والإنحرافات. وبالطبع فإن إعتناق الإسلام يتطلب فهم الإسلام باللسان الذي نزل به القرآن؛ وهو اللسان العربي؛ فكان إقبال المسلمين الجدد على تعلم اللغة العربية اقبالاً منقطع النظير؛ بل كانوا متحمسين لاتقانها، ومعرفة اسرارها، وما تتمتع به من فصاحة وبلاغة. وهذا بالطبع قادهم إلى معرفة الخط العربي؛ الذي أصبح منتشراً في أرجاء واسعة من العالم. يقول د. إميل يعقوب: «. . . وهو ـ أي الخط العربي ـ يأتي اليوم بعد الحرف اللاتيني في اتساع الرقعة الجغرافية التي ينتشر فيها.»[٨٣]

تنقسم اللغات التي كتبت، أولا تزال تكتب بالخط العربي إلى خمسة أقسام:

١ ـ اللغة العربية:

وهي لغة العرب، والتي شرفها المولى عز وجل بأن أنزل القرآن الكريم بها. قال تعالى: ـ ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾[٨٤]. كما دون باللغة العربية كل من الحديث النبوي الشريف، والسنة النبوية المطهرة. وكانت هذه اللغة محصورة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية؛ فلما انتشر الإسلام انتشرت معه؛ وانتشر معها الخط العربي جنباً إلى جنب؛ فحيثما حل الإسلام في أرض حلت اللغة العربية محل اللغة الأصلية لأهلها؛ وحل معها الخط العربي محل الخط الأصلي. يقول يحيى سلوم العباسي الخطاط: «. . . لذا نجد أن اللغة العربية سرت وانتشرت، وأبادت اللغات الأصلية

للأقاليم التي فتحوها ـ أي المسلمون ـ وكذلك الكتابة بالخط العربي أصبحت عامة بين سائر المسلمين؛ فأينما حل الإسلام حل الخط العربي. . .»[٨٥]

٢ ـ اللغات التركية :

وهي من اللغات الطورانية؛ ومنتشرة في تركيا بجزأيها الأوربي والآسيوي وفي أجزاء من روسيا؛ ويتفاهم بها المغول الأتراك من الأزابكة، والتتر، والتركمان، والعثمانيين، وغيرهم. وقد أورد محمد طاهر الكردي في كتابه (الخط العربي) أشهر أثني عشر فرعا من فروعها قال إنها كتبت بالخط العربي؛ ومن أهمها:

أ ــ التركية العثمانية: وهي اللغة الرسمية للدولة، والأكثر إنتشاراً. وقد ظلت هذه اللغة حتى عام ١٩٢٨م عندما ألغى كمال أتاتورك استعمال الحرف العربي واستبدله بالحرف اللاتيني[٨٦].

ب ــ التركية القازانية: وهي لغة التتار المسلمين.

ج ــ التركية الآذرية: وهي منتشرة في اذربيجان.

د ــ التركية الداغستانية: وهي منتشرة في بلاد داغستان في روسيا.

٣ ـ اللغات الهندية :

وهي من اللغات الآرية، منتشرة في بلاد الهند، والسند، وسيلان، وملقا. وأهم اللغات الهندية: اللغة الأردية الهندستانية؛ ومن فروعها التي كتبت بالخط العربي: اللغة الأردية؛ اللغة الكشميرية، اللغة السندية، واللغة الملقية، أو لغة الملايو؛ وهي شائعة في شبه جزيرة ملقا.

٤ ـ اللغات الفارسية:

وهي من اللغات الآرية، تنتشر في إيران، وافغانستان، وكردستان، وبلوخستان. ومن هذه اللغات التي تكتب بالأحرف العربية، أو الخط العربي:

أ ــ اللغة الفارسية (اللغة الإيرانية): وكانوا ـ أي الفرس ـ يكتبون بالخط البهلوي، أو ما يسمى ـ أحياناً ـ بالخط الفهلوي؛ وذلك قبل التحول إلى الخط العربي.

ب ــ اللغة الأفغانية: وتسمى في قندهار (بشتوية)، وفي بيشاور (بختوية).

ج ــ اللغة الكردية؛ ويقال إن الفرس والأفغان والأكراد أضافوا إلى الأحرف العربية أحرفاً أخرى تتراوح ما بين أربعة للفرس؛ وخمسة للأكراد؛ واثني عشر للأفغان.[٨٧]

٥ ـ اللغات الأفريقية:

وهي منتشرة في قارة أفريقيا؛ ولها فروع كثيرة. ومن أشهر اللغات الأفريقية التي كتبت بالأحرف العربية.

أ ـ اللغة البربرية: وهي لغة البربر، سكان مراكش الأصليون.

ب ـ اللغة البربرية الريفية: وهي لغة البربر، سكان الجزائر الأصليون.

ج ـ اللغة النوبية: وهي لغة سكان وادي النيل بين الشلال الأول والرابع.

د ـ اللغة السواحلية: وهي لغة مملكة زنجبار وما حولها.

هـ ـ اللغة الحبشية: ترجع معرفة الأحباش بالخط العربي واتخاذهم الحروف العربية للتدوين إلى زمن بعيد؛ ربما إلى الزمن الذي هاجر فيه المسلمون الأوائل إلى الحبشة. ولما انتشر الإسلام هناك انتشر معه الخط العربي؛ ولا زال المسلمون الأحباش يكتبون بالأحرف العربية، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية. ومن الأحباش الذين يكتبون بالحرف العربي أمة آغو؛ والغالا، والأمم الكوشية؛ وأهل هرر.[٨٨]

ثانياً: أشهر أنواع الخط العربي:

الكتابة كما هو معروف هي طريقة تعبير بحروف لغة يعيشها الإنسان. والعرب مثلهم مثل غيرهم من الشعوب اتخذوا لهم حروفاً جعلوها وسيلة لتدوين تراثهم، وما يهم من أمور حياتهم. وكان الخط العربي في بادىء الأمر بسيطاً وعادياً؛ إلا أنه ما لبث أن أصبح بمرور الزمن مظهراً من مظاهر الفن والجمال؛ أخذ الخطاطون يتفننون ويبدعون حروفه. وصار له أنواع كثيرة وأسماء عديدة؛ منها ما ينسب إلى أماكن كالمدني، والكوفي، والمغربي؛ ومنها ما ينسب إلى أشخاص كالريحاني، والياقوتي؛ ومنها ما ينسب إلى وظائف كالديواني.

وفد الخط العربي إلى شبه الجزيرة العربية مع التجارة من بلاد الأنباط؛ إلا أن عرب الجزيرة لم يتمكنوا في بداية الأمر من تطوير خطهم لأسباب عدة، لعل من أهمها مشاغلهم التجارية، وكثرة ترحالهم.

وكما سبقت الإشارة فإن المؤرخين يكادون يجمعون على أن أول من أدخل الكتابة إلى مكة المكرمة هو حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي؛ إلا أن الإقبال القوي على طلب العلم لم يبدأ إلّا بعد ظهور الإسلام، الذي حثهم عليه، بل وشجعهم على ذلك.

وكنتيجة لذلك الإقبال كثر الكتبة، وصار للخط العربي عدة مراكز رئيسية داخل الدولة الإسلامية.

عندما دخلت الكتابة إلى الحجاز وانتشرت في مكة المكرمة سُمي الخط حينئذ بالخط المكي. ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة سمي بالخط المدني. وكانت البصرة أول مدينة إسلامية اختطت سنة ١٤هـ فظهر فيها الخط البصري[٨٩]. ثم ظهرت مدينة إسلامية أخرى انشأها الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ، وهي مدينة الكوفة؛ فانتقل النشاط السياسي إلى هاتين المدينتين؛ كما أصبحتا من المراكز العلمية المشهورة؛ وتبعاً لذلك كثرت الكتابة؛ وصار أهل البصرة والكوفة يطلقون على الخط الذي انتقل إليهم من مكة والمدينة بالخط الحجازي؛ ثم مالبث هذا الخط أن تطور بعد إدخال التحسينات عليه وأسموه بالخط الكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة بالعراق.[٩٠] ثم توالى بعد ذلك ظهور خطوط عربية أخرى كثيرة، سنستعرض فيما يلي أشهرها:

١ ـ الخط المكي والخط المدني:

يبدو أن هذين الخطين هما في الواقع خط واحد تطور عن الخط النبطي، وانتشر في مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ونسب إليهما. ومما يوحي بأنهما خط واحد قول النديم: «فأما المكي والمدني ففي الفاته تعريج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع؛ وفي شكله انضجاع يسير.[٩١] كما أن أهل البصرة والكوفة كانوا يسمون الخط المكي والخط المدني بالخط الحجازي وهو ما يوحي بأنه لا يوجد اختلاف بين الخطين؛ مما يعني أنه خط واحد.

ويتميز الخط الحجازي هذا بإعوجاج أسطره، وبساطة رسم حروفه؛ مما يستنتج منه أن أهل مكة والمدينة لم يكونوا يهتمون كثيراً بالتطوير والتجديد في خطهم. ويعتبر هذا الخط أقدم أنواع الخطوط استعمالاً في تدوين القرآن الكريم.

٢ ـ الخط الكوفي:

سمي هذا الخط بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة بالعراق؛ وهو من أقدم الخطوط العربية؛ بل هناك من يقول بأنه أصل الخطوط العربية؛ ولعل المقصود بهذا القول بداية تطوير الخط، والإهتمام بتحسين شكله عن طريق التفنن في رسم حروفه؛ حيث كانوا يكتبونها بأشكال زخرفية وهندسية بديعة وأخاذة.

لقد نال هذا الخط حظاً وافراً من الجودة والعناية، خاصة في زمن الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. لقد جعل الكُتّاب من سكان الكوفة، الذين عُرف عنهم تميزهم

بالمواهب الابداعية الخاصة من الخط الكوفي فناً زخرفياً يأخذ الألباب، ويشد الأنظار. وللأهمية التي حظي بها هذا الخط فقد أصبح يُستخدم في الكتابات الزخرفية على المباني، والأخشاب، والألواح الزجاجية، والمعدنية ؛ كما استخدم ولازال في كتابة عناوين بعض الكتب.

ونظراً لأن الخط الكوفي وليد الصنعة والفن والإبداع، فإن أحرف كلماته تظهر على شكل أغصان، أو زخارف هندسية ونباتية ؛ كما تأتي ـ أحياناً ـ على أشكال متباينة كمثلثات، ومكعبات، ودوائر؛ مما يجعل غير المتخصصين يواجهون بعض الصعوبات في قراءتها.

والخط الكوفي، الذي يعتمد المسطرة في كتابة حروفه، المبنية على التعامد والتماثل في التراكيب؛ ليس من الخطوط المفضلة لدى معظم خطاطي عصرنا الحاضر؛ وهو عكس ما كان سائداً في القرون الأولى للهجرة؛ إذ تُبين النصوص والأشكال التي وصلتنا مدى اهتمام الكُتاب، والخلفاء، والولاة بهذا الخط الذي كانت تزخرف به المساجد وكتبت به معظم النسخ الخطية لمصاحف ماقبل القرن الرابع الهجري.[(٩٢)]

ونتيجة لما لقيه هذا الخط من عناية فائقة، واقبال شديد؛ وخاصة في العصر العباسي؛ فقد أُدخلت عليه تحسينات بغية تطويره، لكنها أبعدته عن أصله؛ إذ صارت له أساليب، وقواعد، قيل أنها بلغت اثنتا عشرة قاعدة؛ مما جعل له أنواعاً عدة؛ واشكالاً متباينة.[(٩٣)] ومن أشهر أنواع الخط الكوفي:

أ ـ الكوفي القديم:

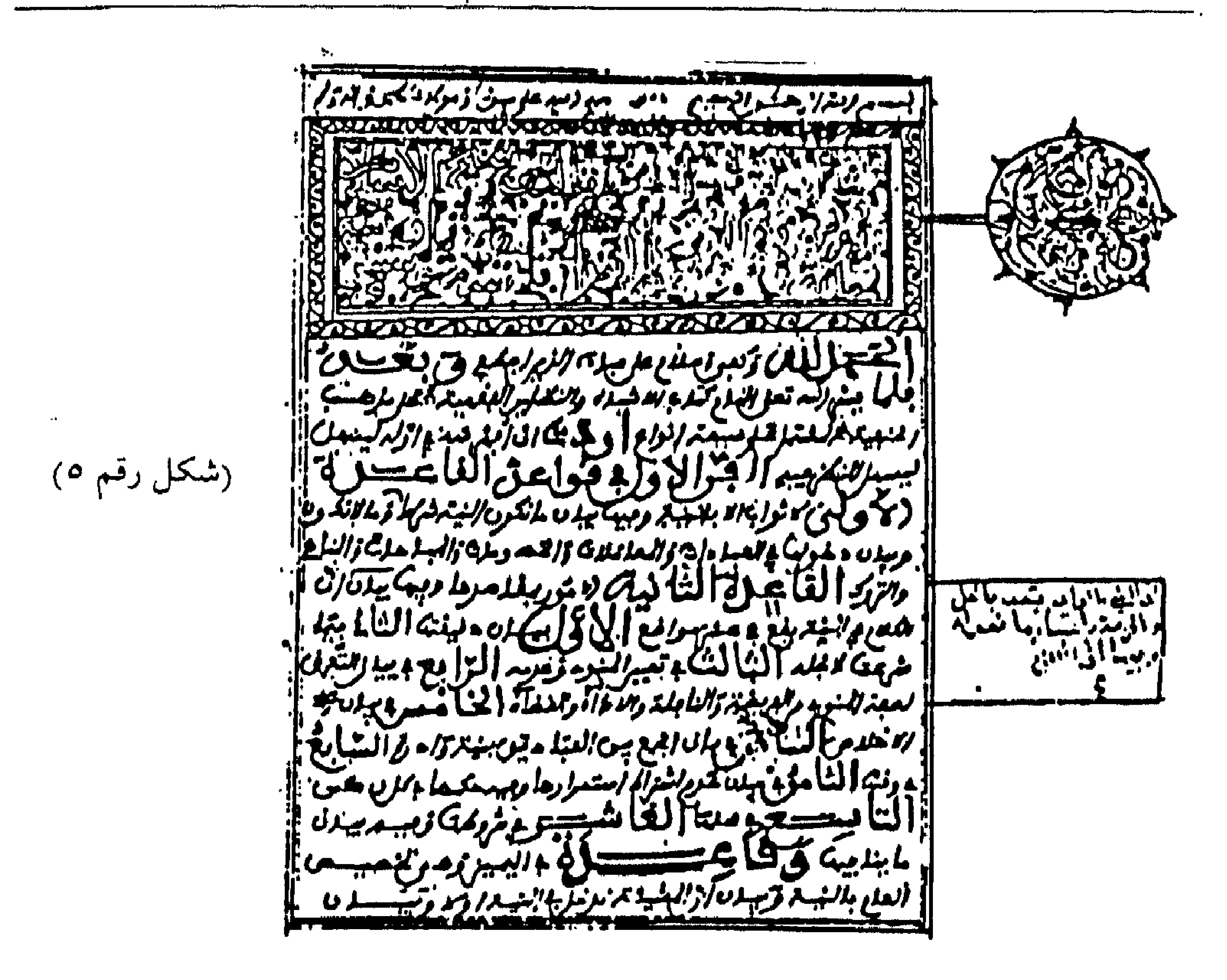
وهو كما يُرى في الشكل رقم (٧) بسيطاً، خالٍ من النقط. وقد استُعمل في كتابة القرآن الكريم.

ب ـ الخط الكوفي المنقوط :

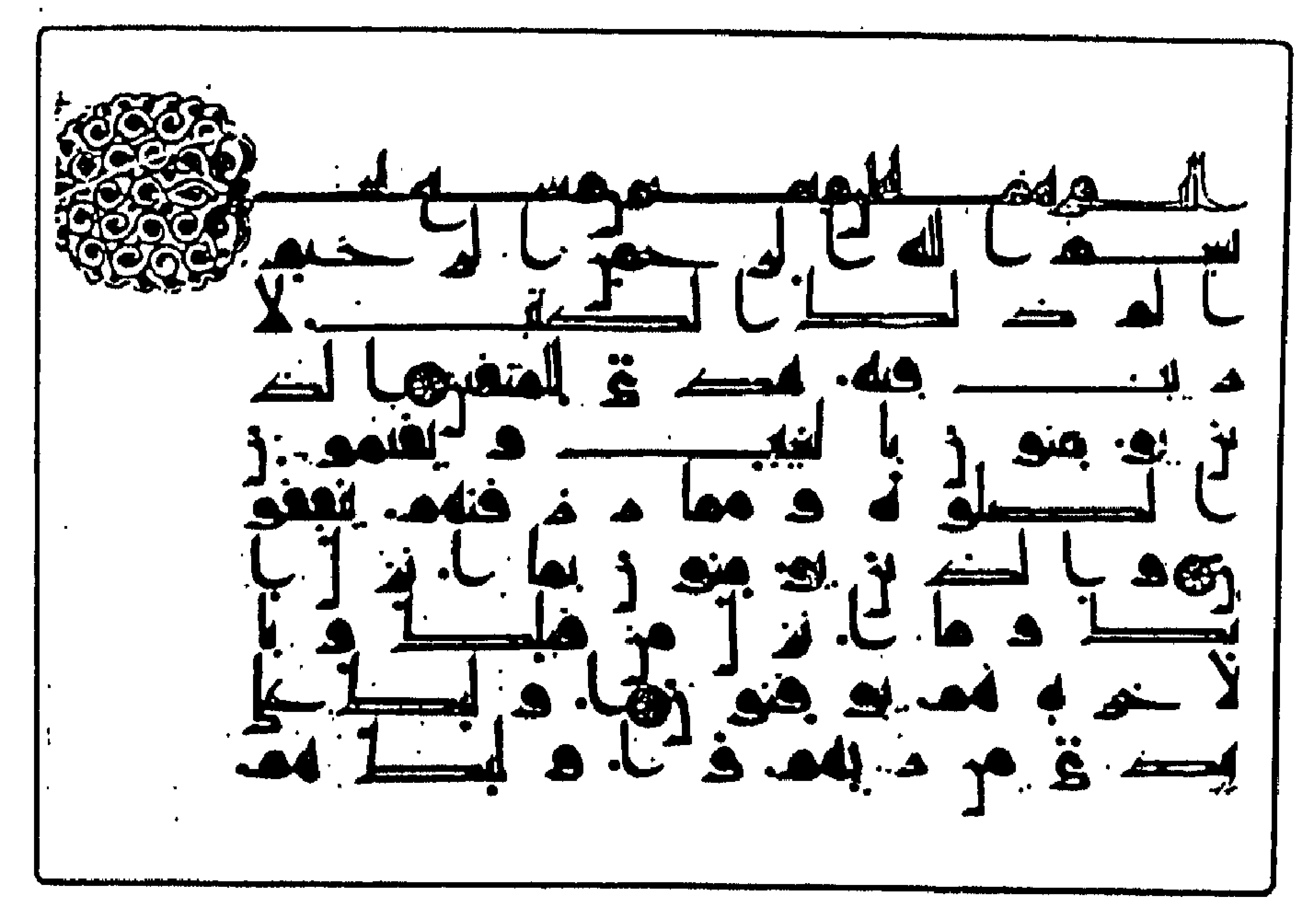
وهو يظهر تطور هذا الخط وتحسنه، كما في الشكل رقم (٨). وقد استُخدم هذا النوع أيضا في كتابة المصاحف وتزيين المساجد.

ج ـ الخط الكوفي الهندسي:

يمتاز عن غيره من أنواع الخط الكوفي بأن أحرفه شديدة الإشتقاق؛ تكتب داخل أشكال هندسية مربعة؛ أو مثلثة، أو مسدسة، أو مستديرة. وأحياناً تكون عبارات بعض النماذج صعبة القراءة لشدة تداخلها وتشابك حروفها؛ (انظر الأشكال رقم ٩ ورقم ١٠ ورقم ١١).



(شكل رقم ٥)



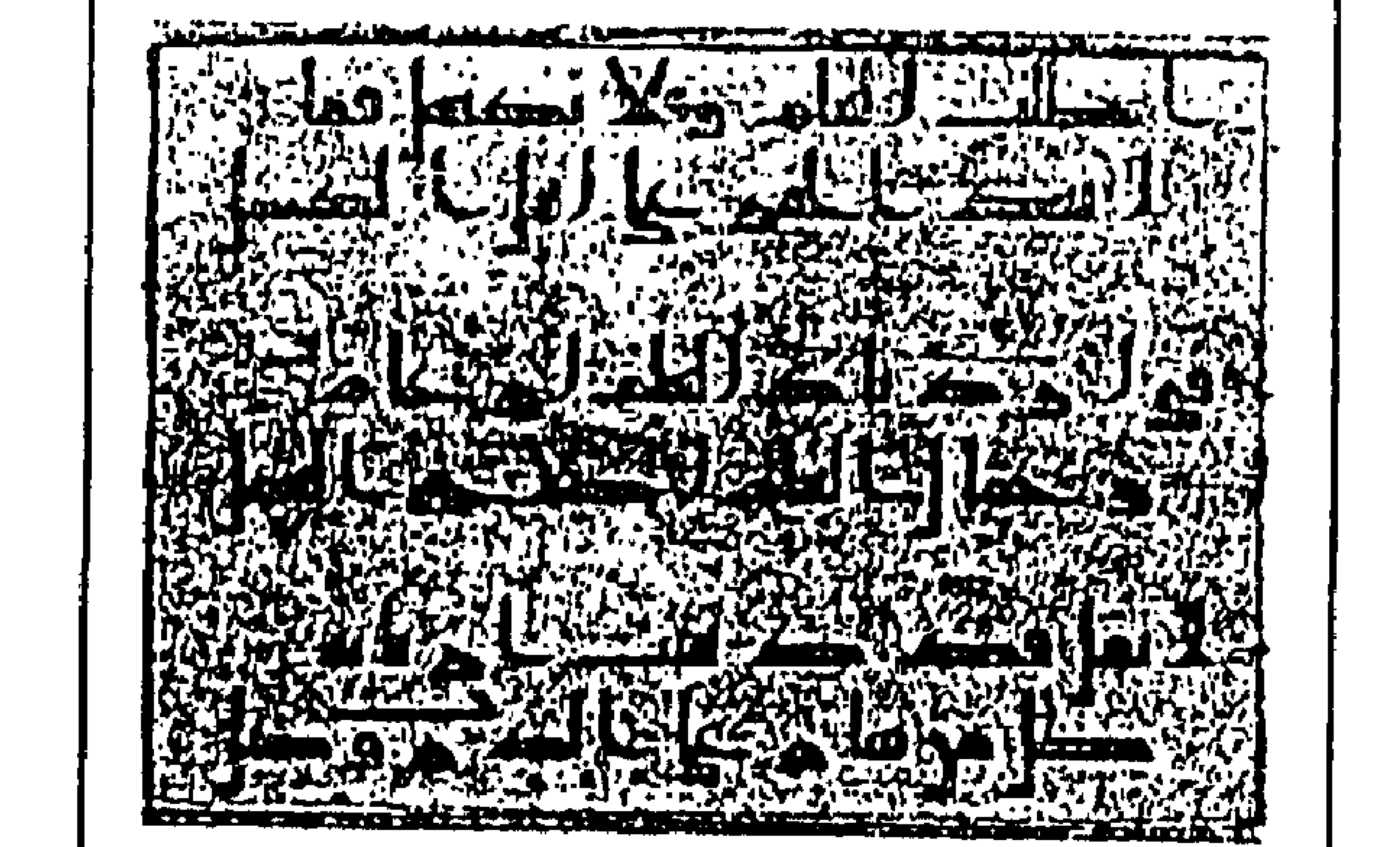
شكل رقم ٦ : صفحة من سورة البقرة بالخط الكوفي المشكول المنقوط من مصحف محفوظ في (المكتبة الوطنية بتونس) من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي

خط كوفي قديم غير منقوط

شكل رقم (٧)

آيات من سورة الأنعام

﴿ . . . خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون . وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم . . . ﴾



شكل رقم (٨)

كتابات بطراز خط القرون الأولى للهجرة؛ وهذا النوع من الخط الكوفي المنقوط كان خاصاً بكتابة المصاحف .

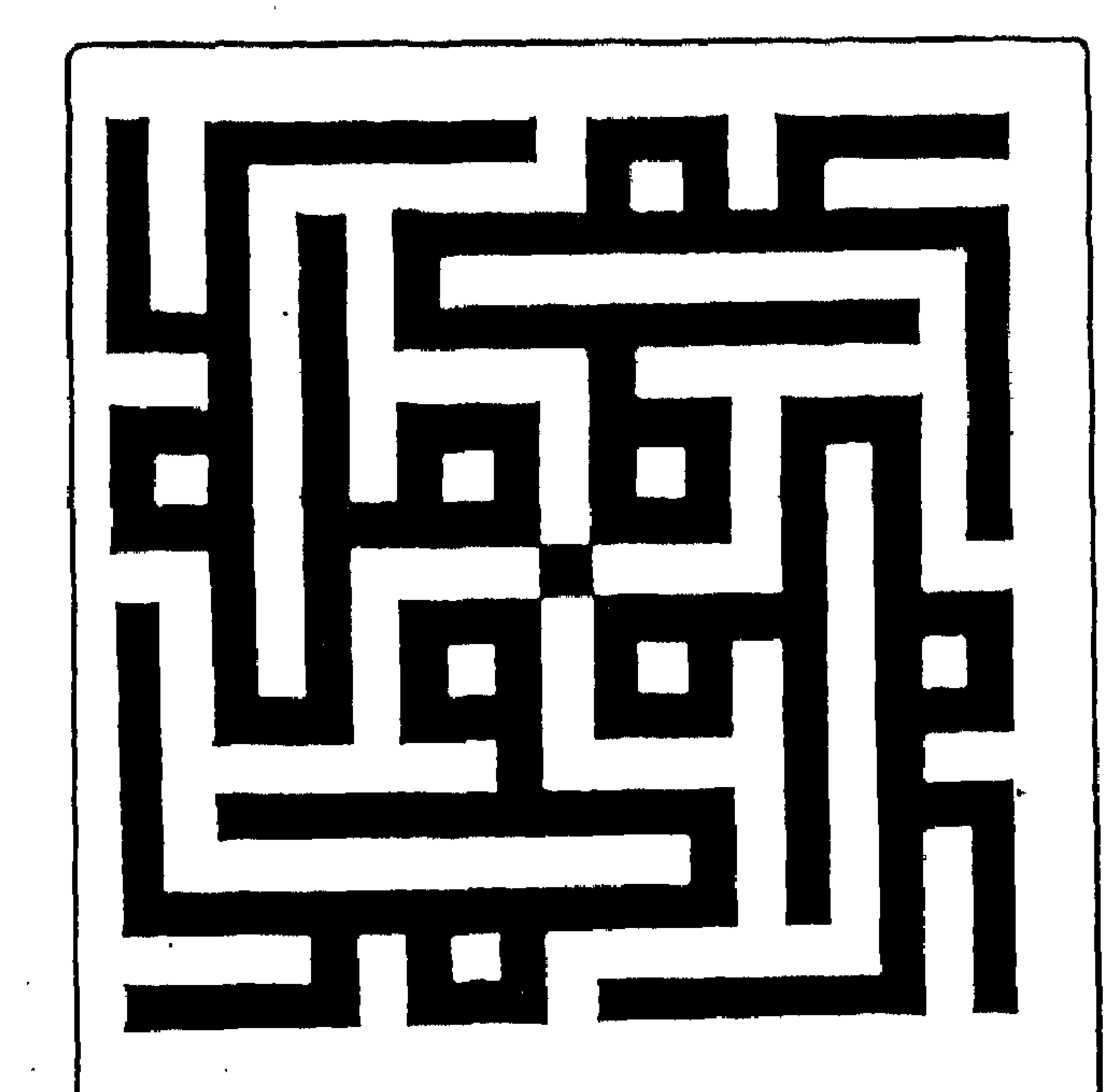
نص ماكُتب هو كالآتي :

١ ـ أطلب العلم ولا تكسل فما   أبعد الخير على أهل الكسل

٢ ـ في ازدياد العلم إرغام العدا   وجمال العلم إصلاح العمل

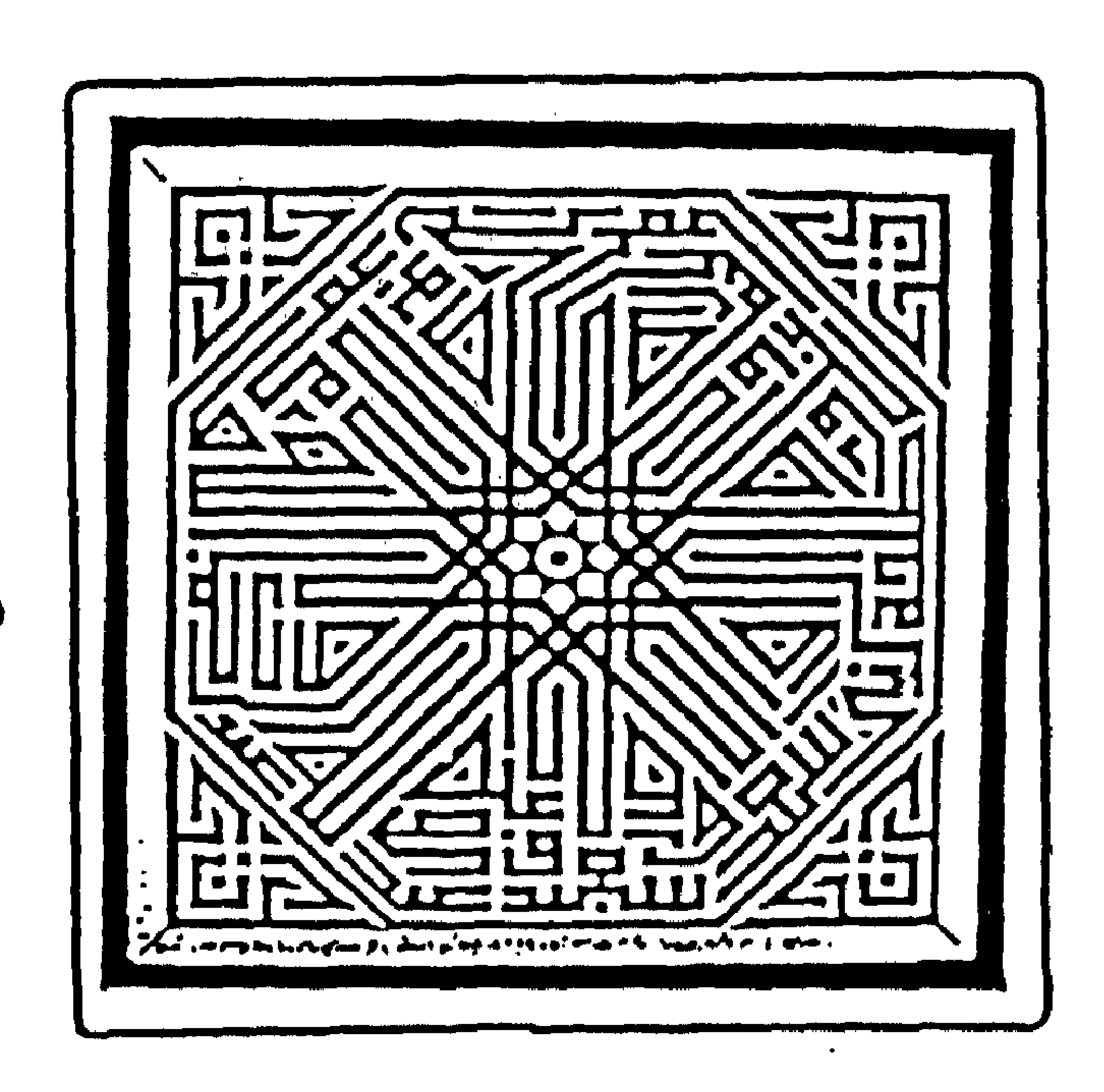
٣ ـ لاتقل قد ذهبت أربابه   كل من سار على الدرب وصل

(الشكل رقم ٩)

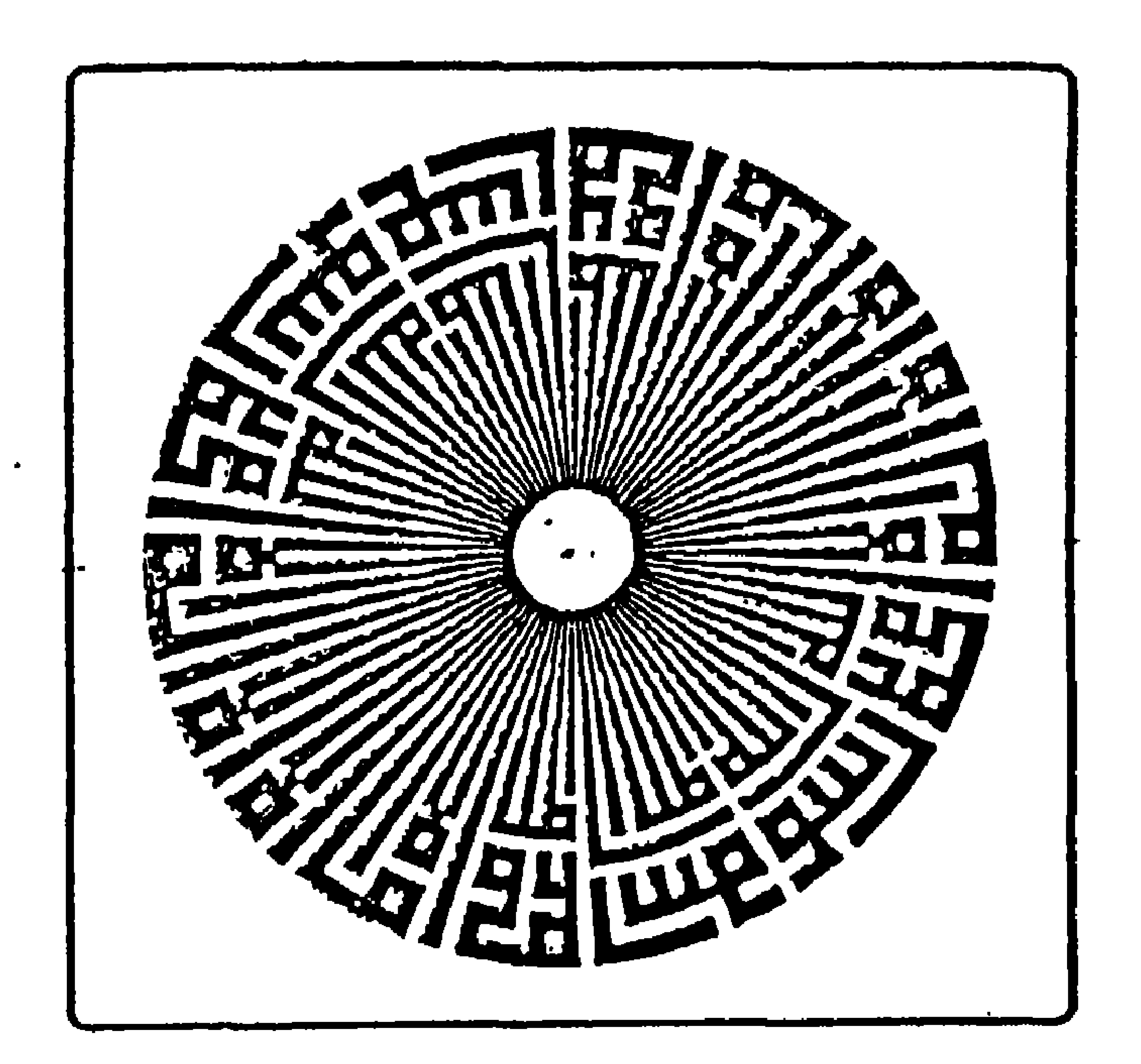


كوفي مربع لكلمة محمد مكررة أربع مرات

(الشكل رقم ١٠)



يحوي هذا الشكل مع لفظ الجلالة واسم النبي أسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة



(الشكل رقم ١١)

خط كوفي مربع بشكل دائرة كررت فيها عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أربع مرات

د ـ الخط الكوفي المظفور:

وتكـون زخـرفته الكتابية على شكل ظفائر، أو عقد مترابطة تربط بين الأحرف، فيظهر من ذلك شكل جميل، يجعل من الصعب التمييز بين حروفه. وقد انتشر هذا النوع في بلاد المغرب العربي، والأندلس؛ وله أمثلة كثيرة في المساجد والجوامع هناك. (أنظر الشكل رقم ١٢ ص ٥٢).

هـ ـ الخط الكوفي المورق:

هذا النوع سمي بهذا الإسم لأن الكُتّاب كانوا يرسمون حروفه على أشكال زخرفية تشبه أوراق الأشجار؛ حيث تكون الحروف مستلقية على شكل يشبه أغصان أشجار تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال. ويوجد نماذج من هذا الأسلوب في عدد من الجوامع المصرية القديمة. ويقال أن التوريق الفاطمي هو أفضل ما وصل إليه هذا النوع من تقدم.[٩٤] (أنظر الشكل رقم ١٣ ص ٥٢).

و ـ الخط الكوفي المزهر:

يمتاز هذا النوع بأن أرضيته ترتكز على زخارف نباتية؛ وهو يعتبر من أكثر أنواع الخط الكوفي أهمية، وأوسعها انتشاراً.[٩٥]

٣ ـ خط النسخ :

هذا الخط يعتبر من الخطوط العربية الأصيلة. ويقال إنه الخط الذي عُرف بالخط الحجازي. أما أسباب تسميته بهذا الإسم فيقال أنه أخذ هذه التسمية لأن الكُتّاب كانوا ينسخون به المصاحف، ويكتبون به المؤلفات منذ القرن الأول الهجري. وهناك من يرى بأن أول من استعمل خط النسخ في عصر صدر الإسلام هو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إلا أن المؤكد استخدامه في دواوين الدولة الإسلامية، وفي مراسلاتها؛ وأنه كان ـ كما أسلفنا ـ يستعمل في نسخ القرآن الكريم والكتب المختلفة منذ القرن الأول؛ فالقلقشندي في كتابه (صبح الأعشى) يشير إلى أن أوراق البردي الأولى قد دلت دلالــة قاطعــة على أن خط النســخ كان مستعمــلاً في الـدواوين والرسائل.(٩٦) ويقول إبراهيم ضمرة عن خط النسخ: إنه الخط الذي عُرف بالخط الحجازي قبل عصر النبوة، وانه بقي متداولاً في صدر الإسلام؛ وأن الناظر في النقوش التي عُثر عليها، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم يرى أصالة هذا الخط.(٩٧)

وتكـاد تجمـع المصادر التي كتبت عن الخط العربي على حدوث تجديد بالغ لخط النسخ؛ وعلى أن سبب شيوع استعمال خط النسخ هو أنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة، مع المحافظة على تناسق الحروف، وجمال الرونق؛ وأن بن مقله (ت ٣٢٨هـ) طوره، ووضع له قواعد اشتقها من خطي الجليل والطومار، واطلق عليه اسم «البـديع». أما ما ذهب إليه الدكتور محمد ماهر حمادة من أن أتابكة الموصل وشمالي سورية هم الذين ابتدعوه في القرن السادس الهجري(٩٨)، فلم أجد ما يؤيده. الجدير بالذكر أن خط النسخ بما يتميز به من وضوح وبساطه أصبح الخط السائد في معظم حروف الطباعة العربية الإعتيادية في الوقت الحاضر.

٤ ـ خط الثلث :

هو من أجمـل الخـطوط العـربية؛ ويطلق عليه «أم الخـطوط»؛ وهو من الخطوط الصعبة؛ إذ لا يعتبر الخطاط خطاطاً إلا إذا أتقنه؛ فإذا أتقنه فإنه يتقن ما سواه بسهولة. وفي الغـالب يقتصر استعـمال هذا الخط على كتابة عناوين الكتب؛ وبعض الآيات القـرآنية؛ وأوائـل سور القـرآن الكـريم؛ وبعض العبارات فوق المحاريب والقباب والواجهات. ويرجع السبب في ذلك إلى صعوبة كتابته، ولأنه يأخذ وقتاً أطول؛ كما لا يستطيع الخطاط التصرف فيه كثيراً لدقته.

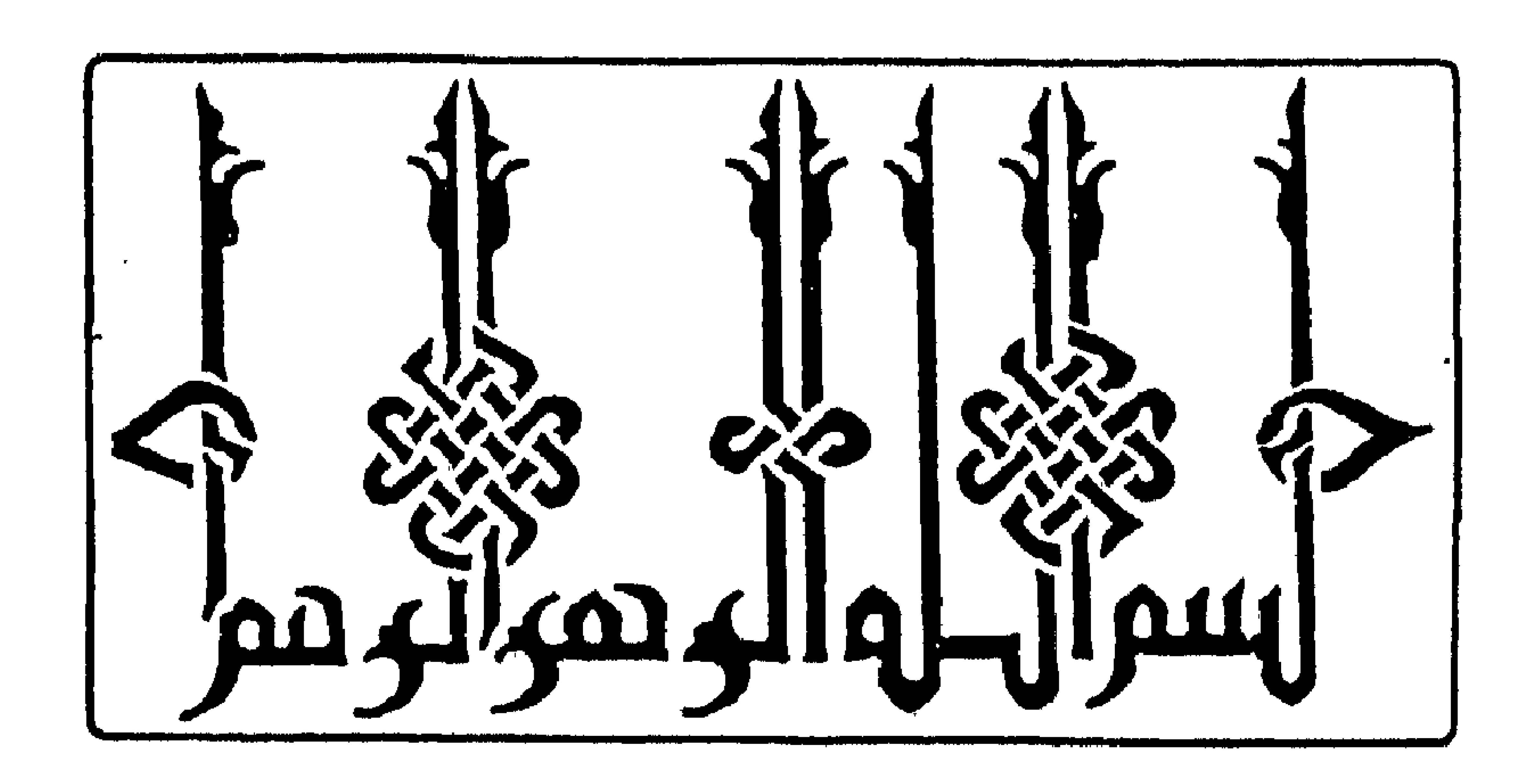
ويقال أن إبراهيم الشجري، وفي رواية أخرى «السجزي» (ت سنة ٢٠٠ هـ) طوره من خط الطومار؛ إلا أن الذي وضع قواعده هو بن مقله. وقلم الطومار هذا هو الآخر مطور عن الخط الكوفي، وهو ـ أي قلم الطومار ـ جميل الشكل؛ كان يقتصر استعماله على توقيع الخلفاء على الأوامر والمكاتبات إلى السلاطين والعظماء. ولعل سبب عدم تفضيل الكتاب لقلم الطومار هو سماكة حروفه التي قدروا عرضها بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون؛ وهو ـ أي البرذون ـ حيوان يستخدم لحمل الأثقال. أما الطومار فإسم للورقة الكبيرة. يقول مؤلف (صبح الأعشى): «المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق... وهو المعبر عنه في زماننا بالفرخه...»[٩٩].

أما تسمية قلم الثلث بهذا الإسم فالمرجح أنه نسبة إلى قلم الطومار إذ أن سماكة قلم الثلث تساوي ثمان شعرات من شعرات البرذون، وهي نسبة تعادل ثلث شعرات قلم الطومار. يقول القلقشندي مؤيداً: «... وإلى ذلك ـ أي إلى ذلك الرأي ـ كان يذهب بعض مشايخ الكتاب الذين أدركناهم...»[١٠٠] إلاّ أن هناك من يرى أن التسمية هي نسبة إلى الوقت، أو الزمن، وما تستغرقه الكتابة في كل من قلمي الثلث والطومار، وذلك أن الرسالة التي تُكتب ـ مثلاً ـ بقلم الطومار في ساعة كاملة يمكن كتابتها بقلم الثلث في ثلث ساعة.[١٠١] (أنظر الأشكال: ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٨).

ولخط الثلث فرع يسمى جلي الثلث، أو الثلث الجلي. ومعنى الجلي أي الخط الظاهر الواضح. (أنظر الأشكال: ٦٥، ٦٧، ٦٩).

٥ ـ خط الرقعة:

هو أسهل أنواع الخطوط العربية. يميل إلى الوضوح والبعد عن التعقيد؛ غالبية أحرفه بسيطة؛ ليس فيه تكلف؛ بعيد عن الزخرفة والتجميل؛ فيه اختصار النقطتين إلى شرطة؛ والثلاث نقط إلى رأس مثلث. يُفضّل معظم الناس استعماله على غيره من الخطوط، نظراً لسهولة كتابته، بل وقراءته أيضاً. يقال أنه مشتق من خطي الثلث والنسخ.[١٠٢] لايعتبر هذا الخط قديماً؛ فهو من خطوط المدرسة التركية العثمانية. ومن أقدم الكتابات التي عُثر عليها بهذا الخط تلك النصوص التي أشار إبراهيم ضمره إلى أنها تعود لسنة ٨٨٦هـ.[١٠٣] (أنظر الشكل رقم ١٤).



(الشكل رقم ١٢)



(الشكل رقم ١٣)

العلم حارس للمال   العلماء مصابيح الأنام   مجالس العلماء وقر

قال النبي عليه السلام

عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق

(الشكل رقم ١٤)

٦ ـ الخط الديواني :

هو خط جميل ومنسق ؛ ابتكره الخطاطون الأتراك ، وبرعوا فيه ؛ وسمي بالديواني لأنه كان يُستعمل في دواوين الدولة العثمانية ؛ فجميع الأوامر السلطانية ، والإنعامات التركية بتقليد النياشين والأوسمة ، والتعيينات في المناصب العليا كانت لا تكتب إلاّ به . ويُطلق عليه ـ أحيانا ـ الخط الهمايوني ، أي المقدس .(١٠٤)

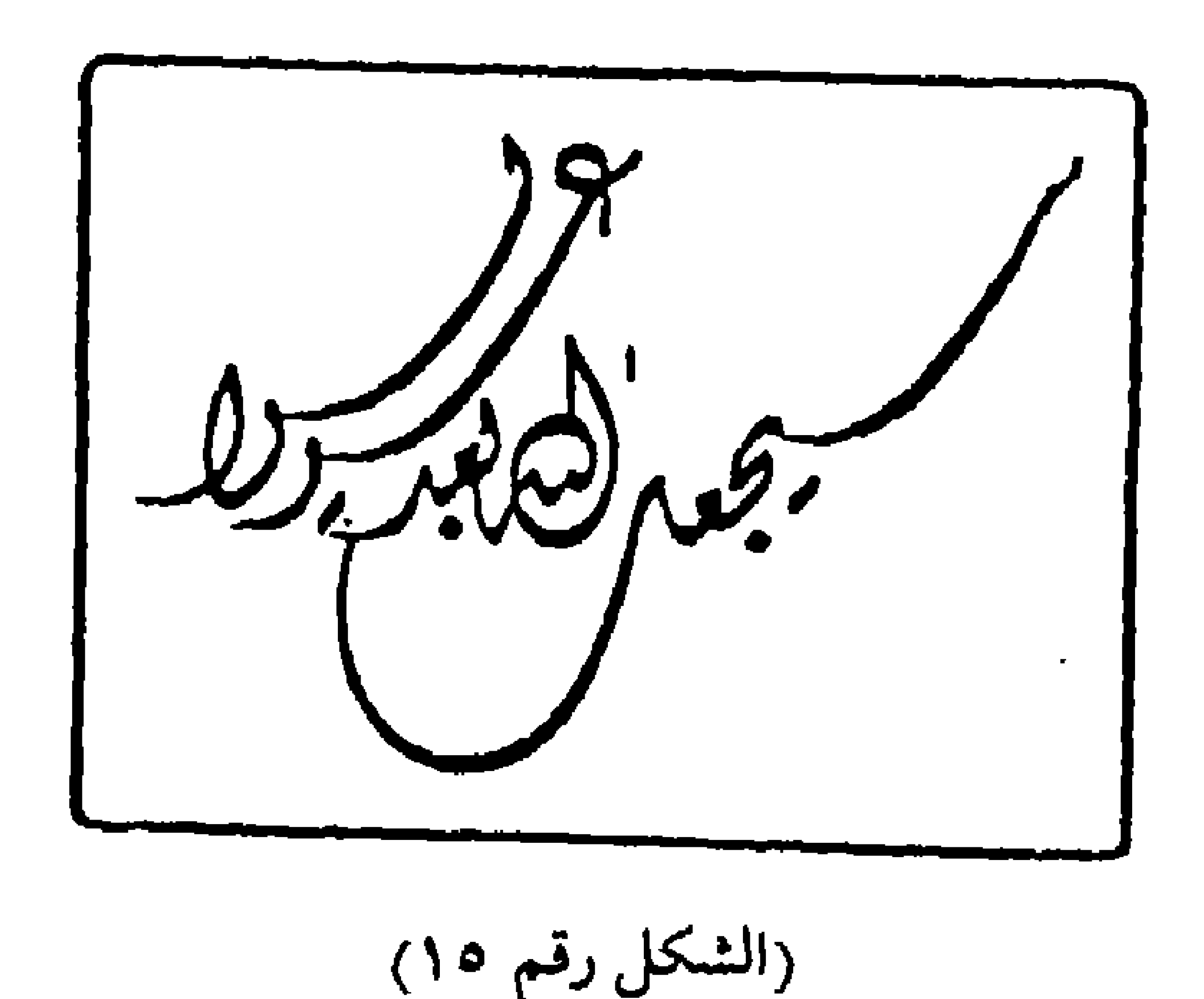
وينقسم الخط الديواني إلى قسمين : ديواني رقعه ، وديواني جلي ؛ فالأول يخلو من الشكل والزخرفة ؛ أما الثاني ، وهو الديواني الجلي ، أو ما يسمى ـ أحيانا ـ بـ «جلي ديواني» فهو خط بهيج ، لطيف ، سطوره مستقيمة من أعلى وأسفل ، متداخلة حروفه كالأغصان والأوراق ؛ مزخرفة بالشكل والنقط . وهذا الخط ـ الديواني الجلي ـ هو عكس اسمه ، إذ أنه ليس واضحاً وجلياً ، إذ لا يمكن قراءته بسهولة من قبل غير المتخصصين . يقول عنه وليد الأعظمي : «وكان الأولى أن يسمى مطموس الديواني ، أو خفي الديواني ، لأنه يصعب فك رموزه .(١٠٥) (أنظر الشكلين رقم ١٥ ورقم ١٦) .

أول من اخترع الخط الديواني ووضع قواعده هو الخطاط التركي إبراهيم منيف ؛ أما الذي ابتدع الخط الديواني الجلي فهو شهلا باشا .(١٠٦)

٧ ـ الخط الفارسي :

لقد كان الفرس قبل الاسلام يكتبون بالخط الفهلوي ، أو البهلوي كما يسمى أحياناً . لكن بعد دخول الإسلام إلى بلادهم ، واعتناقهم له أقبلوا على اللغة العربية يتعلمونها قراءة وكتابة ؛ فانتشرت بينهم ، وحلت الأحرف العربية محل الأحرف الفهلوية . ولا غرابة في اقبالهم الكبير هذا ؛ فاللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم : وبها دونت الأحاديث النبوية الشريفة . ولقد ساعدهم على استعمال الخط العربي أن الكتابة البهلوية أو الفهلوية لم تكن شائعة بين الفرس أنفسهم ؛ كما أن حروفها معقدة ، فوجدوا أن الحروف العربية سهلة ، ومستساغة ؛ بالإضافة إلى كونها ـ بالطبع ـ لغة الدين الذي اعتنقوه .

لقد نافس الفرس العرب في اجادة الخط ؛ فظهر عندهم مايسمى بالخط الفارسي ، الذي شاع استعماله أيضاً في أفغانستان ، وباكستان ، والهند . والخط الفارسي خط بهي المنظر ؛ غاية في الحسن والجمال ، ومن لايتقنه من خطاطيهم لا يعد عندهم خطاطاً .



(الشكل رقم ١٥)



(الشكل رقم ١٦)

للخط الفارسي ثلاثة أنواع :

أ ـ خط الشكستة :

هو أقدم أنواع الخط الفارسي نشأة. وشكسته تعني بالفارسية «المكوّر» ولهذا الخط قواعد خاصة وضعها الخطاط «شفيع»، الذي يقال أنه هو الذي اخترعه. ثم جاء بعده الخطاط درويش عبد الحميد الكالقاني فأكمل القواعد السابقة.(١٠٧) ويبدو أن هذا الخط من الخطوط الصعبة؛ إذ يعتبره الخطاط محمد طاهر كردي طلسماً ولغزاً من الألغاز المعقدة، حيث لا يعرفه إلاّ من تعلمه ومارسه.(١٠٨) (أنظر الشكل رقم ١٧).

ب ـ خط التعليــق :

يشير محمد ماهر حماده إلى أن هذا النوع من الخط الفارسي ظهر في أوائل القرن الثامن الهجري(١٠٩)؛ لكن مصادر أخرى تذكر أن أقدم ماوجد من ذلك الخط الذي سمي «التعليق» كان مؤرخاً سنة ٤٠١هـ.(١١٠)

هذا الخط ليس سهلاً ـ كما قد يعتقد البعض ـ إذ لا يخلو من الغموض. (أنظر الشكلين رقم ١٨ ، رقم ١٩).

ج ـ خط النستعليق :

ظهر هذا الخط في القرن التاسع للهجرة. وأول من اخترعه، ووضع قواعده الخطاط مير علي سلطان التبريزي، المتوفى سنة ٩١٩هـ.[١١١] وهذا الخط كما يبدو من اسمه مشتق من خطي النسخ والتعليق. ولعل كثرة استخدامه في كتابة المخطوطات تعود لما يمتاز به هذا الخط من خفة ولطف، إذ يعتبر اطوع واسلس كثيراً من خطي الشكستة والتعليق (أنظر الشكل رقم ٢٠).

هده تقريباً هي أشهر أنواع الخطوط العربية. ويوجد خطوط عربي ةأخرى كثيرة لم نتطرق إليها لأنها لم تنل نفس الشهرة التي نالتها الأقلام التي تحدثنا عنها. ومن أهم الخطوط التي استعملت ولم نتحدث عنها خط الإجازة، أو التوقيع. والخط المنربي، والخط الريحاني.

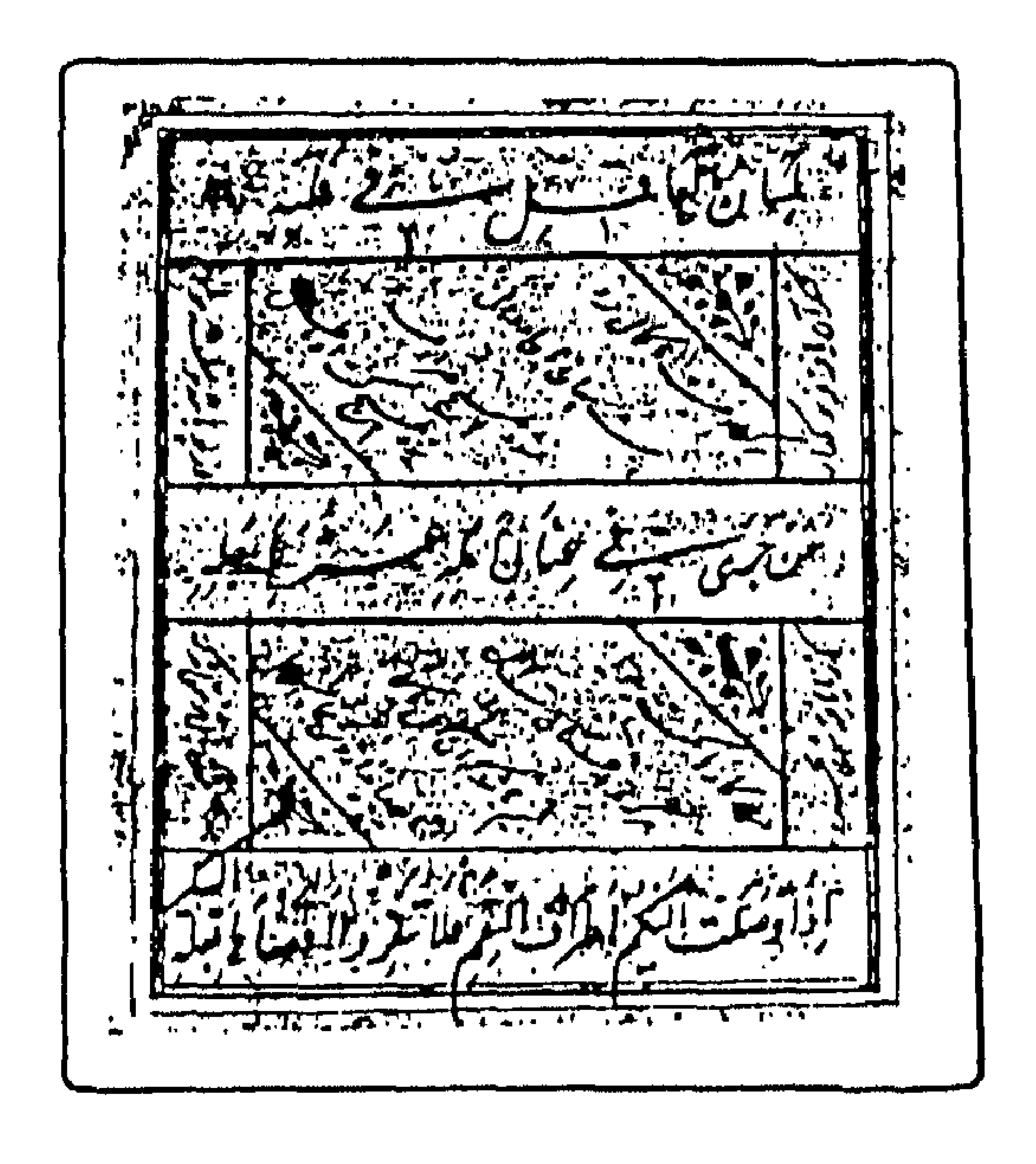


(الشكل رقم ١٧)

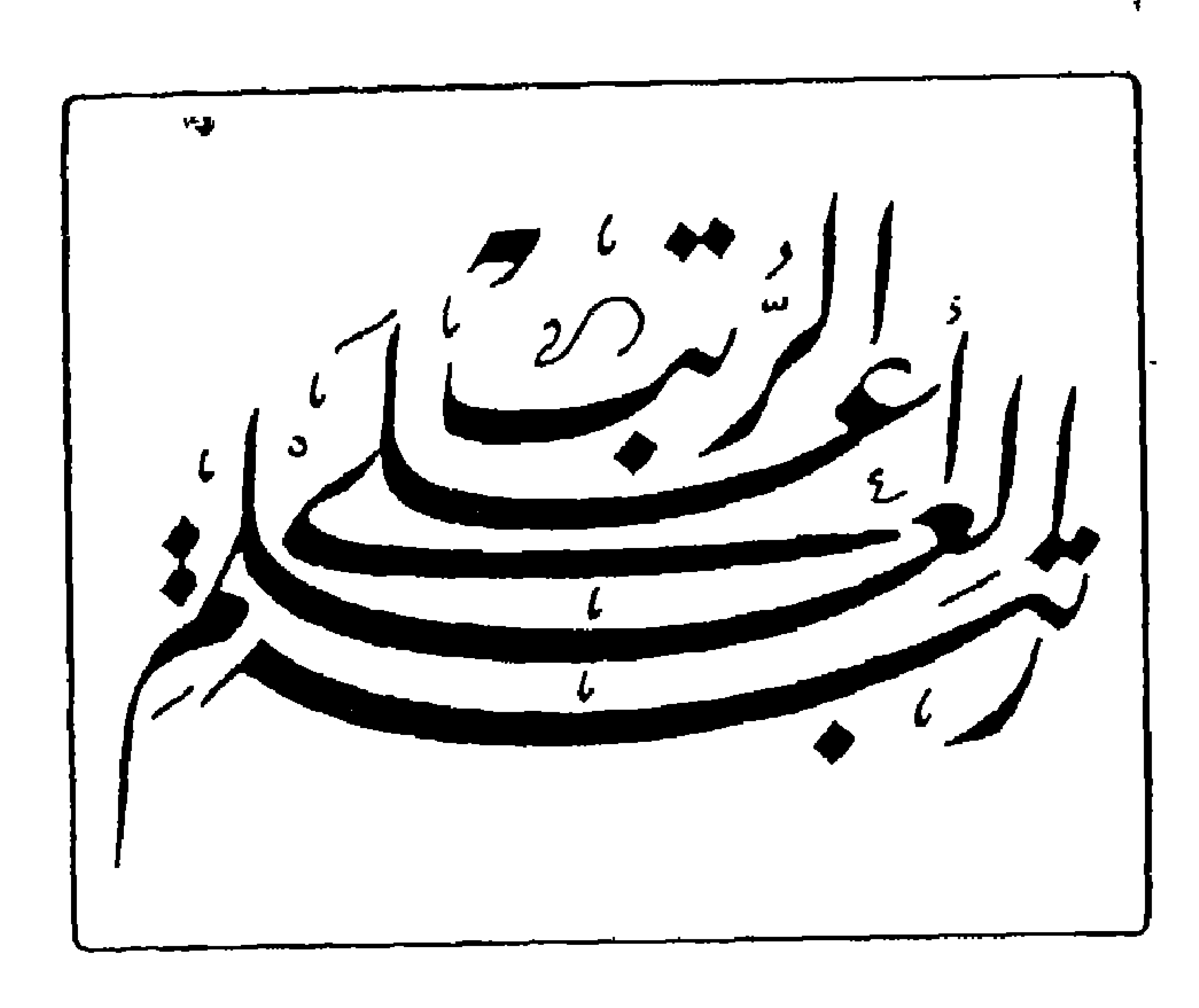
حروف خط التعليق

مع نموذج

(الشكل رقم ١٨)



(الشكل رقم ١٩)



(الشكل رقم ٢٠)

ثالثاً : أشهر أعلام الخط العربي:

الخط العربي فن رفيع، وجمال بديع، يستهوي كل ذي حسن وذوق؛ ولهذا قيل الخط نصف العلم. وقد منَّ الله على كثير من العرب وغيرهم من المسلمين باجادة الخط العربي؛ بل واتقانه والإبداع فيه؛ ولضيق المجال سنستعرض ثلاثة من أشهر الخطاطين الذين نبغوا فيه واستحقوا بكل جدارة أن يخلدوا كما يخلد العظماء. وهؤلاء هم:

١ ـ ابن مقله، أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقله

ولد بن مقلة في بغداد سنة ٢٧٢هـ. نبغ في الخط العربي حتى أبدع فيه. كان خطاطاً ووزيراً لثلاثة من الخلفاء العباسيين هم المقتدر بالله؛ والقاهر بالله؛ والراضي بالله. يعتبر بن مقلة المؤسس الأول لقاعدتي الثلث والنسخ اللتان سار عليهما الخطاطون.[١١٢] كما أنه هو الذي أطلق على خط النسخ اسم «البديع»، وهو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط، وضبطها ضبطاً محكماً.[١١٣]

عاش بن مقلة حياة مترفه في عهد الخليفة الراضي بالله؛ لكن لسوء حظه وشي به إلى الخليفة الذي أمر بقطع يده اليمنى؛ وفي ذلك قال بن مقله وهو ينوح على يده ويبكي: «خدمت بها الخلفاء؛ وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ثم أنشد:

إذا مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب[١١٤]

لكن الخليفة الراضي أخلى سبيله، واكرمه؛ وعينه في الوزارة من جديد؛ غير أن سوء الحظ كان يطارده حيث قطع لسانه وسُجن حتى مات رحمة الله عليه؛ وكانت وفاته سنة ٣٢٨هـ. (١١٥)

٣ ـ ابن البواب، أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المعروف بابن البواب:

قرأ بن البواب القرآن واتقنه؛ وتلقن علوم العربية على يد شيخه عثمان بن جني؛ كما تتلمذ على يد محمد بن أسد بن سعيد الكاتب، تلميذ بن مقلة. ولأن بن البواب كان محباً للفن مولعاً بالخط العربي فقد بز بن مقلة بعد أن أتقن قاعدته في الخط، إذ بعد أن جودها هذّبها ونقّحها وكساها بإحساسه المرهف، وذوقه الرفيع بهجة وجمالاً.

قال أبو العلاء المعري يمدح خط بن البواب:

ولاح هلال من فنون أجادها　　　بماء النضار الكاتب بن هلال

كان بن البواب يتمتع بقدر كبير من اللياقة والأدب وحسن الخلق؛ له في الكتابة النثرية أسلوب رفيع متميز، وله بعض القصائد الشعرية؛ إلا أن مستوى شعره لا يرقى إلى نثره.

كتب بن البواب أربعة وستين مصحفاً، توجد منها نسخة أصلية بخطه في مكتبة جستر بيتي في مدينة دبلن الايرلندية، (١١٧) وأخرى مصورة عنها في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض.

لابن البواب قصيدة في الخط يقول في أولها:

يامن يريد إجادة التحرير　　　ويروم حسن الخط والتصوير
ان كان عزمك في الكتابة صادقاً　　　فارغب إلى مولاك في التفسير (١١٨)

أسس في حياته مدرسة لتعليم الخطوط ظلت إلى زمن الخطاط جمال الدين ياقوت المستعصمي. توفي بن البواب رحمة الله عليه في بغداد بالعراق سنة ٤١٣هـ، وقيل سنة ٤٢٣هـ، ودفن بجوار الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. (١١٩)

٣ ـ المستعصمي، جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي:

يكنى بأبي الدر، وقيل بأبي المجد. رومي الأصل، وسمي بالمستعصمي لأنه كان من مماليك الخليفة العباسي المستعصم بالله. درس مختلف العلوم والفنون. عمل خازناً لمكتبة المدرسة المستنصرية، فأفاد منها كثيراً. له عدد من المؤلفات منها رسالة في علم الخط.

كان محباً للأدب، مولعاً بالشعر؛ كما تميز بثقافة واسعة. عشق ياقوت الخط العربي في وقت مبكر من عمره، فبرع فيه وأبدع؛ فكان خطه في غاية الروعة والجمال، حتى قيل أنه فاق بن البواب في جمال الخط، وحسن تنسيقه.[١٢٠] وأصبح ياقوت مضرب المثل في حسن الخط وجودته؛ فكان الخطاطون ومازالوا يقلدونه، ويسيرون على نهجه.

يقال أنه كتب ألف مصحف ومصحف؛[١٢١] ولكن أغلب المصادر التي اطلعت عليها لم تؤكد أكثر من ثلاثة مصاحف.

عاش عمراً طويلاً قيل أنه بلغ ١٨٠ سنة[١٢٢]؛ وفي تاريخ وفاته أقوال، فالكردي ذكر أنه توفي سنة ٦١٨هـ ويحيى سلوم العباسي أورد وفاته سنة ٦٩٨هـ؛ منبهاً في الهامش إلى أن الذي توفي سنة ٦١٨هـ هو ياقوت الملكي؛[١٢٣] كما أن الكردي اشار إلى ماورد في تحفة الخطاطين من أن وفاته كانت سنة ٦٩٩هـ؛ ولعل هذا أقرب إلى الصواب؛ إذ أورد إبراهيم ضمرة في كتابه (الخط العربي: جذوره وتطوره) نموذجين لخط ياقوت بيده مؤرخان في عامي ٦٨١هـ و ٦٨٢هـ[١٢٤]؛ مما يعني ـ إن صح ـ أنه توفي في أواخر القرن السابع للهجرة.

مراجع الباب الأول

١ ـ الكردي، محمد طاهر. تاريخ الخط العربي وآدابه. ط ٢؛ الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون؛ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م؛ ص ٢٩.

٢ ـ خان، مجيد. نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية. ترجمة/ عبد الرحمن علي الزهراني. الرياض: وزارة المعارف ـ الادارة العامة للآثار والمتاحف؛ ١٤١٣هـ، ص ٨.

٣ ـ المصدر السابق، ص ٢٠.

٤ ـ المصدر السابق، ص ٢٤.

٥ ـ سورة البقرة: الآية ٣١.

٦ ـ القلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، مج ٣، ص ٩.

٧ ـ النويري، شهاب الدين أحمد. نهاية الأرب في فنون الأدب. ط ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية؛ ١٩٢٩م، مج ٧، ص ١.

٨ ـ إبن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد. العقد الفريد. ط ٢. تحق/ أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، مج ٤، ص ٢١١.

٩ ــ إبن خلدون، عبد الرحمن. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. القاهرة: دار الطباعة الخديوية؛ ١٩٧١م، مج ١، ص ٣٤٩.
١٠ ــ النديم، ابو الفرج محمد بن إسحاق. كتاب الفهرست. ط ٣. تحق/ رضا تجدد. بيروت: دار المسيرة؛ ١٩٨٨م، ص ٧. وانظر «صبح الأعشى» للقلقشندي، مج ٣، ص ١١.
١١ ــ القلقشندي. المصدر السابق، مج ٣، ص ١٢.
١٢ ــ الكردي. المصدر السابق، ص ٣٤.
١٣ ــ النديم. المصدرالسابق، ص ٨. وانظر «صبح الأعشى» مج ٣، ص ١٣.
١٤ ــ إبن خلدون. المصدر السابق، مج ١، ص ٣٤٩.
١٥ ــ الجبوري، تركي عطية عبود. الخط العربي الإسلامي. بيروت: دار التراث الإسلامي؛ ١٩٧٥م، ص ص ١٣ـ١٦.
١٦ ــ حماده، محمد ماهر. الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً. الرياض: دار العلوم؛ ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م، ص ص ٣٩ـ٤٠.
١٧ ــ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. كتاب فتوح البلدان. تحق/ صلاح الدين المنجِّد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م، ص ٥٧٩. وانظر «الفهرست» للنديم، ص ص ٧ـ٨.
١٨ ــ الخط العربي من خلال المخطوطات. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية؛ ١٤٠٦هـ، ص ١٩.
١٩ ــ حماده. المصدر السابق، ص ص ٤٤ـ٤٥.
٢٠ ــ السامرائي، قاسم أحمد. «تاريخ الخط العربي وأرقامه» مجلة عالم الكتب؛ مج ١٦، ع ٦، الجماديان ١٤١٦هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٥م، ص ٥٢٣.
٢١ ــ الكردي. المصدر السابق، ص ٦٦. وانظر «الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً» لمحمد ماهر حماده، ص ٤٢؛ وكتاب «صبح الأعشى» مج ٣، ص ص ١٣ـ١٤.
٢٢ ــ سورة القلم: الآية ١.
٢٣ سورة الفرقان: الآية ٥.
٢٤ــ سورة الإسراء: الآية ٩٣.
٢٥ ــ القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ ١٩٦٥، مج ١٤، ص ١٧٨.
٢٦ ــ الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي. ط ٢٣؛ القاهرة: مكتبة نهضة مصر بالفجالة؛ لا.ت. ص ٦٦.
٢٧ ــ سورة المائدة: الآية ٥٠.
٢٨ ــ سورة آل عمران: الآية ١٥٤.
٢٩ ــ إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر؛ ١٩٥٦م ـ ١٣٧٥هـ، مج ١، ص ٥٩٩.

٣٠ ــ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. الفائق في غريب الحديث. تحق/ علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية؛ ١٩٤٥ـ١٩٤٨م، مج ٢، ص ١٥٠.
٣١ ــ سورة الطور: الآيات: ١ـ٣.
٣٢ ــ الحلوجي، عبد الستار. المخطوط العربي. ط ٢. جدة: مكتبة الصباح؛ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص ٢٢.
٣٣ ــ السيد يوسف، مصطفى مصطفى. العلم وصيانة المخطوطات. جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع؛ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٢٠.
٣٤ ــ حموده، محمود عباس. تاريخ الكتاب الإسلامي. القاهرة: مكتبة غريب. لا.ت.، ص ٧٨.
٣٥ ــ إبن منظور. المصدر السابق؛ مج ٢، ص ٣٦٨.
٣٦ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٢٢.
٣٧ ــ الزيات، حبيب. «صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام»؛ مجلة المشرق. مج ٤٨؛ ١٩٥٤م، ص ١٥.
٣٨ ــ فتوحي، ميري عبودي. فهرسة المخطوط العربي. بغداد: دار الرشيد للنشر؛ ١٩٨٠، ص ٢٣.
٣٩ ــ زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي. القاهرة: دار الهلال؛ ١٩٥٨، مج ١، ص ٢٥٩.
٤٠ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٢٥.
٤١ ــ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. القاهرة: مط. إدارة الوطن؛ ١٢٩٩هـ، مج ٢، ص ٢٣٠.
٤٢ ــ القلقشندي. المصدرا لسابق؛ مج ٢، ص ٥١٦.
٤٣ ــ سورة الأنعام: الآية ٧.
٤٤ ــ سورة الأعلى: الآيات ١٦ ـ ١٧.
٤٥ ــ القلقشندي. المصدر السابق؛ مج ٢، ص ص ٥١٥ ـ ١٦.
٤٦ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٢٧.
٤٧ ــ السيد يوسف. المصدر السابق؛ ص ٢٧.
٤٨ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٢٣.
٤٩ ــ حسب الله، سيد؛ ومحمد جلال غندور. تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية. الرياض: دار المريخ للنشر؛ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص ٣٢.
٥٠ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ص ٣٣ـ٣٤.
٥١ ــ المصدر السابق؛ ص ٣٤.
٥٢ ــ سورة القلم: الآية ١.
٥٣ ــ سورة العلق: الآيات ٣ـ٤.

٥٤ ـ سورة الشعراء: الآية ١٩٦ .
٥٥ ـ السيد يوسف. المصدرالسابق؛ ص ٢٥ .
٥٦ ـ القلقشندي. المصدر السابق؛ مج ٢، ص ص ٥٠٠ـ٥٠١ .
٥٧ ـ المصدر السابق؛ ص ٥٠١ .
٥٨ ـ المصدر السابق؛ ص ٥٠٠ .
٥٩ ـ سورة الكهف: الآية ١٠٠ .
٦٠ ـ القلقشندي. المصدر السابق؛ مج ٢، ص ٥٠٣ .
٦١ ـ المصدر السابق؛ ص ٥٠٤ .
٦٢ ـ سورة التوبة: الآية ٣.
٦٣ ـ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحق/ عطيه عامر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية؛ ١٩٦٦، ص ص ٦ـ٧.
٦٤ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٧٩.
٦٥ ـ المصدر السابق؛ ص ص ٧٩ـ٨٠.
٦٦ ـ سورة الأعراف: الآية ١٥٦.
٦٧ ـ يعقوب، إميل. الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه. لبنان: جروس برس؛ ١٩٨٦، ص ٣٢.
٦٨ ـ المصدر السابق؛ ص ٢٩.
٦٩ ـ الأسد، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي. ط ٣. القاهرة: دار المعارف؛ ١٩٦٦م، ص ٣٤.
٧٠ ـ الكردي. المصدر السابق؛ ص ص ٩٢ـ٩٣.
٧١ ـ يعقوب. المصدر السابق؛ ص ص ٣١ـ٣٢.
٧٢ ـ حموده. المصدر السابق؛ ص ٩٣.
٧٣ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٨٢.
٧٤ ـ يعقوب. المصدر السابق؛ ص ص ٣٦ـ٣٧.
٧٥ ـ العباسي، يحيى سلوم. الخط العربي: تاريخه وأنواعه. ط ١؛ بغداد: مكتبة النهضة؛ ١٩٨٤م، ص ٣٦.
٧٦ ـ حموده، محمود عباس. دراسات في علم الكتابة العربية. القاهرة: مكتبة غريب؛ لا. ت.، ص ٥٢.
٧٧ ـ يعقوب. المصدر السابق؛ ص ٤٠.
٧٨ ـ سورة يوسف: الآية ٢.
٧٩ ـ العباسي. المصدر السابق؛ ص ٣١.
٨٠ ـ حماده. المصدر السابق؛ ص ١٣٣.
٨١ ـ الكردي. المصدر السابق؛ ص ٥٩.
٨٢ ـ حموده. دراسات في علم الكتابة العربية؛ ص ٧٢.

٨٣ ــ المصدر السابق.
٨٤ ــ المصدر السابق.
٨٥ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٨.
٨٦ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ١٥٦.
٨٧ ــ ضمره، إبراهيم. الخط العربي: جذورة وتطوره. ط ٢. الأردن - الزرقاء: مكتبة المنار؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٩٠.
٨٨ ــ حموده. دراسات في علم الكتابة العربية؛ ص ٨٥.
٨٩ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ١٥٧
٩٠ ــ ضمرة. المصدر السابق؛ ص ص ٩٨-٩٩.
٩١ ــ المصدر السابق؛ ص ٩٩.
٩٢ ــ حماده المصدر السابق؛ ص ٩٩.
٩٣ ــ القلقشندي. المصدر السابق؛ مج ٣، ص ٥٤.
٩٤ ــ المصدر السابق؛ ص ٥٣.
٩٥ ــ الحلوجي، المصدر السابق؛ ص ١٤٦.
٩٦ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١٢٠.
٩٧ ــ المصدر السابق.
٩٨ ــ المصدر السابق؛ ص ١٢٤.
٩٩ ــ الأعظمي، وليد. تراجم خطاطي بغداد المعاصرين. بغداد: مكتبة النهضة؛ ص ١٩٧٧؛ ص ٩١.
١٠٠ ــ الكردي. المصدر السابق؛ ص ١١٣. وانظر محمود عباس حموده«دراسات في علم الكتابة العربية»، ص ١١٠.
١٠١ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١١٦.
١٠٢ ــ الكردي. المصدر السابق؛ ص ١١٧.
١٠٣ ــ حماده. المصدر السابق؛ ص ١٣١.
١٠٤ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١١٥.
١٠٥ ــ الكردي. المصدر السابق؛ ص ٣٩٥.
١٠٦ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١٤٥.
١٠٨ ــ الكردي. المصدر السابق؛ ص ٣٩٥.
١٠٩ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ٠٨٧
١١٠ ــ المصدر السابق.
١١١ ــ المصدر السابق؛ ص ٩٠.
١١٢ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١٥٧.
١١٣ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ٩٠.

١١٤ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١٦٥ .
١١٥ ــ المصدر السابق؛ ص ١١٦ . وانظر يحيى سلوم العباسي، ص ٩٣؛ ومحمد طاهر الكردي، ص ٤١٣ .
١١٦ ــ الكردي . المصدر السابق؛ ص ٤١٣ .
١١٧ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ٩٣.
١١٨ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ص ١٦٧، ١٦٩ .
١١٩ ــ المصدر السابق؛ ص ١٥٩ . وانظر «الخط العربي. . .» ليحيى العباسي، ص ٩٠.
١٢٠ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١٦٦ .
١٢١ ــ المصدر السابق؛ ص ص ٤١٣ .
١٢٢ ــ الكردي. المصدر السابق؛ ص ٤١٣ .
١٢٣ ــ العباسي. المصدر السابق؛ ص ٩٣.
١٢٤ ــ ضمره. المصدر السابق؛ ص ١١٦ .

البـــاب الثاني

الفصل الخامس: تعريف المخطوط.
الفصل السادس: صناعة الكتاب العربي المخطوط.
الفصل السابع: الوراقة والوراقون.
الفصل الثامن: ملامح الكتاب العربي المخطوط.
الفصل التاسع: المخطوطات العربية في العالم.
الفصل العاشر: صيانة المخطوطات.
مراجع الباب الثاني.

الفصل الخامس

تعريف المخطوط

لم يرد لفظ «مخطوط» في المعاجم العربية، وخاصة القديم منها؛ إذ يبدو أن هذا المسمى لم يكن معروفاً ومتداولاً قبل عصر الطباعة. يقول أحمد شوقي بنبين: «لفظ مخطوط حديث في العربية، يبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع. أما قبل ذلك فكانوا يقولون: «تأليف أو مؤلفات؛ كتب الأصول؛ الكتب الأمهات، أو الكتب الأساسية؛ لأنها كانت تحوي أساسيات العلم». [1]

وبالبحث عن تعريف بغير العربية للمخطوط تبين أن هناك لفظان، أحدهما قديم ويُطلق عليه Codex ؛ وهو لفظ لاتيني، فسّره قاموس كولير Collier's Dictionary بأنه الكتابة الأثرية القديمة؛ وتعني الكتابة الأثرية على الألواح[2]. أما قاموس المورد فقد ترجم كلمة كوديكس Codex بأنها تعني باللاتيني كتاب؛ أي مخطوط؛ والجمع Codecics أي مخطوطات[3]. وفي المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات ورد لفظ كوديكس Codex بأنه يعني سِفْر، أو كُرّاس، أو كتاب مخطوط على رق، أو على ورق بردي؛ وأنه كان يُطلق في الأساس على لوحين من المعدن أو الخشب أو العاج مربوطين معاً بمفصلة ذات حلقات، وأن الجوانب الداخلية للوحين كانت تغطى بالشمع ثم يُكتب عليها. . . ؛ ثم أُطلق هذا الإسم فيما بعد على الكتب المصنوعة بهذا الشكل من البردي أو الرق[4]. والمقصود بالكتب هنا ـ كما يبدو ـ الكتب المخطوطة؛ ولعل ما يؤكد ذلك إستشهاده بوجود أسفار دينية قديمة في كل من بريطانيا وفرنسا؛ وهي مكتوبة على رق؛ ومنها ـ على سبيل المثال ـ سِفْر الإسكندرية Codex Alexandrinus ، وسفر بيزا Bezae Codex وسِفر أفرام Codex Rescriptus Aphraemi [5] إلاّ أن أحمد شوقي بنبين أشار إلى أن لفظ كوديكس باللاتيني يستثني كل ما ليس بكتاب كالقراطيس واللوحات واللفائف؛ غير أنه لم يأت بأدلة تدعم هذا الرأي[6].

أما اللفظ الثاني، وهو الأحدث والأكثر شيوعاً فهو ما يُسمّى باللغة الإنجليزية Manuscript ؛ وهذه الكلمة تأتي في بعض المراجع محدودة الإستعمال كما في قاموس Collier's Dictionary إذ يقـول إنها تعني الكتـاب أو الـوثيقـة المكتوبة باليد، أو بالآلة الكاتبة؛ وخاصة قبل عصر الطباعة(٧). أما في قاموس المورد فقد وردت الترجمة مشابهة وإن كانت مختصرة؛ فهو يقول بأن كلمة Manuscript تعني المخطوطة المكتوبة باليد أو مطبوعة على الآلة الكاتبة(٨).

وهناك مصادر أُخرى تتوسع في تعريف كلمة Manuscript ؛ فقد وردت في كتاب The Random House Thesaurus بأنها تعني ما طُبع على الآلة الكاتبة، أو كُتب بخط اليد؛ ويشمـل ذلك الوثائق والمستندات(٩). أيضا وردت الترجمة في المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات بأنها تعني المخطوط، أو الكتابة التي أُعدت باليد، أو بالآلـة الكـاتبة، أو نُقشت على ألواح من الطين أو الحجارة؛ سواء جاءت على شكل كتاب، أو أوراق شخصية. أما إذا قيل Manuscript book فهذا تمييز بأنه كتاب لا وثيقة ولا شيء آخر غير كتاب.(١٠)

يؤيد هذا التوسع في تعريف كلمة Manuscript كينث دوكيت. Kkenneth W. Duckett في كتابه Modern Manuscripts حيث يقول بأنها تشمل كل ما كُتب بخط اليد، أو بالآلة الكاتبة؛ بما في ذلك النسخ الكربونية؛ وكذلك المستندات الشخصية كالصكوك والوصايا(١١)

أمـا في الكتب العربية الحديثة التي تناولت موضوع المخطوط، فقد ورد في بعضها تعـريفـات مختلفة لمصطلح «مخطوط». فالدكتور عبد الستار الحلوجي عرّف المخطوط العـربي بأنـه الكتـاب المخـطوط بخط عربي؛ سواء أكان في شكل لفائف أو في شكل صُحف ضُم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس(١٢). وهو يقصد ما كُتب بخط اليد؛ كما أنه بهذا التعريف يكون قد أخرج الرسائل، والعهود، والمواثيق، والصكوك من تعـريفـه؛ فهو يستبعدها ـ كما يبدو ـ من أن تكون مخطوطات عربية؛ حتى ولو كانت مكتوبة بخط اليد، وبلغة عربية؛ وذلك ليكون التعريف مقتصراً على ما هو شائع، أو متعـارف عليه في الوقت الحاضر من أن المخطوط هو ما جاء على شكل كتاب كُتب بخط اليد، وبلغة عربية.

أما الدكتور أرشيد يوسف فقد عرّف في كتابه (الكتاب الإسلامي المخطوط تدويناً وتحقيقاً) المخطوط بقوله: «. . . ومن هنا يُمكن أن نُعرِّف المخطوط بأنه النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية؛ أو سمح بكتابتها؛ أو أقرَّها؛ أو ما نسخه الـوراقـون بعـد ذلـك في نُسخ أُخرى منقولة عن الأصل؛ أو عن نُسخ غير الأصل؛ وينطبق ذلك على النسخ المصورة عن الأصل المخطوط». (١٣)

ويبـدو من تعـريف الـدكتـور أرشيد يوسف أنـه يقصـد المخطوط العربي؛ وليس الإســلامي؛ وهو ما يخالف عنوان كتابه؛ إذ أن هناك مخطوطات إسلامية كُتبت بالخط العربي، ولكن بلغات غير عربية، كالفارسية، والأردية، والتركية القديمة، وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية.

أيضا نجد أن الدكتور يوسف نهج نفس النهج الذي نهجه الدكتور الحلوجي، حينما قصر تعريفه للمخطوط العربي على ماجاء على شكل كتاب؛ مستبعداً في ذلك الرسائل وغيرها من هذا التعريف.

إلى جانب هذين التعـريفـين نجد من يذهب بتعريف المخطوط إلى مجالات أوسع وأشمل. فمصطفى مصطفى السيد يوسف يرى أن المخطوط هو كل ما كُتب بخط اليد سواء كان رسالة، أو وثيقة، أو عهداً، أو كتاباً، أو نقشاً على حجر، أورسماً على قماش؛ وسواء أكان بلغة عربية أو غير عربية(١٤).

ومـع أن هذا التعريف الأخير هو الذي يبدو أكثر شمولاً، ودقة، ومنطقيةً؛ إلّا أنه ينبغي التنبيه إلى أن الناس، وخاصة في العالم العربي، حينما يتحدثون عن المخطوط إنما يقصـــدون ـ في الغـــالب الأعم ـ ما جاء على شكـــل كتـاب، أو كُتيِّب قديم كُتب بخـط اليـــد.

الفصل السادس

صناعة الكتاب العربي المخطـوط

الحركة العلمية، والأزدهار الفكري اللذان برزا في القرون الأولى لهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أفرزا كماً كبيراً، بل وضخماً من الإنتاج الفكري المدون. ولكن ما وصلنا من هذا الإنتاج ـ كما تؤكد المصادر التاريخية ـ يعتبر بالرغم من كثرته، وأهميته، قليلاً مقارنة بما فُقد، أو أُتلف، أو سُرق.

هذا الكم الهائل من الإنتاج الفكري في شتى أنواع العلوم والمعرفة لم يأت بسهولة كما قد يتصور البعض، وإنما جاء في معظمه نتيجة جهود مضنية، وجبارة؛ بل ومتواصلة لرجالات علم نذروا أنفسهم لخدمة الدين، والأمة، والعلم وطلابه.

ولكي يصل هذا الإنتاج إلى القارىء العربي سلك طرقاً هي:

أولا: التأليف والإملاء:

والتـأليف هو أن يعكف العالم على جمع مادة كتابه، وتدوينها؛ ثم مراجعتها بهدف تهذيبهـا، وتنقيحها، واضافة ما ينبغي اضافته، وحذف مالا فائدة منه؛ فإذا ما أكمل المؤلّف (الكتاب) بالصورة التي يرتضيها العالِم أخرجه إلى الناس.

أمـا الإمـلاء، فهـو ثمرة مجالس العلماء مع طلبة العلم. وكانت هذه الطريقة تتم ـ غالباً ـ في الجوامع والمساجد.

ومجالس الإملاء هذه تشبه إلى حد ما تلك الدروس التي يلقيها في أيامنا هذه بعض العلماء في عدد من المساجد والجوامع الكبيرة كالمسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، والجامع الأزهر في القاهرة.

والإملاء هو أن يقعد عالم من العلماء، ويحيط به مجموعة متفاوته العدد من التلاميذ؛ معهم الأقلام، والمحابر، والقراطيس؛ فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم؛ فيقوم التلاميذ بكتابة ما يلقيه عليهم العالِم؛ فيصير ـ في الغالب ـ كتاباً. وقديماً كانوا يُسمون ما تتمخض عنه تلك المجالس بـ «الأمالي». فالأمالي هي إذن نتيجة مجالس الإملاء.

ومن المؤلفات التي حملت هذا المسمى (أمالي ثعلب) و (أمالي أبي علي القالي)، و(أمالي الزجاج). ولقـد أورد حاجي خليفة فـي كتابه (كشف الظنون) فصـلاً كاملاً عن الأمالي.

وكـان طالب العلم الـذي يحضر مثـل تلك المجـالس يكتب ـ عادةً ـ في أول كل مجلس، الصيغة التالية: مجلس أملاه الشيخ . . أو شيخنا. . . بجامع كذا، أو مسجد كذا، في يوم. . . الموافق. . . . ، ثم يورد ما القاه شيخه في ذلك المجلس.

تلك المجالس الفكرية لم يكن التحدث فيها متاحاً لمن هب ودب؛ فلم يكن يتصدى للإملاء فيها إلّا من وثق بنفسه، وقدرته العلمية، وكفاءته اللغوية والفكرية؛ واشتهرت أيضاً سمعته؛ ووثق به الناس؛ وشهدوا له بالفضل، والأمانة، وغزارة العلم.

منذ القرن الثالث للهجرة كانت مجالس الإملاء تنتشر في الحواضر الإسلامية؛ وإن كان ثقل تلك المجلس متمركزاً في بغداد. ولاغرابة في ذلك فبغداد مقر الخلافة، ومركز الحركة العلمية؛ حيث كان العلماء، والأدباء، وطلبة العلم يقصدونها من شتى أرجاء العالم العربي والإسلامي؛ وذلك لما يجدونه من خدمات وتسهيلات، ودعم، وتشجيع من الخلفاء، والأمراء، والوزراء.

كان عدد طلبة العلم في تلك المجالس متفاوت؛ غير أن المصادر تشير إلى أرقام كبيرة قد لا يصـدقهـا العقل؛ إذ لا تخلو ـ كما اعتقد ـ من المبالغة. فمثلاً مجلس سليمان بن حرب الواشجي (ت ٢٢٤هـ) يقال أنه كان يحضره أربعون ألف رجل؛ [١٥] بل إن العدد في أحـد مجالس عاصم الـواسطي (ت ٢٢١هـ) قُدِّر ـ كما يقول الخطيب البغدادي ـ بحوالي مئة وعشرين ألف شخص. [١٦]

وقـد يتسـاءل القـارىء عن كيفية إيصال صوت العالم أو الشيخ لمثل هذه الأعداد الضخمة من البشر في وقت لم تكن فيه مكبرات الصوت قد ظهرت. هذه المشكلة يُقال أنها قد حُلَّت بواسطة فئة من الرجال يعرفون بالمستملين، كانوا يتناقلون صوت الشيخ لإيصاله إلى جميع الحضور. وتشير بعض المصادر إلى أن هارون المستملي كان يصعد فوق نخلة معوجة ويستملي عليها. [١٧] وكان عدد المستملين هو الآخر متفاوت؛ يكثر بكثرة عدد الحاضرين للمجلس، ويقل بقلة عددهم، حتى قيل إن عدد المستملين في مجلس أبي مسلم الكجي ـ مثلاً ـ بلغ سبعة مستملين. [١٨]

أول كتاب ظهر في العصر الإسلامي هو القرآن الكريم الذي تم جمعه في المرة الأولى في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وفي الثانية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهو أول كتاب دون باللغة العربية.

قبـل منتصف القـرن الأول للهجـرة بدأت حركـة التـأليف العربية تخرج إلى حيز الوجود؛ فالمسعودي يروي أن معاوية بن أبي سفيان، أول خلفاء العصر الأموي الذي امتد بين سنتي ٤٠-١٣٢هـ كان ينام ثلث الليل؛ ثم يقوم فيقعد، فيحضر الدفاتر، فيها سير الملوك، وأخبارهم؛ فيقرأ ذلك عليه غلمان له وكلوا بحفظها وقراءتها.[١٩]

ويذكر بن سعد في طبقاته أن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ، وقيل ٩٤هـ) أحرق يوم الحرة (سنة ٦٣هـ) كتب فقه كانت له.[٢٠] ويعتبر عروة أول من ألف كتاباً في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢١]

لم تكن كل الكتب العـربية التي جرى تأليفهـا خلال القـرن الأول الهجري كتباً. بالمعنى الصحيح؛ إذ لا تعد سوى مباحث مفردة، لا يتجاوز كل مبحث منها مسألة أو قضية يناقشها العالم. فكان الكتاب كما يقول د. الحلوجي بمثابة فصل من فصول كتاب من الكتب الحديثة.[٢٢]

أما الحديث النبوي الشريف فقد مضى القرن الأول الهجري ولم يكن قد تم تدوينه رسميا وبشكل منظم، إذ بدأ جمعه في مطلع القرن الثاني للهجرة على يد شهاب الزهري بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز؛[٢٣] ثم عني أبو جعفر المنصور بعد عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث، حيث أمر مالك بن أنس بوضع الموطأ.[٢٤]

زاد التأليف؛ وبدأ يتجاوز حدوده القديمة منذ أوائل القرن الثاني الهجري؛ وذلك بعـد ظهـور حلقـات الدرس، ومجالس الإملاء. فابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) انقــطع للتــأليف حتى قالت عنـه زوجتـه: «والله لهذه الكتب أشـد علي من ثلاث ضرائر».[٢٥] ومما يؤكد أن نشاط التأليف ـ رغم قلة مواد الكتابة وإرتفاع أثمانها ـ قد بدأ فعـلاً في القـرن الثـاني للهجـرة النبوية ما أشار إليه النديم من أنه كان لهشام الكلبي (ت ٢٠٦هـ) أكثـر من ١٢٠ كتـابـاً في شتى المـوضـوعات؛ وأن جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ) كان له حوالي ٣٠٠ من الكتب والرسائل.[٢٦]

مؤلفات صدر الإسلام كانت تتناول موضوعات كثيرة؛ إلا أن التركيز كان منصباً أكثر من غيره على الحـديث وعلومـه، والتفسـير، والمغـازي. ولعل السبب في ذلك هو أن

المسلمين كانوا مهتمين كثيراً في أمور دينهم؛ فوجدوا في التركيز على هذه العلوم ما يساعدهم على فهم القرآن الكريم وتقريبه لأذهانهم.

يمكن القول بأن حركة التدوين والتأليف والنقل بدأت في العصر الأموي؛ إلاّ أن العصر الذهبي لهذه الحركة هو العصر العباسي. هذا لا يعني إنكار أو جحد ما للأمويين من فضل كبير في المحافظة على اللغة العربية وكتابتها، وإثراء عصرهم بالمؤلفات في مختلف المجالات تدويناً وتأليفاً ونقلاً. فالذين يصفون العصر الأموي بالجدب والقحل في النواحي العلمية، والتدوين والتأليف والترجمة مثل حاجي خليفة، وجرجي زيدان، وغيرهما إنما هم أناس غير منصفين. صحيح أن الإقبال على العلم، وعلى التدوين والتأليف والنقل لم تكن بنفس القوة التي كانت عليها في العصر العباسي؛ ولكن لذلك أسباب معروفة ووجيهة؛ والتي من أهمها صعوبة الحصول على مواد الكتابة، وخاصة الورق، مقارنة بما كان عليه الوضع في العصر العباسي؛ إلا أن ذلك ليس مبرراً لبخس الأمويين حقهم، والتقليل من دورهم في هذه المجالات، فالنصف الثاني من القرن الأول الهجري كما يقول د. الحلوجي قد شهد توسعاً في التدوين وكثرة الكتب، وأن الكتب في الربع الأخير من القرن الأول كانت قد كثرت لدرجة أن خلفاء بني أمية جعلوا لها خزائن خاصة؛ بل لانكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني للهجرة حتى نجد الكتب قد كثرت وشاعت بين الناس.(٢٧) وهذه هي الحقيقة التي حاول ويحاول بعض الناس طمسها وإنكار وجودها؛ إذ لا يمكن أن تكون النهضة العلمية، وازدهار التأليف والترجمة في العصر العباسي قد قامت دون أساس، ونبعت من لا شيء. يقول د. محمد ماهر حمادة منصفاً العصر الأموي، ومدافعاً عنه: «ومن المستحيل وجود شجرة باسقة بدون جذور»(٢٨). ثم يستشهد بكتاب «الموطأ» الذي ألفه الإمام مالك بإيعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور فيقول: «وعلى الرغم من أن كتاب «الموطأ» يعود في تأليفه وخصائصه، وفترته الزمنية إلى العصر التالي - أي التالي للعصر الأموي، وهو العصر العباسي - إلاّ أن المؤلف استقى مادته من مؤلفات سابقة على زمنه، وعلى كتابه، كما هو واضح من الكتاب نفسه، ومن إشاراته. وهذا دليل قوي على وجود مؤلفين سابقين على زمان الإمام مالك؛ وعلى أن التأليف الأصيل قد بدأ في هذا العصر - أي العصر الأموي -».(٢٩)

والحقيقة التي لا ينكرها إلا مغالط وجاحد أن العصر العباسي هو استمرار للعصر الأموي ومكمل له. نعم لقد زرع الأمويون حقاً بذور النهضة العلمية التي تفتحت واينعت وازدهرت في عصر بني العباس. ولقد لعب الورق الذي بدأ العرب في تصنيعه

بعد فتح سمرقند دوراً بارزاً وحاسماً في إزدهار التأليف، وغزارة الإنتاج الفكري المدون في العصر العباسي.

كان النشـاط الثقـافي والعلمي في العصر الأمـوي متمـركزاً في دمشق مقر الخلافة الإسلامية؛ ولكن بعد سقوط دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ انتقل مقر الخلافة من دمشق إلى بغداد بالعرق؛ ومعها إنتقل النشاط الثقافي والعلمي؛ إذ أصبحت بغداد المركز الأول للحركة الفكرية، حيث ازدهر التأليف واتسعت الترجمة بشكل متسارع، بل ومذهل؛ لأن ما تحقق في هذين المجالين بالذات صار سمة من سمات ذلك العصر؛ وعلامة من العـلامـات البـارزة والمميزة التي نالت الإعجاب والإكبار؛ وسجلها التاريخ للخلفاء العباسيين بأحرف من نور.

إن العصر العبـاسي كما أسلفنـا هو بحق العصر الذهبي الذي برزت فيه المواهب وتـطور الإبداع في كثير من مجالات الحياة الفكرية. ولاشك أنه كان للإهتمام الكبير، والتشجيع المستمـر، والـدعم المتـواصـل المـادي والمعنـوي من قبـل كثير من الخلفاء العباسيين، وولاتهم، ووزرائهم دور قوي وفعال في دفع عجلة تلك النهضة إلى الأمام؛ ناهيك عن استقرار المجتمع الإسلامي، ووفرة الأموال، وانتشار الورق وغيره من مواد وأدوات الكتابة، وبأسعار رخيصة مما أدى إلى رواج الكتب، وبالتالي تسابق الوراقين إلى افتتاح حوانيت لهم للمتاجرة بها، مما نتج عنه ظهور مهنة أوصنعة الوراقة.

وكنتيجـة حتمية لإنتشـار الكتب؛ وللتلازم الذي يربط بين الكتب والمكتبات فقد انتشرت منـذ ذلـك الحين المكتبات بجميع أنواعها تقريباً. وتشير المصادر إلى أن أول مكتبة عربية ضخمة ظهرت في بغداد أواخر القرن الثاني الهجري هي المسماة بـ (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة). وتلك المكتبة كما يصفها المؤرخون لم تكن مجرد مكتبة تكدس فيها الكتب؛ بل كانت مركزاً للثقافة والعلوم؛ ومنتدى للعلماء والأدباء وطلبة العلم.

ثانياً: الترجمـة:

الإسلام عندما ظهر لم يطلب من العرب التقوقع والإنعزال عن العالم؛ بل حثهم على الإتصـال بالأمم الأخرى ودعوة شعوبها للدين الجديد؛ لأنه ـ أي الدين الإسلامي ـ ليس للعرب وحدهم؛ فكانت الفتوحات الواسعة؛ وانتشارهم لنشر الدعوة الإسلامية، وبـالتـالي اختـلاطهم بالأجنـاس الأخرى في المجتمعات غير العربية؛ ونتج عن ذلك إندماج وتفاعل؛ وتأثر وتأثير؛ خاصة في اللغة والمجالات العلمية والثقافية؛ فأفاد العرب كثيراً بما نقلوه من علوم الأمم الأخرى المجاورة لهم إلى اللغة العربية.

ظهرت أهمية الترجمة، وفهم اللغات مع ظهور الإسلام؛ فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على تعلم لغات الأمم الأخرى؛ ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت الأنصاري بأن يتعلم اللغة العبرية والسريانية، وأنه - أي زيد - كان يعرف الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية؛ كما كان يترجم ما يأتي للرسول صلى الله عليه وسلم بهذه اللغات[٣٠] لكن الإهتمام الأكبر بلغات الأمم المجاورة للعرب، وبعلومهم وحضاراتهم إنما جاء بعد التوسع الكبير في الفتوحات الإسلامية؛ حيث تم نقل كثير من المؤلفات اليونانية، والسريانية، والفارسية. يقول د. علي النملة: «جاورت بلاد العرب أربع أمم كبرى كان لها أثر بارز في نقل العلوم إلى العربية، هي: اليونانية الإغريقية، والسريانية الشرقية، والفارسية، والهندية. [٣١] وكان وسطاء النقل من اليونانية والسريانية هم العلماء والأطباء النصارى من يونان وسريان، والذين كانوا يومذاك في خدمة الخلفاء الأمويين. ويشير فؤاد سزكين إلى أن الترجمة من الفارسية إلى العربية سبقت الترجمة من السريانية إلى العربية. [٣٢]

الترجمة في العصر الأموي بدأت مع أول خليفة أموى، وهو معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ)؛ إلا أنها كانت - كما يبدو - ضعيفة نسبياً. يقول علي النملة مؤكداً وجود الترجمة في عهد معاوية: «. . . وكان لدية من ينسخون له الكتب التي يبدو أنها مترجمة عن اليونانية، واللاتينية، والصينية، على أثر استلامه هدية من ملك الصين. . .»[٣٣]. لكن الذي قفز بالترجمة في العصر الأموي قفزات قوية إلى الأمام هو خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ)؛ وكان يسمى حكيم آل مروان؛ إذ أحب العلم كثيراً، وآثر التفرغ له على الخلافة، وقد اهتم اهتماماً كبيراً بنقل الكتب العلمية من اللغات الأجنبية إلى العربية، حتى أن النديم اعتبر النقل الذي بدأ في عهد خالد هو أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة. ولقد ساعده على ذلك وجود مكتبة ضخمة ورثها عن جده معاوية؛ بالإضافة إلى كونه محباً للعلوم، وعلى دراية بالطب والكيمياء؛ حيث ألف فيهما وفي غيرهما من العلوم رسائل أشار إليها النديم في الفهرست، وبن خلكان في وفيات الأعيان. [٣٤] لقد أنشأ خالد ما يمكن اعتباره مركزاً للنقل المنظم؛ فقد أحضر جماعة من فلاسفة اليونان وغيرهم، فترجموا له من اليونانية، والسريانية، والقبطية، والفارسية[٣٥] وممن تولى الترجمة في عهده ماريو حنا الدمشقي، ويسمى - أحياناً - «مريانوس»، الذي كان صديقاً ليزيد بن معاوية، ومعلماً لخالد بن يزيد. [٣٦] أيضا ترجم لخالد عن اليونانية الراهب اصطفن القديم. [٣٧] كما ترجم له جبلة بن سالم عدداً من الكتب من الفارسية إلى العربية. [٣٨] كذلك كان لعدد من الخلفاء الأمويين أمثال مروان بن الحكم، وعبد

الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، دور في النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، إلا أن أدوارهم في هذا المجال كانت متفاوته.

وممن أشتهـر بالـترجمـة في أواخر العهد الأموي وأوائل العصر العباسي عبد الله بن المقفع، الذي يعتبر أحد أعمدة الترجمة من الفارسية إلى العربية، إذ نقل كثيراً من كتب الفرس إلى اللغة العربية، ومنها كتاب «كليلة ودمنة».

بعـد سقـوط الخلافة الأموية في دمشق، وتأسيس الخلافة العباسية في بغداد انتقل مركـز النقل الرئيسي إلى هناك؛ حيث اتسعت الترجمة أكثر وأكثر بفضل الدعم المادي والمعنوي، والتشجيع المستمر والقوي؛ خاصة زمن الخلفاء أبي جعفر المنصور، وهارون الـرشيد، وعبـد الله المـأمـون. فالمنصـور يعتـبر أول خليفة عباسي أولى النقل رعياته واهتـامـه؛ إذ كانت حركة الترجمة قد خبت في أواخر العصر الأموي؛ إلا أن المنصور نهض بها من كبوتها؛ فقد استقدم عدداً من العلماء، والأطباء؛ وفرّغهم لأعمال الترجمة؛ منهم على سبيل المثال الطبيب اليوناني جورجيوس بن جبرائيل (بن بختيشوع)، وتلميذاه ابـراهيم وعيسى بن شهـلا حيث ترجموا عدداً كبيراً من الكتب اليونانية، والسريانية، وخـاصـة في مجال الـطب. كما اهتم المنصور بترجمة الكتب الهندية في مجالات الطب، والعلوم، والكيمياء. وممن تولى ترجمـة الكتب الهـندية في عهـده: «منكـة» الهنـدي، وإبراهيم بن حبيب الفزاري.

كان المنصـور ينفق على الـترجمـة بسخـاء منقطع النظير، حتى قيل أنه كاد يُعرِّض الأموال العامة للخطر لكثرة ما كان يدفعه للمترجين من العلماء.(٣٩)

إزدهرت الترجمة كثيراً في عهد الخليفة هارون الرشيد؛ إلا أن العصر الذهبي للنقل من اللغات الأجنبية كان في عهد ابنه المأمون.

من أشهـر مراكز الترجمة في العصر العباسي الأول مكتبة «بيت الحكمة» في بغداد. فقد كانت منتدى العلماء، والأدباء، والدارسين والباحثين لكثرة ما فيها من الكتب، وما يقدم فيها من خدمات وتسهيلات. وكانت إلى جانب ذلك كله مسرحاً لأكبر حركة ترجمة في التاريخ العربي. فقد كان الرشيد والمأمون مثقفين ثقافة عالية؛ ولهما ولع واهتمام بما هو مدون من علوم وتـراث الشعـوب التي للعرب صلات بها؛ فأمرا بنقل ذلك إلى اللغة العـربية ليتمكن العـرب من الإستفادة منها. ويقال أن الرشيد كان يتعمد غزو المدن المملؤة بالكتب النفيسـة والنـادرة لكي يستـولي على كتبهـا.(٤٠) وكان يستعمل حملاته العسكـرية، خاصة على بلاد الروم لهذا الغرض. يقول محمد ماهر حمادة: لعله ـ أي

الرشيد ـ هو الذي بدأ تلك الحملات العسكرية، ذات الهدف العسكري، وفي نفس الـوقت ذات الهـدف العلمي، بقصـد جلب نفـائس المخطوطات اليونانية إلى بغداد لتعـريبهـا. . . وكـان يتجـه إلى المـدن اليونانية المشهورة بأنها معاقل الثقافة اليونانية، كعمورية، وانقره. . ويجعل من بين شروط الصلح الحصول على ا لكتب التي كان يريدها. . . [٤١]

كان يتولى الترجمة في بيت الحكمة عدد كبير من العلماء. ويقال أن الرشيد عهد إلى يوحنا بن ماسوية، وهو طبيب نصراني، كان يعتبر شيخ النقلة، بالإشراف على الترجمة في الدار، حيث كانت تتم عملية ترجمة الكتب القديمة التي جلبها المسلمون من بلاد الـروم. أمـا الكتب الفـارسية فقد عهد الرشيد بمهمة نقلها إلى العربية إلى أبي سهل الفضل بن نوبخت؛ وهو من أصل فارسي؛ ويعتبر من أئمة المتكلمين. [٤٢]

فاقت الترجمة في عهد عبد الله المأمون ما كانت عليه في عهد والده هارون الرشيد؛ ولا غرابة في ذلك، فقد كان المأمون شغوفاً إلى حد كبير بالعلم؛ محباً للعلماء والأدباء؛ حريصاً جداً على جمع الكتب وترجمتها. وكان يرسل البعثات إلى ملوك زمانه بحثاً عن الكتب القـديمة والنفيسة. سار المأمون على نهج أبيه بأن جعل الصلح مع أعدائه أن يسلمـوه مالـديهم من كتب نفيسـة، كما حصـل مع حاكم صقلية؛ ومـع الامـبراطور البيزنـطي ميخـائيل الثـالث؛[٤٣] ومع حاكم قبرص؛ حيث تم نقل الكثير من أفضل وأنفس الكتب من قبرص، وصقلية، وبيزنطة، إلى بغداد، عاصمة الخلافة العباسية. [٤٤]

ولقـد توفر لحركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون من المترجمين مالم يتوفر في عهود من سبقه؛ إذ حشد لهذه المهمة الجليلة أكبر عدد من العلماء؛ نذكر منهم بن ماسوية؛ الذي يقال أن المأمون أيضاً بعد والده جعله رئيساً للترجمة في بيت الحكمة؛ وحنين بن اسحاق الـذي عهـد إليه المـأمـون بمـراقبة النقل من اليونانية إلى العربية؛ ويوحنا البطريق، والحجاج بن مطر، وقسطا بن لوقا، وبن النوبخت العبادي وغيرهم كثير.

لم يكن النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية خالٍ تماماً من العيوب والأخطاء؛ لكنه أيضا لم يكن يتم عشوائياً وارتجالاً؛ بل كانت هناك مراجعات لما يتم ترجمته. وكان للعلماء النقلة دور في التصويب والإضافة؛ وايجاد المصطلحات العربية البديلة والمناسبة. يقول

د. عبد الستار الحلوجي عن حنين بن اسحاق: «. . . ويحدثنا بن جلجل أن حنيناً هذا هو الذي أوضح معاني كتب بقراط، وجالينوس؛ ولخصها أحسن تلخيص؛ وكشف ما استغلف منها، وأوضح مشكلها.[٤٥] كان المترجمون إلى جانب عملهم هذا مؤلفين؛ فهم علماء لهم شهرتهم في الطب، والصيدلة، والكيمياء، وغيرها من العلوم وخاصة العلمية منها. فإبن النديم يذكر ليوحنا بن ماسوية ١٩ كتاباً في الطب،[٤٦] ولحنين بن اسحاق ٣٠ كتاباً؛ ولقسطا بن لوقا البعلبكي أكثر من ٣٠ كتاباً.[٤٧]

الفصل السابع
الوراقة والوراقون

نتيجة لتوفر الورق في العالم العربي، وبأسعار زهيدة، فقد شاع استعماله على نطاق واسع في التدوين؛ فكثرت بذلك الكتب تدويناً، وتأليفاً، ونقلاً. وأصبحت هناك حوانيت كثيرة للمتاجرة بالكتابة والكتب، وأدوات الكتابة من أوراق، وأحبار وأقلام؛ وظهرت تبعاً لذلك مهنة الوراقة، التي كانت تقوم مقام الطباعة والنشر في وقتنا الحاضر.

أدى الورق والوراقون دوراً بارزاً وهاماً في نشر الثقافة والعلوم؛ وأخذ الناس بجميع فئـآتهم من حكام، وأمراء، ووزراء، وعلماء، وأدباء وطلبة علم يتسابقون على شراء الكتب فكان ذلك سبباً جوهرياً في انتشار حوانيت الوراقين في شوارع بغداد، حيث قُدِّر عددها في القرن الثالث للهجرة بأكثر من مائة حانوت.

لم تكن تلك الحوانيت مجرد دكاكين لنسخ وبيع الكتب وأدوات الكتابة؛ بل كانت أيضا مجالس ثقافية يرتادها العلماء والأدباء والشعراء من أمثال الجاحظ، والمتنبي، وابي الفرج الأصفهاني. ويقال أن الجاحظ كان يكتري حوانيت الوارقين ويبيت فيها للنظر. (٤٨)

أول من امتهن الوراقة في الإسلام كما تشير بعض المصادر التاريخية هو مالك بن دينار البصري (ت ١٣٠هـ)، وكان عالماً زاهداً، اشتهر بحسن الخط، فانقطع لكتابة المصاحف بالأجرة. (٤٩) لكن النديم يذكر أن مالكاً هو أحد اثنين كانا يكتبان المصاحف في الصدر الأول، أولهما واسبقهما هو خالد بن أبي الهياج، الذي كان يوصف هو الآخر بحسن الخط وجماله. (٥٠) وهذا يعني أن الوراقة كانت موجودة قبل العصر العباسي وإن على نطاق ضيق جداً؛ فلما ظهر الورق وانتشر استعماله بكثرة، أخذت هذه الصنعة ـ أي الوراقة ـ هي الأخرى بالإنتشار.

كانت الوراقة مهنة عظيمة وجليلة ؛ بل ومحترمة ؛ زاولها إلى جانب المحترفين بها رجال فضلاء ، وعلماء أجلاء ؛ لهم مؤلفات مشهورة ؛ نذكر منهم أبا الفرج محمد بن اسحاق النـديم ؛ صاحب كتـاب «الفهـرست» ؛ وياقـوت الحمـوي ، صاحب كتاب «معجم الأدباء» وأبا حيان التوحيدي ، صاحب كتاب «الإمتاع والمؤآنسة» .

كان لمشـاهـير المؤلفين أنفسهم وراقون خاصون . وكان بعض الوراقين يسعون إلى المؤلفـين للحصـول منهم على حق التـوريق لمؤلفاتهم ؛ فيقومون بعد الموافقة على ذلك بنسخهـا ، وتجليدهـا ـ أحياناً ـ ؛ ومن ثم تسويقها ؛ فكان أبو يحيى زكريا بن يحيى بن سليمان ؛ وأبـو القـاسم عبـد الـوهـاب بن أبي حية ، يورقـان للجـاحظ .(٥١) كما كان اسماعيل بن أحمد الزجاجي يورق للمبرد .(٥٢)

أصبـح الإقبال على شراء الكتب أكثر من طاقة الوراقين أنفسهم على تلبيته ؛ إذ لم يكـونوا بمفردهم قادرين على تأمين إحتياجات الناس ، وخاصة الطلبات العاجلة من المؤلفات القيمة ؛ فاضطروا إلى استئجار اشخاص لاستنساخ الكتب التي يكون الاقبال عليها كثيراً . يقول الدكتور محمد ماهر حماده : « . . لقد وجد أفراد عندهم نساخ اختصوا بهم . فكانوا ينسخون لهم الكتب ويستلمون منهم الجرايات . . . ؛ وقد ارتبطت مهنة النسخ بالوراقة ، ويرد هذا التعبير كثيراً في كتب التراث «وكان يورق بأُجرة» ويقصد به وكان ينسخ للوراقين بأُجرة»(٥٣) .

اشتهر كثير من الوراقين المحترفين إلى جانب سعة علمهم ، بحسن الخط ؛ فسليمان بن محمـد الحـامض ـ وكـان وراقـاً لثعلب ـ إشتهـر بصحة الخط ، وحسن المذهب في الضبط .(٥٤) ويشير النديم إلى أن الـوراق محمد بن عبد الله الكرماني كان مضطلعاً بعلم اللغـة والنحـو؛ مليح الخط ؛ صحيح النقل ؛ يرغب الناس في خطه(٥٥) . وكما تنافس الوراقون على المؤلفين ، تنافسوا أيضا على تحسين خطوطهم ؛ إذ أخذوا يدخلون على ما ينسخون من المؤلفات تحسينات زخرفية ، ولمسات جمالية تجعل عملهم مميزاً ؛ وذلك بغية جذب المؤلفين والمشترين إليهم .

ومن هنـا يُمكن القـول بأن جمال الخط ؛ وصحـة النقـل ؛ ودقـة الضبط كانت من متطلبات النجاح في مهنة الوراقة .

أصبحت الـوراقة مصدراً للرزق عند المتخصصين فيها ؛ فازدهرت هذه الصنعة بكثرة المؤلفـات ، وارتفاع أجور النسخ ؛ فابن شهاب العكبري (ت ٤٢٨ هـ) يقول أنه كان

يشـتري الكاغد بخمسة دراهم فيكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال ثم يبيعه بمئتي درهم، وأقله بمئة وخمسين درهماً[٥٦].

لكن الوضع السابق لم يدم طويلاً ؛ إذ لم تعد الوراقة تُدر إلاّ ربحاً ضئيلاً ؛ وفي ذلك قال الشاعر الأندلسي أبو محمد عبد الله بن البكري ، وكان وراقاً :

أمـا الـوراقـة فهي انكـد حرفـة أوراقهـا وثـمـارهـا الحـرمـان
شبهت صاحبهـا بصـاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان[٥٧]

دور الـوراقين في ازدهار التأليف والترجمة ، ونشر العلم والثقافة ؛ كان بارزاً ومشرفاً ولا يمكن إنكاره بأي حال من الأحوال ؛ إلا أنهم لم يكونوا كلهم ـ مع الأسف الشديد ـ من الثقات الذين يمكن الإطمئنان إلى ما يورقونه ، أو يصنفونه . فقد ظهرت فئة قليلة ونادرة من الوراقين ارادت الكسب المادي على حساب الاساءة لهذه المهنة الجليلة ؛ وذلك بالدس ، وتزوير الحقائق فيما كتبوه ، أو نسبة كتاب إلى مؤلف من العلماء الأفاضل الذين تجد كتبهم ـ عادةً ـ رواجاً لدى النـاس . يذكـر النـديم ـ مثلاً ـ أن حماد بن اسحاق الموصلي أنكر أن يكون والده إسحاق بن إبراهيم الموصلي قد ألف كتاب «الأغاني الكبير» الذي يُنسب إليه . وأضاف بأن الذي وضعه شخص كان يورق لوالده قبل وفاته .[٥٨] كما أشار النديم أيضا إلى أن كتاب الإبل المنسوب للجاحظ ليس من كلامه ولا يقاربه[٥٩] كذلك أكد النديم قيام محمد بن يحيى بن العباسي الصولي (ت ٣٣٠هـ) بسرقة كتاب اسمه «أخبار سديف ومختار شعره» ؛ إذ يقول : «إنه ـ أي الصولي ـ عوّل في تأليفه على كتاب المرثدي (المريدي) في الشعر والشعراء ، بل نقله نقلاً وانتحله» .[٦٠]

الفصل الثامن
ملامح الكتاب العربي المخطوط

نقصد بملامحه، أي عناصره؛ أو خصائصه المادية التي يتكون منها أو يظهر بها. واستعراضنا لها سيكون مبنياً على مخطوطات ما بعد القرن الثاني للهجرة؛ أو ما ذكرته مصادر التراث عن الأسلوب الذي كان يتبعه العرب في تدوين كتبهم المخطوطة. بعبارة أخرى فإن مخطوطات القرنين الأولَ والثاني للهجرة لن تكون ضمن مصادر معلوماتنا عن كيفية، أو طريقة تدوين وإخراج الكتاب العربي المخطوط؛ وذلك لأن الزمن لم يبق لنا منها إلا النزر اليسير وغير المتكامل؛ والذي لعبت عوامل الزمن المختلفة في تآكل معظم أجزائه، مما يحول دون إمكانية التعرف بشكل دقيق على المنهج الذي كان العرب يتبعونه في تدوين كتبهم المخطوطة خلال هذين القرنين.

أولاً : صفحة العنوان:

ليس في الكتب العربية المخطوطة؛ والتي أمكن الإطلاع عليها؛ أو التي ورد ذكرها في كتب التراث؛ أو في فهارس المخطوطات العربية، مايدل على أن العرب كانوا في أول عهدهم بصناعة الكتاب يفردون صفحة في أوله خاصة بالعنوان؛ كما هو الحال بالنسبة للكتب الحديثة؛ وانما كان العنوان يرد إما في بداية المخطوط وهو الغالب؛ أو في نهاية المخطوط؛ أو قد لايرد إطلاقاً لا في البداية ولا في النهاية. الشيء الملفت للنظر هو أنهم كانوا ـ غالباً ـ ما يتركون قبل بداية الكتاب المخطوط أو مقدمته ورقة، أو صفحة بيضاء خالية من الكتابة، دون معرفة للأسباب التي دعتهم إلى ذلك؛ لكن الإستنتاج المرجح والمنطقي هو أنهم كانوا يتركونها لهدف واحد هو حماية المخطوط من التلوث أثناء مسكة باليد، خاصة إذا لم يكن الكتاب مجلداً. على أن النساخين الذين يتولون نسخ الكتب عن أصولها صاروا يضيفون في كثير من الأحيان عنوان الكتاب، أو العنوان واسم المؤلف على الصفحة الأولى؛ وغالباً ما يتم ذلك بخط بارز وواضح.

أما التي تترك بيضاء فإن هناك من يأتي فيما بعد ليضيف العنوان؛ أو العنوان واسم المؤلف، ويكـون ذلـك بخط مغـاير ـ طبعـا ـ للخط الـذي كتبت به محتـويات المخطـوط نفسـه.

ثانيا: بداية المخطـــوط:

يستهـل المؤلفـون مخطوطـاتهم ـ عادة ـ بالبسملة، تليهـا الحمـد له «أنـظر الشكل رقم ٢١»؛ ثم مقدمة عن المخطوط تشتمل ـ غالبا ـ على واحد أو أكثر من العناصر التالية:

١ ــ توطئة، أو تمهيد للموضوع، وأسباب تأليف الكتاب المخطوط.
٢ ــ عنوان أو إسم المخطوط.
٣ ــ إسم المؤلف.
٤ ــ فهرس المحتويات.
٥ ــ قائمة المراجع.

أي أن هذه العناصر كلها لا تتوفر دائماً في كل كتاب عربي مخطوط؛ ولكن في معظم الحالات فإنك ستجد على الأقل عنصراً واحداً منها.

لم يكن عنوان المخطوط؛ ولا إسم المؤلف حينما يرد ذكرهما في مقدمة الكتاب المخطوط يميزان عن النص الذي كتب به المخطوط لا بلون ولا بحجم الخط. إلا أن المؤلفين، أو النسـاخين صاروا فيما بعد يميزونهما في كثير من الحالات بمداد يخالف لونه لون المداد الـذي كتـب به الـنص؛ أو بخط مغـاير نوعـاً أو حجـماً للخط الـذي كتـب به المخطوط.

ثالثا: عناوين الأبواب أو الفصول:

كما هو الحـال بالنسبـة لعنـوان المخـطوط، واسم مؤلفـه، فإن عنـاوين الأبواب أو الفصـول، أو حتى العنـاوين الجـانبية ـ إن وجدت ـ لم تكن في كثير من المخطوطات القديمة تميز عن النص لا بحجم الخط، ولا بلون المداد؛ وانما كانت تكتب بنفس حجم الخط، ولون المداد الذي كتب به المخطوط كله؛ بل كانت الأبواب والفصول كثيراً ما ترد مكتوبة في وسط السطر مبدوؤة بكلمة باب، أو فصل... ؛ ثم يسرد المؤلف، أو الناسخ المادة العلمية. ولاشك أن هذه الطريقة متعبة للقارىء الذي قد يكون يريد باباً معيناً، أو فصلا من الفصول؛ وهذا هو ـ كما يبدو ـ السبب الجوهري الذي حدا فيما بعد بكثير

(الشكل رقم ٢١)

من المؤلفين والنساخين إلى اتباع أسلوب جديد يقوم على تمييز عناوين الأبواب والفصول باحدى وسيلتين، أو بهما معاً. الأولى تكبير حجم خط عنوان الباب أو الفصل ؛ والثانية هي تغيير لون المداد بحيث يكون مخالفاً لمداد بقية نص المخطوط.

كانت نصوص الكتب العربية المخطوطة تكتب ـ في الغالب الأعم ـ بالمداد الأسود ؛ والذي كان مفضلاً لدى الكتاب والقراء على حد سواء. أما عناوين الأبوب والفصول فكانت تكتب بالمداد الأحمر، أو الأزرق، أو الأخضر، أو البني ؛ وإن كان اللون الأحمر هو الأكثر استعمالاً في مثل هذه الحالات، بإستثناء المصاحف حيث كانت أسماء السور تكتب ـ عادة ـ بماء الذهب.

التذهيب مارسه قبل المسلمين قدماء المصريين في نفائس كتبهم؛ كما كان من مميزات فن الكتاب البيزنطي في العصور الوسطى.(٦١)

لم يكن التذهيب لسور القران الكريم يطبق على جميع المصاحف؛ إذ وجد كثير من المصاحف دون تذهيب؛ بل إن بعض النسخ القرآنية لم تكن تميز أسماء سورها عن السور نفسها لا بخط، ولا بمداد. ويقال أن المسلمين الأوائل كانوا يتحرجون من إدخال أي شيء يميز كتابة القرآن الكريم عما كانت عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين؛ ويشمل هذا التحرج الشكل والإعجام والزخرفة ولكنهم - أي المسلمون الأوائل - ما لبثوا أن تخلوا عن ذلك حين رأوا أهمية، بل وضرورة الشكل والإعجام لمنع اللحن فيه. ثم انتقلوا إلى زخرفة اسماء السور؛ وفواصل الآيات في بعض المصاحف. وكان ماء الذهب. وبعض الألوان الزاهية الأخرى ولا سيما الأرجواني اللامع، والأزرق الفيروزي هي المفضلة في زخرفة القرآن الكريم وتزويقه، حتى أصبحت بعض المصاحف قطعاً فنية رائعة. وسنستعرض موضوع التذهيب بشيء من التفصيل ضمن الحديث فيما بعد عن الصور، والرسومات، والحليات، والزخارف.

رابعاً: الهوامش:

الهوامش هي المساحات الخالية من الكتابة، والتي تحيط بنص الكتاب المخطوط من جهاته الأربع في كل صفحة من صفحاته. فقد درج المؤلفون والنساخون على ترك هوامش تتناسب في حجمها - غالباً - مع حجم الورق المستعمل؛ فتتسع الهوامش إذا كبر حجم الورق، وتضيق إذا صغر حجمه. وكانوا يحرصون على أن تكون السطور متساوية في بدايتها ونهايتها؛ ولهذا استعملوا المد؛ أو مايسمى - أحياناً - بالمط؛ وذلك لإتمام سطر أو نحو ذلك. والهدف هو - كما يبدو - إخراج الكتاب المخطوط بشكل هندسي منتظم. وينبغي التنبيه إلى أن المد، أو المط لا يُستعمل بكثرة؛ فقد كانت له قواعد وأصول؛ إذ لا يستحب استعماله إلاّ في حالات معينة وعند الضرورة.(٦٢)

للهوامش فوائد عديدة؛ فهي تستعمل لتدوين بعض التعليقات، أو الإضافات، أو التصويبات، سواء من المؤلف، أو الناسخ، أو القارىء. فقد دأب قراء المخطوطات بمرور الزمن، وخاصة المثقفون منهم على الكتابة على الهوامش كتعليقات، أو تقريرات، أو شروح؛ وذلك أثناء قراءتهم للمخطوط مما قد يعتبر إذا كثر تأليفاً يحمل مسمى الحاشية. وكلمة حاشية نفسها مأخوذة من هذا المعنى، أي ما يكتب على هوامش الكتاب، أو أطرافه. ولقد أصبحت الحواشي التي كتبت على هوامش بعض

الكتب المخطوطة كتباً مستقلة بذاتها؛ آخذة نفس الإسم؛ مثل :

- حاشية على شرح تلخيص المختصر.
- حاشية الجرجاني على شرح المطول للتفتازاني.
- الحاشية القديمة لشرح التجريد.
- حاشية على تحرير القواعد المنطقية.

ومن فوائد الهوامش أيضاً تسهيل عملية التجليد؛ إذ يمكن تجليد الكتاب المخطوط دون تعرض النص للأذى. كذلك فإن الهوامش تحمي النص أثناء القراء؛ إذ أن القراء - عادةً - حين يمسكون الكتب يضعون أصابعهم على هوامش الصفحات؛ وهو ماقد يلحق بالنص ضرراً فيما لو لمسته الأيدي؛ خاصة إذا كانت ملوثة، أو بها رطوبة من ماء أو عرق أو نحو ذلك. ولكن لأن الهوامش تكون - في الغالب - خلواً من الكتابة فإن إحتمال تعرض النص للأذى يصبح والحالة هذه ضعيفاً.

خامساً: تسطير الصفحات:

الهدف من التسطير كما هو معروف هو تنظيم الكتابة اليدوية لمنع التداخل والإعوجاج. إلا أن الكتب العربية المخطوطة التي بين أيدينا لاتدل على أن مصانع الورق كانت تنتج في السابق ورقاً مسطراً كما هو الحال في أيامنا هذه. كما أن معظم المؤلفين والنساخين لم يكونوا يسطرون الأوراق قبل الكتابة عليها. لكن يبدو أنهم كانوا يتمتعون بموهبة تندر في زماننا، ألا وهي الكتابة دون ميل أو إعوجاج. وهذا بالطبع يؤكد حرصهم الشديد على استقامة السطور؛ كما كانوا يحرصون كذلك على أن تكون نسبة التباعد بين السطور واحدة؛[٦٣] وكذا عدد السطور في كل الصفحات باستثناء - طبعاً - الصفحتان الأولى والأخيرة؛ اللتان يقل فيهما - غالباً - عدد السطور عن باقي صفحات المخطوط؛ على أن عدد السطور يختلف من مخطوط لآخر؛ وذلك راجع لعوامل منها حجم الورق؛ وحجم الخط؛ واتساع المسافة بين السطور. وقد ذكر الحلوجي أن عدد السطور - على وجه التقريب - في صفحات مخطوطات القطع الصغير تتراوح ما بين ١٢ إلى ١٥ سطراً؛ وفي مخطوطات القطع المتوسط ما بين ٢٠ إلى ٢٥ سطراً؛ وفي مخطوطات القطع الكبير تتراوح مابين ٢٥ إلى ٣٠ سطراً.[٦٤]

التقديرات التي ذكرها الحلوجي ليست ثابتة على جميع المخطوطات، وانما هي تنطبق إلى حد كبير على معظمها.

عند الإعداد الفني للكتاب المخطوط - أي فهرسته وتصنيفه -، وخاصة الفهرسة الشاملة أو التفصيلية، تظهر أهمية تعداد السطور في المخطوط؛ إذ جرت العادة على تسجيلها كواحدة من متطلبات الفهرسة الوصفية له؛ على ألا تؤخذ هذه المعلومة لا من الصفحة الأولى، ولا الأخيرة، بل من إحدى الصفحات الداخلية. «أنظر الأشكال رقم ورقم ٢٢ ورقم ٢٣».

سادساً: علامات الترقيم:

علامات الترقيم هي الأدوات التي نستخدمها - عادةً - للفصل بين الجمل كالفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والنقطة؛ وغير ذلك من العلامات التي اتفق المؤلفون، والنساخون، والباحثون على استعمالها في كتاباتهم.

علامات الترقيم في المخطوطات العربية، وخاصة القديم منها يختلف بعضها عن علامات الترقيم المستخدمة في وقتنا الحاضر. فقد استخدموا في مخطوطات القرون الأولى للهجرة، وحتى القرن الخامس تقريبا بعض العلامات، مثل:

○ ؛ ⊙ ؛ ○○ ؛ ○○ ؛ ⦸ ؛ ○

وتتألف هذه العلامات كما هو واضح من دائرة، أو دائرة منقوطة من الداخل، أو دائرتان متجاورتان، أو دائرتان متماستان، أو دائرة يقطعها خط يخرج من داخلها إلى خارجها، أو دائرة يخرج منها خط منحنٍ يتجه يساراً ثم ينعطف ناحية اليمين مكوناً ما يشبه الميم المائلة.[٦٥] ويشير الحلوجي إلى أن الدائرة أكثر استعمالاً واسبق وجوداً في المخطوطات العربية من النقطة؛ وأن العرب ربما استعاروها - أي الدائرة - من المخطوطات الفهلوية؛ مستشهداً على ذلك بظهور الدائرة في مخطوطات القرون الإسلامية الأولى، ثم اختفائها وظهور النقطة بدلاً منها في المخطوطات المتأخرة.[٦٦]

سابعاً: الإختصارات:

يقصد بالإختصارات كتابة رموز مختصرة تدل على الكلمات التي يكثر تكرارها في النص المكتوب. فقد كان الكُتّاب العرب - عادةً - يختصرون، أو يختزلون الكلمات التي تتكرر بكثرة في صيغ التحديث والإخبار؛ فكلمة «أخبرنا» على سبيل المثال تختصر إلى «أنا» أو «أرنا»؛ وكلمة «حدثنا» تختصر إلى «ثنا» أو «دثنا»؛ وكلمة «حدثني» تختصر إلى «ثني» أو «دثني»؛ وكلمة «قال حدثنا» تختصر إلى «قثنا». أما إختصار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يتحرجون من فعل ذلك؛ بل كانوا يكرهونه؛ إلّا أن بعض

المؤلفين والنساخين المتأخرين اختصروها إلى عدة أشكال مثل «صلع» أو «صلم» أو «صلعم» أو «ص».

وهناك اختصارات أخرى ظهرت في بعض المؤلفات القديمة منها:

- «رحه» وهي اختصار لـ «رحمه الله».
- و «تع» وهي اختصار لكلمة «تعالى».
- و «رضه» وهي اختصار لكلمة «رضي الله عنه». (٦٧)



(الشكل رقم ٢٢)

كما يوجد في بعض كتب الحديث بعض الاختصارات الخاصة بأئمة الحديث مثل:

الحرف «خ» ويرمز للإمام البخاري.

الحرف «م» ويرمز للإمام مسلم.

الحرف «ت» ويرمز للترمذي.

الحرف «د» ويرمز لأبي داود.

الحرف «ن» ويرمز للنسائي

الحرف «ق» ويرمز للقزويني.[٦٨]

(الشكل رقم ٢٣)

ثامناً: التصويبات والإضافات:

كان المؤلفـون والنسـاخـون عرضـة للخطأ، أو السهو والنسيان أثناء الكتابة؛ كأن يكرر، أو يسقط جملة، أو كلمة، أو حرفاً. فإذا أدرك المؤلف أو الناسخ ما وقع فيه من سهو، أو خطأ، فإنه يقوم بتصحيحه. فإن كان الخطأ تكراراً لحرف، أو كلمة، أو جملة، شطب الثاني من المكرر، لأن الأول هو الصح، والثاني هو من أصله خطأ؛ إلا أن يكون المكرر مضافاً ومضافاً إليه، أو موصوفاً وصفه، فإن المستحب هو مراعاة اتصالهما، وذلك بشطب الأول إن كان المكرر هو المضاف، أو الموصوف؛ أو بشطب الثاني إن كان المكرر هو المضاف إليه، أو الصفة. (٦٩)

أما إذا كان المكرر قد كُتب في نهاية سطر وبداية السطر الذي يليه، فيُشطب الأول الذي في نهاية السطر، ويترك الذي في البداية.

أما الخطأ فإن كان في كلمة، أو جملة، فإن الطريقة السليمة هي شطب الخطأ وكتابة الصواب فوقه. والمقصود بالشطب هنا ليس طمس الكلمة أو الجملة طمساً كاملاً، وإنما الإكتفـاء بوضـع خط واضـح فوق المـطمـوس، دلالة على إلغائه وإبطاله. أما الحك فكان مكروهاً. (٧٠)

وبـالنسبـة للكلمات المنسية فكانت تضاف ـ في الغالب ـ بين السطور؛ خاصة إذا كانت كلمة أو اثنتين. أما إذا كانت أكثر مما تحمله الفراغات الموجودة بين السطور فإن المتبع في مثل هذه الحالة هو أن تضاف في الحاشية. أي الهامش؛ مع وضع إشارة من موضـع الكلمات المنسية في السـطر حتى يستمـر المعنى، وينتـظم الكـلام، وتـترابط الأفكار. وهذا ما يعرف بالتخريج على الحاشية. وكان البعض يكتب في نهاية التخريج كلمة «صح». (٧١)

تاسعاً: ترقيم الأوراق، أو الصفحات:

يقصـد بالـترقيم هنا وضع أرقام تسلسلية، أو ما شابه ذلك على صفحات الكتاب بهدف تحديد موقع كل ورقة داخل الكتاب؛ كما هو متبع في الكتب المطبوعة.

بالنسبـة للكتب العربية المخطوطة التي دونت في العصور الأولى وحتى نهاية القرن الـرابع الهجري لم تكن في معظمها تخضع لأي نوع من أنواع الترقيم. إلا أن المؤلفين والنساخين فيما بعد أدركوا أن المخطوط عرضة للإنفراط والإضطراب، وبالتالي اختلاط الأوراق، وصعوبة إعادتها إلى وضعها السليم. لهذا فكروا في إيجاد حل لهذه المشكلة.

وكـان الحـل هو كتـابة أول كلمة في السطر الأول من الصفحات اليسرى في الهامش السفلي للصفحات اليمنى فقط من الكتب العربية المخطوطة. ويسمى هذا بـ «التعقيبة».

يرى الحلوجي أن هذه التعقيبات لم تظهر إلا بعد القرن الرابع للهجرة؛ فهو يقول: «ويبدو أن تلك التعقيبات لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري لأننا لانجد لها أثراً في أي مخطوط من مخطوطات القرنين الثالث والرابع التي تحت أيدينا.[٧٢]» إلا أن أحمد شوقي بنبين لا يشـارك الحلوجي هذا الرأي، بل انه يتساءل مستغرباً كيف يقبل عاقل هذا الرأي؟ ويضيف: أيعقل أن ينسخ مخطوط بدون اللجوء إلى وسيلة من الوسائل لترتيب أوراقه تيسيراً على قارئه أو دارسة؟![٧٣] والذي دفع أحمد شوقي بنبين إلى هذا الرأي ما أشار إليه من أن الدراسات الخاصة بهذه الظاهرة تشير إلى أن اللوحات الطينية المكتشفة في مكتبة آشور بانبال في مدينة نينوى القديمة بالعراق، والتي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد فيها ما يثبت استخدام التعقيبة بكتابة آخر سطر في اللوحة السابقة في اللوحة التي تليهـا.[٧٤] كما أشـار إلى وجـود مخطوطات عربية في دار الكتب الظاهرية بدمشق (حـالياً مكتبة الأسد) والخزانة الوطنية الفرنسية بباريس، ومكتبة جستربيتي في ايرلندا كتبت في القرنين الثالث والرابع الهجريين تشتمل كلها على التعقيبة؛ مما يعني أن العرب عرفوها واستخدموها في بعض كتبهم وليس كلها قبل القرن الخامس الهجري.[٧٥]

عاشراً: نهاية المخطوط:

نعني بنهاية المخطوط خاتمة الكتاب العربي المخطوط؛ والتي تعتبر من أهم عناصره، أو ملامحه. فهي تتميز ـ عادةً ـ بعبارة تدل على انتهاء النص، وأن هذا هو آخر مادون في هذا الكتاب أو المجلد، مع ذكر لإسم الناسخ، ومكان النسخ؛ وتاريخه، محدداً باليوم، والشهر، والسنة. وهذه المعلومات كلها أو بعضها ترد في كثير من المخطوطات العربية، باستثنـاء مكان النسخ الذي لا يرد كثيراً. واحياناً وإن كان نادراً يرد في نهاية المخطوط عنوان المخطوط، واسم مؤلفه.

أما إذا كان الكتاب المخطوط يتألف من عدة أجزاء، أو مجلدات، فإنه يرد في نهاية كل جزء أو مجلد العبارة التالية: (تم الجزء كذا؛ أو المجلد كذا، ويليه الجزء كذا، أو المجلد كذا، وأولـه كذا وكـذا..) وتأتي نهاية المخطوط ـ في الغالب ـ على شكل هرم مقلوب يسمى «متن المخطوط». «أنظر الشكل رقم ٢٤».

حادي عشر : أحجام أوراق المخطوط:

نتيجة لقلة الورق، وارتفاع اثمانه، خاصة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة لم يكن المؤلفون والنساخون يهتمون كثيراً ـ كما يبدو ـ بتساوي أحجام أوراق الكتاب المخطوط الواحد؛ إذ كانوا يفرحون بالورق دون مبالاة بشكله، أو نوعه أو حجمه؛ ولهذا وجدت بعض المخطوطات القديمة تضم أوراقاً مختلفة الأحجام إلا أن هذه الظاهرة اختفت إلى حد كبير بعد أن بدأ العرب بتصنيع الورق في بلادهم، مما ساعد على وفرته، ورخص ثمنه، وانتشار استعماله.

(الشكل رقم ٢٤)

رغم كثرة الورق وتعدد أنواعه، وأحجامه فإن المؤلفين والنساخين كانوا ـ كما يبدوا ـ حريصين على توحيد حجم أوراق المخطوطات. ولعل ما يؤكد أن الرغبة هذه كانت موجودة لديهم هو أن أوراق المخطوطات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وما بعده كانت في معظمها متساوية تقريباً في المخطوط الواحد.

لم تكن للكتب العربية المخطوطة مقاييس، أو أحجام ثابتة؛ إذ نجد بينها تفاوتاً بيناً في الأحجام والمقاسات، باستثناء مخطوطات القرون الأولى للهجرة والتي ظهر معظمها كما يقول الحلوجي في حجمين متقاربين، الأول ١٢×١٨سم، والثاني مقاس ١٨×٢٥سم تقريباً.(٧٦)

ثاني عشر: التمليكات، والإجازات، والسماعات، والمعارضات أو المقابلات:

التمليكات، والإجازات، والسماعات، والمعارضات ليست سوى وسائل، أو صور توثيق تُذكر في أوائل، أو أواخر صفحات بعض المخطوطات.

بالنسبة للتمليكات فإن العرب قد إعتادوا على تدوين أسمائهم على الكتب المخطوطة التي يمتلكونها؛ هذا إذا كان المالك شخصاً معيناً؛ أما إذا كانت ملكية المخطوط تعود لجامع أو مسجد، أو مكتبة ما، فإن اسم الجامع، أو المسجد، أو المكتبة هو الذي يدون على المخطوط. وقد يدون أيضاً تاريخ التملك ويلاحظ ظهور التمليكات على الصفحات الأولى أكثر من الصفحات الأخيرة.

أما الإجازات فهي إذن من الشيخ أو العالم يجيز به من يثق به من تلاميذه، أو من طلبة العلم الآخرين بررواية، أو نسخ، أو تدريس كتاب معين من كتبه التي ألفها. وتشمل الإجازة ـ عادة ـ على معلومات منها: إسم المجيز، وإسم المجاز له، واسم الكتاب، ونوع الإجازة وتاريخها. ولم يكن أحد ـ في الغالب ـ يجرؤ على القيام بتدريس مادة كتاب من الكتب لعالم من العلماء من دون أن يجاز له القيام بهذا العمل؛ بل لابد من إثبات هذه الإجازة على الكتاب نفسه بخط المجيز وتوقيعه.

أما بالنسبة للسماعات فهي اثبات أن الكتاب المخطوط قد أُسمع على مؤلفه، أو على عالم فاضل يوثق بعلمه. فقد كان نظام التعليم في الإسلام يقوم على أُستاذ، أو شيخ يشرح كتاباً، أو يملي مؤلفاً؛ والتلاميذ من حوله يدونون ذلك؛ ثم يقوم أحد التلاميذ بإعادة ما أملاه أُستاذه، أو شيخه ليتأكد هو وزملاؤه من صحة ما كتبوه؛ وليؤكد هذه الصحة بتدوين ما يثبت أن فلاناً قد أسمع هذا الكتاب على الشيخ فلان ليكون ثقة ـ أي الكتاب ـ في مادته بعد ذلك. كما جرت أيضا عادة بعض طلبة العلم أن يقرأوا الكتاب المخطوط على شيخ عالم بمادة الكتاب المقرؤ حتى ولو لم يكن مؤلفه، ثم يثبتوا في آخر الكتاب إسم العالم الذي قُرِىء عليه؛ وذلك زيادة في الثقة بصحة وسلامة محتويات مادة الكتاب المخطوط.

وفيما يتعلق بالمعارضات، فهي المراجعات، أو المقابلات التي تتم بين نسختين أو أكثر من مخطوط ما؛ وذلك بأن تكون إحدى النسخ أصلية؛ كأن تكون نسخة المؤلف؛ أو أسمعت عليه؛ أو عليها ما يؤكد صحتها؛ فيؤتى بالنسخة، أو النسخ الأخرى وتراجع على الأصل؛ كأن يقرأ الأصل شخص يوثق به والآخرون يتابعون ما يقرأ في النسخ الأخرى؛ ثم يدون في آخر النسخة أو النسخ الأخرى مايفيد بأنها عورضت، أو قوبلت على الأصل.

السماعات، والمعارضات أو المقابلات تدون في أكثر الأحيان في نهاية المخطوطات. أما الاجازات فإن نهاية المخطوطات تكون ـ في الغالب ـ لا تتسع لها؛ ولهذا كانوا يسجلونها على أوراق منفصلة تضاف إلى آخر المخطوط. (انظر الأشكال رقم ٢٥ ورقم ٢٦ ورقم ٢٧).

ثالث عشر: الصور، والرسومات، والحليات والزخارف:

من ألوان الفن في الكتب العربية المخطوطة: الصور، والرسومات؛ التي يؤتى بها لخدمة النص المكتوب. أما الحليات والزخارف؛ وهي أيضاً من ألوان الفن، فليس لها صلة بالنص إطلاقاً، وانما تزين بها بعض الكتب المخطوطة لغرض جمالي بحت.

عرفت الصور والرسومات طريقها إلى الكتاب العربي منذ القرن الثاني للهجرة. وكانت في أول أمرها بسيطة، خالية من الإبداع الجمالي؛ إذ ينظر إليها على أنها وسيلة لاغاية؛ توضيحية لا جمالية.

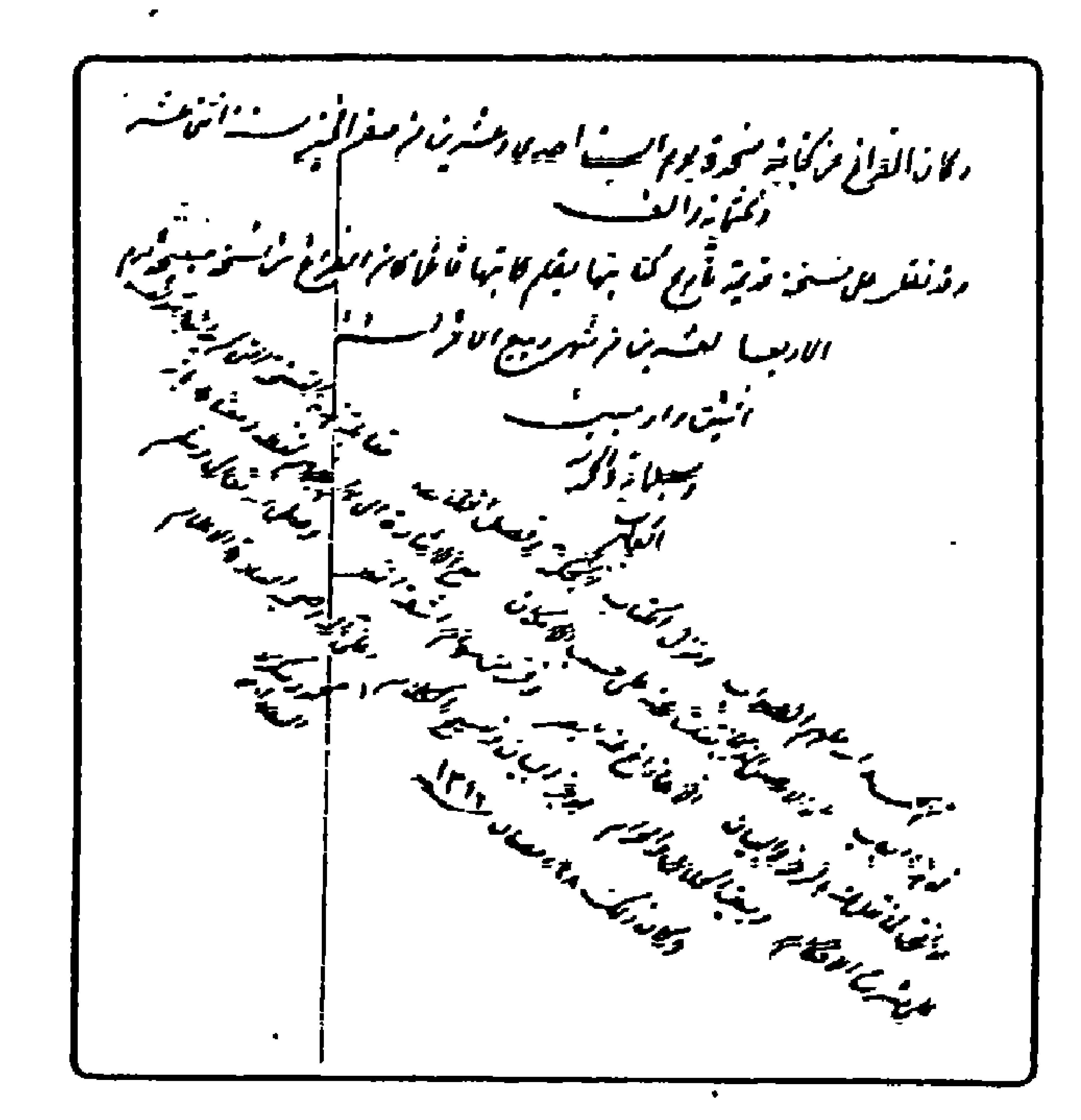
وتؤكد مصادر التراث أن العرب عرفوا الكتب المصورة عن طريق الفرس منذ أوائل القرن الثاني للهجرة.[٧٧] ويعتبر كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه عبد الله بن المقفع من أوائل الكتب المصورة في اللغة العربية.[٧٨] ومن أشهر الكتب المزينة بالصور كتاب (عجائب المخلوقات) للقزويني، وكتاب (صور الكواكب) للصوفي، وكتاب (مقامات الحريري)، وكتاب (خواص العقاقير) لعبد الله بن الفضل.

استخدم الخلفاء الأمويون، والعباسيون، والفاطميون الصور والرسومات على العملات، وعلى جدران بعض القصور.

قد يتساءل البعض عن موقف الإسلام من الصور. والحقيقة أن معظم فقهاء المسلمين يحرمون التماثيل التي لها روح، كالانسان، والحيوان، ونحو ذلك، أما ماليس له روح كالأشجار، والأزهار فلا خلاف بين العلماء في إباحته.

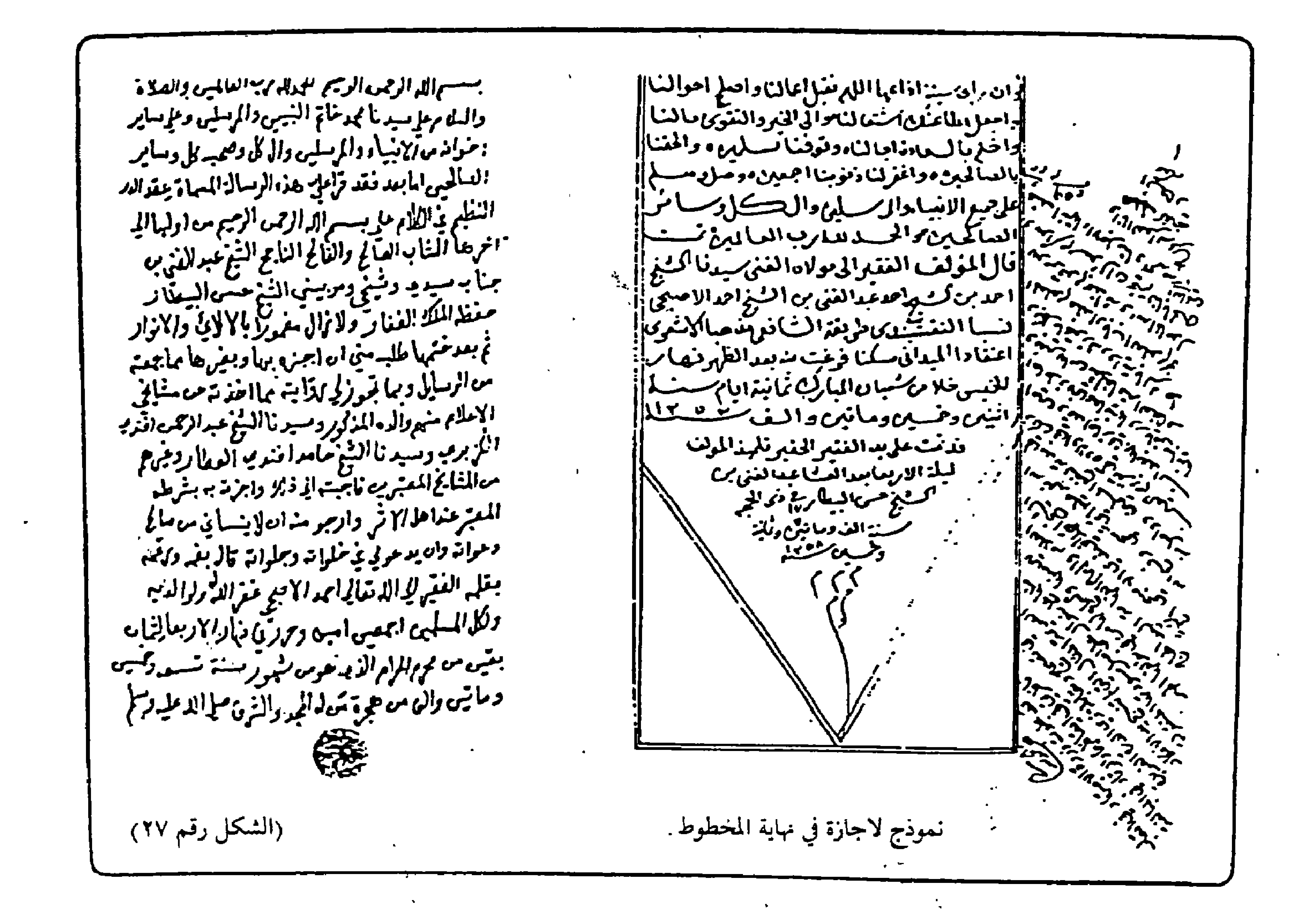
سماع مؤرخ في سنة ٨٣٥هـ.

(الشكل رقم ٢٥)



إثبات مقابلة على الأصل

(الشكل رقم ٢٦)



نموذج لاجازة في نهاية المخطوط.

(الشكل رقم ٢٧)

أما ماله روح ولا ظل له فقد وقع فيه خلاف بين العلماء، فذهب بعضهم إلى تحريمه أخذا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»؛[٧٩] وقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه صورة»[٨٠]. وذهب البعض الآخر إلى اباحته محتجين بأن ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حول تحريم الصور لم يكن مطلقاً؛ فقد قال: «إلا رقماً في ثوب»[٨١]؛ وما ورد عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أنها قالت: «كان لنا ستر به تمثال طائر؛ وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا».[٨٢]

ويبيح كثير من العلماء في عصرنا الحاضر الصور التي أصبحت ضرورية كالصور الشمسية في الوثائق، والبطاقات الرسمية؛ وكذلك الصور التي تستعمل كوسيلة ايضاح تعليمية بما في ذلك الصور المجسمة التي أصبحت من الإحتياجات اللازمة لطلاب الطب والتشريح؛ إذ بوضعها أمام الدارسين مايساعدهم على التعرف على أسرارها، وكشف أمراضها، وكيفية علاجها.

لم تكن الزخارف، والصور، والرسومات التي وجدت في الكتب العربية المخطوطة؛ وخاصة تلك التي كتبت بعد القرن الرابع للهجرة أقل حظاً في الجمال، والإبداع من تلك التي كانت على جدران القصور والجوامع. فعبد الرحمن بن عمر الصوفي (ت ٣٧٦هـ) في كتابه «صور الكواكب» قد رسم لنا باحساس فني جميل الكثير من صور الكواكب والنجوم. كما أن كتاب «خواص العقاقير» الذي كتبه وصوره عبد الله بن الفضل سنة ١٢٢٢م يحتوي على ثلاثين صورة للأطباء وهم يؤدون اعمالهم. وهذه الصور رغم أن الهدف منها هو خدمة الموضوع، وايضاح الفكرة التي يتحدث عنها المؤلف إلا أنها لا تخلو من لمسات فنية وجمالية.

«أنظر الأشكال رقم ٢٨، رقم ٢٩، ورقم ٣٠»

ويعتبر عصر أبي جعفر المنصور بداية عصر النهضة الفنية في القرون الوسطى؛ إذ كان محباً ومشجعاً للفنون التصويرية، مما ساعد على إزدهارها. وقد رسمت أقاليم الأرض على خرائط ملونه لهارون الرشيد، ولابنه المأمون. ومن الكتب القديمة التي تحتوي على خرائط جغرافية كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (ت ٣٨٠هـ)؛ وكتاب أحسن التقاسيم للمقدسي (ت ٣٨٠هـ) والذي استخدم في رسم خرائطه أصباغاً مختلفة الألوان.[٨٣]



(الشكل رقم ٢٨)

أما الحليات والزخارف فهي تلك التي تحلى بها الكتب المخطوطة لمجرد القيمة الجمالية الفنية، دون أن يكون لها صلة بالنص. لقد بدأ الإهتمام بفن الزخرفة في الكتب العربية المخطوطة في القرون الإسلامية الأولى. وكان يقتصر ـ في الغالب ـ على مواضع معينة من الكتاب هي: صفحة العنوان؛ وصفحة أو صفحتان في أول المخطوط؛ وأوائل الأبواب أو الفصول، ونهاية المخطوط. وقد تشمل الزخرفة أيضا أغلفة الكتب؛ خاصة إذا كانت مجلدة وقيمة.

وكما كانت الصور والرسومات في بدايتها متواضعة، كذلك كانت بدايات الزخرفة في المخطوطات العربية بسيطة، لا تعدو أن تكون صفاً من النقط؛ أو خطاً رفيعاً؛ أو مجموعة خطوط متعرجة. ثم أخذت في التطور شيئاً فشيئاً حتى أصبحت قمة في الروعة والجمال تختلط فيها الأشكال الهندسية بالزخارف النباتية.



(الشكل رقم ٢٩)



(الشكل رقم ٣٠)

فنون الزخرفة لم تشمل في البداية المصاحف؛ فقد كان المسلمون يتحرجون كثيراً في ادخال أي اضافات عليها. واستمروا في ذلك حتى القرن الثالث الهجري على أقل تقدير. وكانت في البداية زخارف في الصفحات الأولى والأخيرة؛ وفي الفواصل بين السور؛ وأحياناً بعد نهايات الآيات. ثم أخذت في التطور منذ القرن الخامس لتشمل ـ في بعض الأحيان ـ الصفحات كلها. وكان فنانو الرسم والتذهيب يتبارون في تزيين وزخرفة المصاحف ليصل إبداعهم إلى درجة عالية من الفن الجمالي الأخاذ. وكل ذلك كان تكريماً وتعظيماً للقرآن الكريم، لما له من قدسية ومكانة سامية في نفوسهم.

لم يكن في تلك الزخرفة الجمالية الرفيعة شيء يتعارض مع النصوص القرآنية الشريفة؛ بل كلها كانت تليق بالقرآن وعظمته؛ إذا أنها لا تعدو أن تكون أشكالاً هندسية، وزخارف نباتية تأتي داخل مستطيلات ملونة ومذهبة تفصل بين السور.

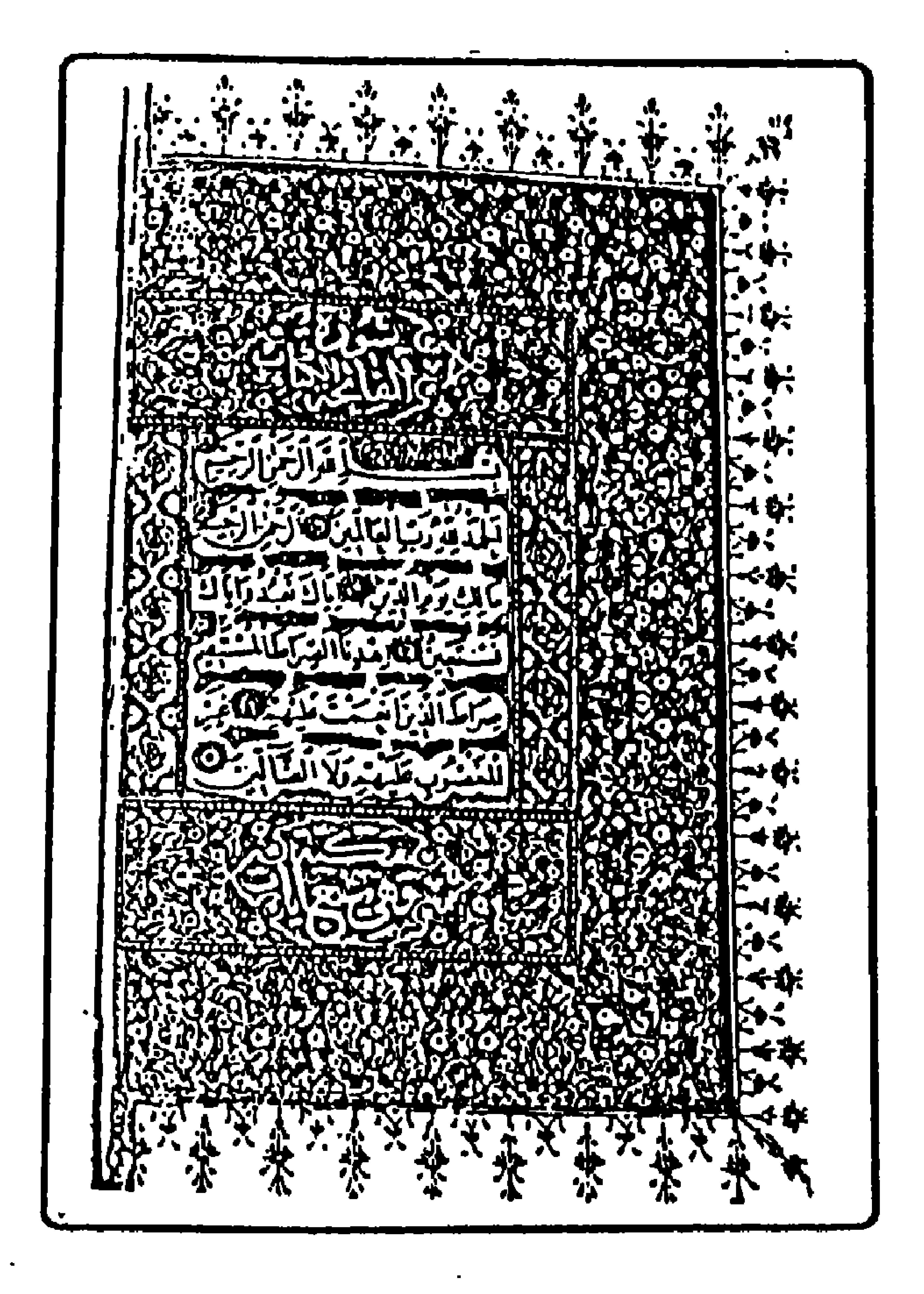
أما فواصل الآيات، وعلامات التعشير فكانت عبارة عن حليات صغيرة على شكل حلقات، أو دوائر، أو مربعات زخرفية ملونة. إلا أن علامات التعشير تأخذ ـ في الغالب ـ شكلاً كمثرياً، وتكون أكبر حجماً، وأكثر تعقيداً من فواصل الآيات. وكانت علامات التعشير في أول أمرها خالية من الكتابة؛ ثم أضيفت إليها من الداخل كتابة أرقام العشور.

«أنظر الأشكال رقم ٣١ ورقم ٣٢ ورقم ٣٣».

ولهذا يمكن القول بأن الكتب العربية المخطوطة كانت ميداناً ..اً نفن الزخرفة المختلفة؛ وأن هذا قد شمل المصاحف، ولكن بما يليق بعظمة القرآن الكريم وقدسيته؛ وان المزخرفين قد استعملوا الألوان الذهبية، والفضية، إلى جانب الألوان الأخرى المعروفة كالأحمر، والأزرق، والأخضر، والأصفر، وغيرها من الألوان.

ومن أشهر مذهبي القرون الإسلامية الأولى الذين مارسوا فن التذهيب، وخاصة في المصاحف: اليقطيني؛ ابراهيم الصغير؛ ابو موسى بن عمار؛ بن السفطي؛ وأبو عبد الله الخزيمي. [٨٤]

أخذ العثمانيون فيما بعد فن التذهيب من العرب؛ وعُنوا به عناية فائقة جعلتهم يبدعون فيه إبداعاً يفوق الوصف. ومن أشهر المذهبين الأتراك أحمد بن حاج محمود آق سراى (ق ٩ الهجري)، وحسن شلبي، وعلي اسكدار. [٨٥]



(الشكل رقم ٣١)

أيضاً أخذ الإيرانيون هذا الفن من العرب وأبدعوا فيه كثيراً؛ بل طوروه بأن وفقوا بين الكتابة والزخرفة، مما أضاف لها بعداً جمالياً أخاذاً.(٨٦)

رابع عشر: التجليـــد:

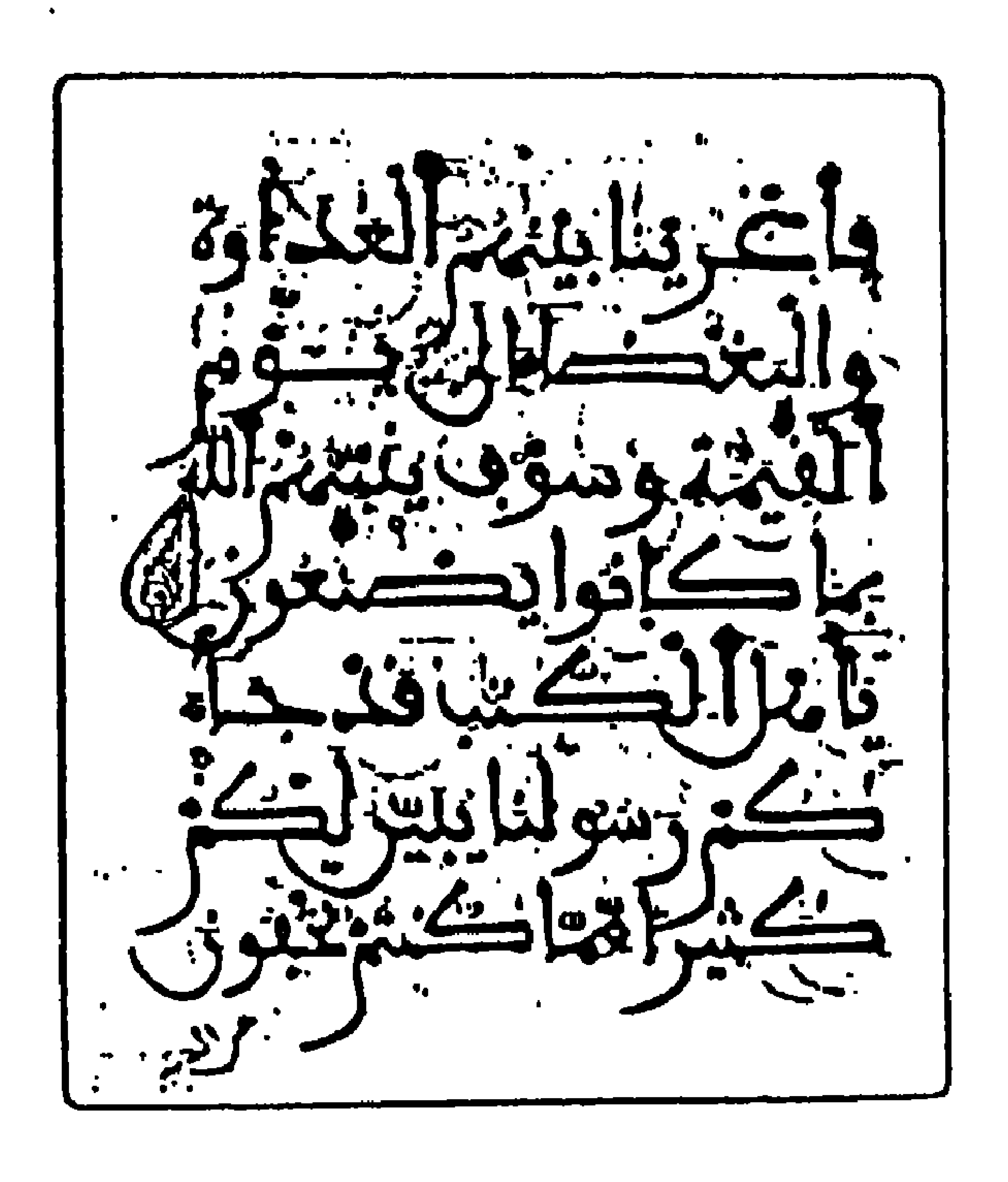
لم يعـرف العـرب فن التجليد قبـل الإسلام؛ إلا أن التجليد الذي يمكن اعتباره عنصراً فنياً من عناصر الكتاب العربي المخطوط كان في أول أمره بدائياً مثله مثل غيره من الصور والرسومات والزخارف التي بدأت بداية متواضعة ثم تطورت مع الزمن.

يعتبر القرآن الكريم أول كتاب مخطوط يجلد بالمعنى المفهوم؛ وقد تم ذلك في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكانت الصورة الأولى للتجليد تتمثل في وضع المخطوط بين لوحين خشبيين؛ في كل لوح منها ثقبان متباعدان قرب قاعدة الكتاب؛

(الشكل رقم ٣٢)

يمر بكل ثقب خيط رفيع ولكنه متين، مصنوع ـ في الغالب ـ من ليف النخل؛ يمسك اللوحين وما بينهما. ويقال أن هذه الطريقة البدائية أخذها العرب من الأحباش. [٨٧] ويوجد مثال لهذا النوع من التجليد القديم لنسخة تراثية فيها النصف الأول من القرآن الكريم ، تتكون من ٢٠٩ ورقات؛ مصنوعة من جلد الغزال؛ وموجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة؛ أبعادها ٢٣×٢٤؛ ومكتوبة بخط الإمام جعفر الصادق (ت ١٠٠هـ). [٨٨]

في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة أخذ الجلد يدخل في صناعة تجليد الكتب العربية المخطوطة؛ فاستعملت منه في البداية شرائط تلصق على كعب الكتاب؛ ثم كان التوسع في استخدامه حتى شملت تغطية دفتي الكتاب بالكامل بغطاء جلدي .



(الشكل رقم ٣٣)

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الغلاف الجلدي نفسه، وخاصة الخارجي ميداناً رحبا للتزويق الجميل والزخرفة الفاخرة. كما شمل التطوير الغلاف من الداخل، أي ظهر الجلدة من الداخل؛ فقد كان يبطن بالورق، أو الجلد، أو قماش الديباج أو الحرير؛ ثم أصبح يزين هو الآخر بزخارف واشكال هندسية ونباتية أخاذة لا تقل روعة وجمالاً - أحياناً - عن زخارف الغلاف الخارجي.

بلغ من رقي التجليد العربي وتقدمه أن المجلدين استحدثوا مايعرف باللسان؛ وهو إمتداد في الجلدة اليسرى؛ يُثنى - في الغالب - لغرضين: إما لتغطية الأطراف العلوية لورق المخطوط وقاية لها من عوامل التمزق؛ وإما لتحديد الموضع الذي وقف عنده القارىء أثناء القراءة. وقد أورد النديم في الفهرست ذكر سبعة من المجلدين المشهورين، أولهم بن أبي الحريش، الذي قال إنه كان يجلد في خزانة الحكمة (بيت الحكمة) للمأمون.(٨٩)

الفصل التاسع
المخطوطات العربية في العالـم

خلفت الحضـارتان العربية والإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً تراثاً مدوناً في شتى ميادين العلم والمعرفة، أثرى الحضارة الإنسانية، وأفاد في تقدم العالم، وكان من العوامل الأساسية في النهضة الأوربية. هذا التراث العربي الإسلامي والذي يعتبر ذاكرة الأمـة قد تعـرض ـ مع الأسف الشـديد ـ في معظمه وعلى كثرته للسرقة والضياع، أو الإتلاف المتعمد من أعداء العرب والمسلمين؛ والذي كان آخره الهجوم الشرس الذي تعرضت له البوسنة والهرسك في يوغسلافيا السابقة حيث قتل الصرب الحاقدون مئآت الآلاف من المسلمين؛ ودمروا أكثر من مائتي جامع ومسجد، واحرقوا عدداً مماثلاً من المكتبات، منها مكتبة قومية كانت تضم حوالي مليون مخطوط من العصر العثماني.[٩٠]

تشـير المصادر إلى أنه يوجد في مكتبات العالم أكثر من خمسة ملايين مخطوط عربي، واسلامي، نشر منها خلال القرنين الماضيين زهاء مائتي الف مخطوط فقط.[٩١]

ومن أهم مراكز المخطوطات العربية في العالم:

١ - جمهورية مصر العربية:

تأتي مصر في المـرتبة الثالثة بين الدول العشر الأكثر إمتلاكا للمخطوطات في العالم الإسلامي. ومن أهم مراكز المخطوطات فيها:

أ ـ مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة: تضم ما يربو على ٧٠,٠٠٠ مخطوط معظمها باللغة العربية. وقد تجمع معظم هذه الأعداد الكبيرة من المخطوطات نتيجة ضم الكثـير من المكتبات إلى الدار؛ مثل «الخزانة التيمورية» «ومكتبة أحمد طلعت باشا»، و «مكتبة قوله».[٩٢]

ب ـ المكتبة الأزهرية بالقاهرة: وتضم ما يقرب من ٢٥ ألف مخطوط في شتى الموضوعات.[٩٣]

ج ــ مكتبة بلدية الإسكندرية : وتضم ما يقرب من أربعة آلاف مخطوط . [٩٤]

د ــ مكتبة دمياط : وتحتوي على أكثر من ٣٣٠٠ مخطوط . [٩٥]

هـ ــ معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ؛ والذي تأسس سنة ١٩٤٧م قام بتصوير أكثر من ٣٠ ألف مخطوط عربي تم اختيارها من مكتبات كثيرة في العالم . [٩٦]

٢ ـ المملكة العربية السعودية :

تأتي المملكة العربية السعودية في المرتبة الخامسة ضمن أكثر عشر دول إسلامية امتلاكاً للمخطوطات ، معظمها في مدينة الرياض . [٩٧] وأكثر الجهات إمتلاكاً للمخطوطات في المملكة هي :

أ ــ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، ويضم أكثر من (٢٣) ألف مخطوط معظمها مخطوطات أصلية . [٩٨]

ب ــ المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض ، وتضم ما يزيد على (٢٠) ألف مخطوط ، أكثر من نصفها تقريباً أصلي ، والباقي مصور . [٩٩]

ج ــ المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ؛ وتضم هي الأخرى قرابة (٢٠) ألف مخطوط أكثر من ٦٠٪ منها مصور [١٠٠]

د ــ مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة المنورة ؛ وتضم مجموعة من مكتبات الأوقاف بلغ عددها (١٤) مكتبة ؛ والتي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات ، ومن هذه المكتبات الوقفية : مكتبة عارف حكمت ، والمكتبة المحمودية ، ومكتبة الحرم النبوي .

هـ ــ مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة .

و ــ مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة .

ز ــ دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، وفيها أكثر من ١٥٠٠ مخطوطة ما بين أصلية ومصورة [١٠١] .

ح ــ مكتبة الرياض السعودية التابعة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ، وفيها مايقرب من ٩٠٠ مخطوطة معظمها مخطوطات أصلية [١٠٢] .

ط ــ مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ، وتقتني أكثر من ألف مخطوط ما بين أصلي ومصور .

ي ــ مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض .

٣ ـ سوريـــا:

يأتي ترتيب سوريا في المرتبة السابعة ضمن أكثر عشر دول إسلامية إمتلاكاً للمخطوطات. وأهم الجهات فيها اقتناء للمخطوطات هي:

أ ــ مكتبة الأسد بدمشق، وتضم أكثر من (١٢) ألف مخطوط.[١٠٣]

ب ــ مكتبة الأوقاف بحلب.

ج ــ دار الكتب الوطنية في حلب.

د ــ المكتبة الوقفية الأحمدية بحلب.

هـ ــ مكتبة المجمع العلمي العربي في دمشق.

٤ ـ العـــراق:

يأتي العراق في المرتبة الرابعة ضمن أكثر عشر دول إسلامية امتلاكاً للمخطوطات. ومن الجهات التي تقتني المخطوطات بالعراق:

أ ــ مكتبة الأوقاف العامة في بغداد.

ب ــ دائرة الآثار والتراث في بغداد، وتمتلك زهاء (٤٠) ألف مخطوط.[١٠٤]

ج ــ المكتبة العباسية في البصرة.

د ــ مكتبة الأوقاف العامة في الموصل.

هـ ــ خزانة المتحف العراقي ببغداد وفيها أكثر من ٣٦٠٠ مخطوط[١٠٥]

و ــ مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد.

ز ــ مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد.

٥ ـ المملكة المغربية:

يأتي المغرب في المرتبة السادسة ضمن أكثر عشر دول إسلامية امتلاكاً للمخطوطات. وأكثر الجهات اقتناء للمخطوطات هي:

أ ــ الخزانة العامة في الرباط؛ وتضم (١١٠٦١) مخطوطة[١٠٦].

ب ــ الخزانة الحسنية، وفيها زهاء (٦٠٠٠) مخطوط.[١٠٧]

ج ــ مكتبة جامع القرويين في فاس، وتشتمل على (٢٠٣٠) مخطوط.[١٠٨]

د ــ المكتبة الصبيحية في سلا؛ وتضم (٤٠٠٠) مخطوط.[١٠٩]

هـ ــ خزانة الجامع الكبير في مكناس.

و ــ مكتبة الزاوية الحمزية في سيدي حمزة؛ وفيها (١٢٠٢) مخطوط[١١٠].

ز ــ دار الكتب العامرية في تمغرات وتضم زهاء، (٤١٨٤) مخطوط.[١١١]

ح ـ المكتبة العامة في تطوان .

ط ـ خزانة الجامع الكبير في طنجة .

٦ ـ تونـــس :

أ ـ مكتبة الجامع الكبير بالقيروان .

ب ـ مكتبة جامع الزيتونة في تونس .

ج ـ دار الكتب الوطنية ، وفيها نحو من ٢٥٠٠٠ مخطوط[١١٢] .

٧ ـ اليمـــن :

أ ـ المكتبة العامة في صنعاء .

ب ـ مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ؛ وتضم (٥٠٠٠) مخطوط[١١٣]

٨ ـ الســودان :

أ ـ المكتبة العامة في أم درمان .

ب ـ مكتبة جامعة الخرطوم .

٩ ـ ليبيـــا :

أ ـ مكتبة جامع قاريونس في بنغازي .

ب ـ مكتبة أوقاف طرابلس ، وفيها ما يقرب من الفي مخطوط .[١١٤]

ج ـ مكتبة الآثار بطرابلس .

١٠ ـ الأردن :

أ ـ مكتبة جامعة عمان .

ب ـ دار الكتب الأردنية في عمان .

١١ ـ فلسطـــين :

أ ـ مكتبة المسجد الأقصى بالقدس .

ب ـ مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل .

١٢ ـ البحريـــن :

أ ـ مكتبة المتحف البحريني .

١٣ ـ موريتانيـــا :

أ ـ دار الكتب الوطنية .

١٤ - قطـــر:

أ - دار الكتب الوطنية

١٥ - تركيـــا:

تحتل تركيا المرتبة الأولى ضمن أكثر عشر دول اسلامية اقتناء للمخطوطات في العالم الاسلامي[١١٥]؛ ويقال إنه يوجد في تركيا مايربو على (٦٠٠) ألف مخطوط؛ ٨٠٪ منها مدون باللغة العربية[١١٦].

وأهم المكتبات التركية اقتناء للمخطوطات العربية:

أ - المكتبة السليمانية المركزية في استنبول؛ ففيها عدد كبير من المخطوطات، خاصة بعد الحاق زهاء (٥٥) مكتبة فرعية بالمكتبة السليمانية. ويقدر مابها من مخطوطات بـ (٧٠,٠٠٠) مخطوط، منها (٤٨٨٨٤) باللغة العربية.[١١٧]

ب - مكتبة الجامعة في استنبول، وفيها أكثر من ١٧ ألف مخطوط، منها ٦٣٧٤ مخطوط عربي[١١٨].

جـ - المكتبة العمومية في استنبول، وفيها زهاء (٥٢) ألف مخطوط[١١٩].

١٦ - إيـــران:

تأتي إيران في المرتبة الثانية بعد تركيا ضمن أكثر عشر دول اسلامية امتلاكاً للمخطوطات. إذ يقدر مافيها من مخطوطات بمئتي ألف مخطوطه؛ منها أحد عشر ألف مخطوطة قرآنية في مكتبة آستان قدس رضوي في مشهد.[١٢٠]

ومن أهم المكتبات الإيرانية الأخرى التي تقتني المخطوطات العربية:

أ - مكتبة مرعشي (كتابخانة مرعشي - قم) ويقدر مافيها من المخطوطات الفارسية والعربية بـ ٥٠٠٠ مخطوط.[١٢١]

ب - خزانة فخر الدين النصيري: وتمتلك مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية؛ منها ٢٠٣ مخطوطات تعتبر من أنفس المخطوطات العربية.[١٢٢]

جـ - مكتبة ملك التجار بطهران: وتعتبر من أهم مكتبات طهران: وقد ذكر صلاح الدين المنجد أن في مكتبة ملك (١٢٦) مخطوطة عربية نادرة.[١٢٣]

د - دار الكتب الوطنية بطهران: وفيها عدد كبير من المخطوطات الفارسية والعربية، وقد ذكر حسين علي بأن في هذه المكتبة (١٣٢) مخطوطة عربية نادرة.[١٢٤]

١٧ - بريطانيـا :

أ ــ المكتبة البريطانية .

ب ــ مكتبة جستر بيتي في دبلن - ايرلندا ؛ وبها نحواً من **٢٥٠٠** مخطوطة عربية .

ج ــ مكتبة برمنجهام ، وفيها أكثر من الفي مخطوط عربي .

١٨ - فرنســا :

أ ــ المكتبــة الوطنية بباريس ؛ وفيها **(١٢٥)** ألف مخطوطة ، خمسها تقريباً مخطوطات شرقية ، معظمها عربي .

١٩ - اسبانيـا :

أ ــ مكـتبــة دير الاسكــوريال في مدريد ، وتضم نحــو (١٠,٠٠٠) مجلد من المخطوطات العربية .[١٢٦]

ب ــ المكتبة الأهلية بمدريد .

ج ــ مكتبة جامعة غرناطة .

٢٠ - ألمانيـا :

أ ــ مكتبة الدولة الألمانية في برلين وفيها أكثر من عشرة آلاف مخطوط عربي .[١٢٧]

ب ــ مكتبة هامبورج .

ج ــ مكتبة ميونخ .

٢١ - إيطاليـا :

أ ــ مكتبة الفاتيكان بروما .

ب ــ مكتبة البندقية .

ج ــ المكتبة الوطنية .

٢٢ - هولنــدا :

أ ــ مكتبة جامعة ليدن .

ب ــ الخزانة الملكية في أمستردام .

٢٣ - النمســا :

أ ــ مكتبة فينا الوطنيه .

ب ــ مكتبة الأكاديمية الشرقية بفينا .

٢٤ - روسيـــا:

يقال إن دول ماكان يعرف بالاتحاد السوفيتي سابقاً تقتني زهاء (٤٠) ألف مخطوط عربي.[١٢٨]

ومن أهم المكتبات التي تقتني مخطوطات عربية هناك:

أ ــ مكتبة معهد الدراسات الشرقية في طشقند بأوزبكستان.

ب ــ مكتبة ليننغراد العامة.

ج ــ مكتبة الكلية الشرقية بجامعة ليننغراد.

د ــ مكتبة لينين في موسكو.

هـ ــ أكاديمية العلوم في باكو بأذربيجان.

٢٥ - الولايات المتحدة الأمريكية:

أ ــ مكتبة الكونجرس الأمريكي بواشنطن العاصمة؛ وفيها أكثر من (١٥٠٠) مخطوط عربي[١٢٩]

ب ــ مكتبة جامعة برنستون، وفيها عشرة آلاف مخطوط عربي[١٣٠]

ج ــ مكتبة جامعة هارفرد.

د ــ مكتبة جامعة ميتشجن وفيها ما يقرب من (١٢٠٠) مخطوط عربي[١٣١].

هـ ــ مكتبة جامعة بيل في نيوهفن؛ وفيها ما يقرب من (١٨٠٠) مخطوط عربي أصلي؛ بعضها مكتوب على أوراق البردي.[١٣٢]

الفصل العاشر
صيانة المخطوطات

المؤثرات السلبية :

الهـواء الجوي الذي يتكون من خليط من الغازات يعتبر مسؤولاً عن كثير من التلف الذي تتعرض له المواد العضوية ، ومنها الورق والجلود ؛ وهي المواد التي تتكون منهـا الكتب والـوثـائق ؛ سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة ؛ ويكون التأثير أقوى وأسرع إذا صاحب ذلك تلوث بغازات أخرى ضاره ؛ وخاصة في المدن الصناعية ؛ بالاضافة إلى التغيرات التي تحدث في نسبـة الحـرارة والرطوبة ، والاشعاعات الضوئية ؛ مما يزيد تكاثر جراثيم الفطريات ، وبويضات الحشرات ؛ وما ينتج عن ذلك كله من تأكسد الأوراق والجلود، وتعرضها بالتالي للضرر أو التلف .

لقـد أشـار مصـطفى مصـطفى السيد يوسف(١٣٣) إلى أن الأضرار التي تلحق بالمخطوطات نتيجة تفاعل العوامل آنفة الذكر تظهر بأشكال مختلفة ؛ منها :

١ ــ جفاف الأوراق، وتقصف أطرافها .

٢ ــ انتشار الثقوب على الأوراق .

٣ ــ انتشار بقع لونية كيميائية وبيولوجية على الصفحات والأغلفة .

٤ ــ التصاق الأوراق ببعضها، وبالتالي تحجر المخطوط .

٥ ــ تآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة .

٦ ــ بهتان لون الحبر ومواد الكتابة الأخرى .

٧ ــ إلتـواء وانكـماش الأغلفـة ، وبالذات الجلدية منها ؛ خاصة إذا تلا ارتفاع نسبة الرطوبة ارتفاع مفاجيء في درجة الحرارة .

٨ ــ تفتت وهشاشية الكعب .

٩ ــ تصلب، أو تحجر الأغلفة .

وسنستعرض فيما يلي وبشيء من الإيجاز أهم العوامل التي تلعب دوراً قوياً في تلف الوثائق والكتب المخطوطة والمطبوعة، والجلود:

أولاً: العوامل الكيميائية:

تعتبر الوثائق والمخطوات من أشد وأسرع الماديات تأثراً بالملوثات الكيميائية التي يحملها الهواء؛ مما ينتج عنه اصابتها بالأحماض؛ العدو اللدود للأوراق، لما تشكله ـ أي الأحماض ـ من أخطار تهدد الوثائق والمخطوطات بالتلف.

من أهم الملوثات الكيميائية الضارة:

١ ـ غاز ثاني أكسيد الكبريت: يتكون هذا الغاز في الجو بسبب احتراق الفحم، والوقود المستخدم للتدفئة؛ أو في المصانع؛ أو الخارج من عوادم السيارات؛ وذلك لأن الإحتراق لايكون كاملاً فيتناثر في الهواء الجوي الذي يصعب ـ أحياناً ـ تفادي تعرض الوثائق والكتب له. ويكون تأثير هذا الغاز أقوى وأسرع إذا كانت الرطوبة في الجو مرتفعة.

٢ ـ الغبار والأتربة: هذه الحبيبات الدقيقة والخفيفة جداً يحملها الهواء بسهولة، فتلتصق على أغلفة الكتب؛ بل وتتسرب منتشرة داخل صفحات الكتب؛ حاملة معها جراثيم الفطريات، وبويضات الحشرات التي تنمو بسرعة متناهية؛ خاصة إذا توفرت الرطوبة والحرارة؛ وهما العاملان لنموها؛ مما ينتج عن ذلك اصابة الوثائق والمخطوطات بالأضرار التي قد يصعب اصلاحها.

أيضاً فإن احتواء الغبار على نسب من العناصر المعدنية كالحديد والرصاص يساعد على انتشار البقع الصفراء على الورق، مكونة للأحماض المسببة لتكسر الأوراق وتلفها، وكذا تلف الأحبار أيضاً.

ثانياً: العوامـــل الطبيعية:

مما لاشك فيه أن التغيرات المناخية، وما ينتج عنها من ارتفاع أو انخفاض في درجات الحرارة، ونسبة الرطوبة؛ وكذلك الأشعة الضوئية، الطبيعية منها أو الصناعية، لها تأثيرات جانبية ضارة على الأوراق والجلود، إذا لم تكن بمقادير ونسب معينة ومحددة، مبنية على أسس علمية سليمة. ويمكن إيضاح تأثير هذه العوامل باختصار غير مخل فيما يلي

١ - الحـرارة والرطوبـة:

الكـائنـات الحية تنمـوا بفعـل ثلاثـة عوامـل هي: الغـذاء، والحراة، والرطوبة. والعاملان الأخيران مترابطان ترابطا قوياً كماً ونوعاً؛ فالتغير في درجة الحرارة يتبعه تغير في نسبـة الـرطـوبـة. فارتفـاع الحرارة في المناطق الجافة يُفقد المخطوطات والوثائق بعض الخـواص كانخفاض نسبة الرطوبة إلى درجات متدنية كثيراً عن الحد الأدنى؛ بل ربما تكـون نسبـة الـرطوبة مفقودة تماماً، مما يساعد على تقادم الورق والجلود، ويسبب لها بالتالي التلف؛ حيث تكون جافة، وهشة، وسهلة التكسر.

وأسبـاب ارتفـاع الحرارة إما ناتج عن المناخ نفسه، حيث يكون في بعض البلدان حاراً؛ أو قد يكون ناتجاً عن التدفئة التي تُستخدم شتاءً في المناطق الباردة؛ أو أن نظام الإضـاءة غير مدروس حيث تكـون الإضـاءة قوية مما يرفـع درجـة الحـرارة فتتسـارع التفاعلات المتلفة للورق والجلود.

إن زيادة الحرارة، أو حتى نقصانها بنسب كبيرة يؤثر تأثيراً سلبياً على خواص الورق والجلود، مما يلحق بها أضراراً قد يصعب علاجهـا. بالإضافة إلى ذلك نجد أن المواد الـلاصقـة المستخـدمـة في تجليد الكتب كالغـراء، تفقد قوتها وتماسكها بسبب ارتفاع درجـة الحـرارة.

والرطوبة مثل الحرارة لها فوائدها واضرارها؛ فإذا كانت نسبة الرطوبة معتدلة افادت الورق والجلود والمنسوجات؛ وإذا زادت عن الحدود اللازمة، أو نقصت عنها الحقت بها أضراراً قد تكون فادحة.

ويقصد بالرطوبة كمية بخار الماء الموجود في الجو عند درجة حرارة معينة. إن القليل من الـرطـوبـة مفيد، بل وضروري لحفظ لدونـة الأوراق والجلود؛ لكن إرتفـاع نسبة الـرطـوبـة وتجـاوزهـا المعايير المحددة ينتج عنه أضرار عديدة؛ إذ بزيادة الرطوبة تنمو الفطريات والكائنات الحية الدقيقة المتلفة للأوراق والجلود. أيضاً فإن الجفاف له تأثيراته السلبية، إذ يُحوّل الأوراق إلى أجسام هشة سريعة التكسر والتلف.

ونستطيع إجمال الأخطار التي تنجم عن ارتفاع نسبة الرطوبة في المخطوطات بما يلي:

أ ـــ تمتص الألياف (الأوراق) بخار الماء فتنتفخ مسببة تشوهاً في شكل المخطوط.

ب ـــ تكوُّن البقع الترابية المائية مما يشوه المخطوط ويتلف كتابته.

ج ـــ تكوُّن الحموضة، والبقع الصفراء على الأوراق.

د ــ نمو الحشرات والكائنات الدقيقة، مما يؤدي إلى انتشار الثقوب، وتآكل النصوص على الأوراق والجلود.

هـ ــ كرمشـة والتـواء أغلفـة المخطوطات؛ خاصـة إذا تلاه ارتفـاع مفـاجيء في درجـة الحرارة.

و ــ نمـو الفطريات، والبكتريا التي تفرز مواد لزجـة تؤدي بالتـالي إلى تماسـك الصفحات وتحجر المخطوطات.

يقـول عبـد المعـز شاهـين: «إن الـرطـوبـة الـزائـدة تعتـبر من ألد أعداء الكتب والمخطوطات والوثائق؛ وأن التحكم في كمية الرطوبة النسبية في اجواء دور الكتب، والأرشيف، والـوثـائق التـاريخية، وجعلها فـي الحدود المأمونة (٥٥ـ٦٠٪) هـي مـن أنجح الوسـائل المقـاومة للفطريات، وبعـض الأنواع الأخرى مـن الكائنات الحيـة الدقيقة...»[١٣٤]

٢ ـ الضـــوء:

يعتبر الضوء من العوامل المؤثرة على الكتب والوثائق؛ لكن تأثيره ليس ـ في الغالب ـ بنفس سرعـة وقـدرة المؤثـرات السـابقة كالملوثات الغازية، أو التغير الملحوظ في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة.

ولاشك أن لدورة الليل والنهار؛ وتعاقب الإضاءة الطبيعية أو الصناعية للظلام أثر على الأوراق. فتعـرضهـا للضوء لمدة طويلة يفقدها صلابتها ويضعف خواصها. وقد أثبتت الدراسات أن تأثير الضوء على الكتب والوثائق يظهر في جانبين:

أ ــ جانب غير مبـاشر: فالضـوء باعتبـاره مصدراً للحرارة يساعد على ارتفاع درجة الحرارة فتظهر الأعراض التي سبقت الإشارة إليها.

ب ــ جانب مباشر: وهذا الجانب ناتج عن الأشعة الضوئية الطبيعية أو الصناعية التي تقع على الكتب والوثائق؛ وتنقسم الأشعة الضوئية إلى ثلاثة أنواع:

ـ أشعـة فوق البنفسجية: وهي أشعـة غير مرئية تتراوح اطـوال موجاتها مابين ٣٠٠٠ـ٤٠٠٠ انجستروم (^{o}A)

ـ الضوء المرئي: وتتراوح أطوال موجاته ما بين ٤٠٠ـ٧٦٠٠ انجستروم.

ـ الأشعـة تحت الحمـراء: وهي أشعة غير مرئية وتبلغ اطوال موجاتها أكثر من ٧٦٠٠ أنجستروم.[١٣٥]

وقد ثبت بالتجربة أن أكثر أنواع الأشعة تأثيراً هي الأشعة فوق البنفسجية، لكونها تعمـل على اضمحلال لون الأحبار؛ يليها في التأثير الضوء المرئي؛ مما يضعف كثيراً خواص الورق، ويسبب له وهناً يساعد في تلفه.

من هنا يمكن القول أنه كلما كانت الموجات الضوئية التي تتعرض لها الكتب والوثائق أقصر طولاً كلما كان الضرر سريعـاً وقـوياً. يقـول مصطفى مصطفى السيد يوسف: «وخطورة تعرّض المخطوطات لموجات الضوء تكمن في أن أعراض الإصابة التي يحدثها الضوء كلها أعراض غير عكسية، أي لا يمكن علاجها إذا أصبحت أمراً وقعاً على المخطوط.[١٣٦]

ينصح خبراء المخطوطات بالحد من الإضاءة، وخاصة المباشرة منها؛ وذلك لتعطيل التفاعلات الضوء كيميائية؛ أو على الأقل الحد ما أمكن من تأثيراتها السلبية.

إن الزجاج العادي الذي يوضع عادةً على النوافذ كافٍ لقطع الأشعة فوق البنفسجية البعيدة؛ إلا أنـه لا يعطل تماماً التفاعلات الضوء كيميائية، مما يجعل الورق عرضة لما يسمى بالوهن الضوئي الذي يوهن بدوره الورق نفسه.

بالطبع فـإن تأثير الضـوء يتوقـف ـ إلى جانب طـول موجاته ـ علـى عوامل أخـرى لعـل مـن أهمهـا:

- قوة الإضاءة؛
- مدة التعرض للإضاءة؛
- درجة الحرارة؛
- سماكة الورق وكثافته؛
- تركيب الهواء المحيط بالورق من حيث تركيز غاز الأكسجين وتجدد الهواء والرطوبة النسبية، وغازات التلوث الجوي؛
- المركبات غير السليولوزية الموجودة في الورق؛
- المواد المضافة إلى الورق مثل المركبات المعدنية الملونة؛ أو المواد الحمضية أو القلوية المستخدمة في صناعة الورق، أو في علاجه وترميمه.[١٣٧]

ثالثاً: العوامل البيولوجية:

أشـار المتخصصـون في معالجة المخطوطات إلى أكثر من سبعين نوع من الكائنات الحية، سواء أكانت مرئية كالحشرات والقوارض؛ أو دقيقة كالفطريات والبكتريا؛ كلها

تهاجم الكتب والـوثـائق وتفتـك بها بمجـرد توفـر الظروف المناخية المناسبة لانتشارها وتكاثرها في مخازن الكتب والوثائق.

وتعتبر الفئران والجرذان من أخطر الحيوانات القارضة، ولذلك يجب عدم التهاون في مكافحتها وابادتها قبل استفحال أمرها.

أيضـا فإن الصراصير بمختلف أشكالها وأنواعها؛ وكذا النمل الأبيض المعروف بـ «الأرضـة»، ودودة الكتب تشكـل كلها هي الأخرى مخاطر كبيرة وجسيمة على الكتب والوثائق، وأغلفة الكتب.

من الحشرات والكـائنـات الـدقيقـة ما يصعب رؤيتـه بالعـين المجردة كالفطريات والبكتريا بأنواعها المختلفة؛ إلا أنها قادرة على التكاثر والإنتشار بسرعة إذا ماتوفرت المواد الغذائية، والظروف الجوية المناسبة لنموها؛ مما يجعلها مصدر خطر على الأوراق والجلود لا ينبغي الإستهانة به.

كذلك فإن الإنسان بنفسه يلعب ـ مع الأسف الشديد ـ في كثير من الأحيان دوراً أساسياً في إتلاف المخطوطات. وتظهر إسهاماته في الحاق الضرر بالمخطوطات والوثائق فيما يلي:

١ ـ إمساك المخطوطات والوثائق أثناء الإستعمال بأيد مبلله، أو غير نظيفة مما ينتج عنه التصاق أوساخ، أو تكوّن بقع على الصفحات تكون سبباً في إصابتها بالفطريات المحللة للورق والجلود.

٢ ـ إضافة علامات أثناء القراءة مما يشوه النص الأصلي.

٣ ـ ثني الأوراق للدلالة على الأماكن التي وصل إليها القارىء في قراءته، مما يعرض الورق للكسر، وبالتالي احتمال فقدان بعض أجزاء الورق.

٤ ـ الضغط على الكتـاب المخطوط أثناء القراءة، أو التصوير، مما يؤدي إلى تفكك الملازم، وتلف الكعب.

٥ ـ بعض الباحثين يقوم بالتدخين أثناء قراءة الكتاب أو الوثيقة، مما يجعل الأوراق تمتص نسبة من الدخان الجوي، فترتفع نسبة الأحماض المتلفة للورق.

٦ ـ جهـل بعض العاملين في مخازن المخطوطات والوثائق بالطرق السليمة لوضعها على الأرفف، مما قد يعرضها للتقوس والضرر.

٧ ـ الإهمـال وعدم الإلتزام بالمعايير اللازمة في درجة الحرارة، ونسبة الرطوبة، وقوة الأشعة الضوئية؛ مما يعرض الكتب والوثائق لأضرار قد تكون ـ أحياناً ـ بالغة.

٨ ــ عدم مقاومة وابادة القوارض، والحشرات، وغيرها من الآفات والكائنات الضارة بشكل سليم، أو عدم متابعة رش المخازن بشكل دوري بالمبيدات اللازمة.

وسائل حفظ وصيانة وعلاج المخطوطات:

الحفظ، والصيانـة، والعـلاج عوامـل متـلازمـة ومتكاملة لحماية الكتب والوثائق. وللمحافظة على المخطوطات والوثائق ينبغي إتباع الآتي:ـ

أولاً: ضرورة الكشف الـدوري الكـامـل على المخـطوطـات والوثائق؛ وخاصة الأجزاء الداخلية منها للتأكد من سلامتها، وعدم اصابتها بآفات، أو أضرار. ويمكن أن يتم ذلك أثناء التنظيف. ولتنظيف المخطوطات والوثائق يستحسن نقلها من اماكنها إلى أماكن مكشوفة، وجيدة التهوية، ومن ثم إجراء التنظيف لها واحدة تلو الأخرى؛ على ألا يشكل هذا النقل مخاطر أخرى كالسرقة، أو الضياع، أو الإهمال، مع اعادتها فور تنظيفها إلى أماكنها.

ثانياً: ضرورة عزل المخطوطات والوثائق التي يتبين تعرضها للإصابة بالفطريات وغـيرهـا من الحشرات والآفـات فوراً عن المخـطوطات والوثائق السليمة؛ مع المبادرة بعلاجها، ثم وضعها بعد المعالجة ولفترة من الزمن في مكان خاص بعيد عن المخطوطات والوثائق السليمة. فإذا تم التأكد من شفائها، وخلوها من الإصابات أمكن إعادتها إلى أماكنها الأصلية.

ومن الوسائل الضرورية لحماية وصيانة المخطوطات والوثائق مايلي:ـ

١ ــ حمايتهـا من عوامـل التلوث الجـوي؛ ونعني بذلـك العوامل الغازية، والأتربة والغبار. ويمكن إتمام ذلك عن طريق:ـ

أ ــ غلق النـوافـذ والأبواب بشكل جيد؛ مع التنظيف الدوري للمخازن؛ وذلك باستعمال مكانس شفط الأتربة والغبار.

ب ــ منع التدخين، أو دخول الغازات الضارة للمخازن وصالات القراءة.

ج ــ إمرار الهواء النقي داخل الصالات من خلال مرشحات مائية للتخلص من الغازات الضارة؛ وخاصة غاز ثاني أكسيد الكبريت.

د ــ وضـع المخـطوطـات والـوثـائق في خزانات محكمة الإغلاق لمنع وصول الآفات والفطريات إليها؛ خاصة في المناطق الساحلية حيث الرطوبة مرتفعة.

٢ ــ التحكم في عوامـل البيئـة الـطبيعية؛ أي التحكم في درجـة الحـرارة، ونسبـة

الرطوبة، ومقادير الأشعة الضوئية. وقد ذكر مصطفى مصطفى السيد يوسف أن أفضل المواصفات لهذه العوامل هي:

أ ــ بالنسبة لدرجة الحرارة هي ما يتراوح بين ١٨-٢٠°.

ب ــ بالنسبة للرطوبة هي ما يتراوح بين ٥٥-٦٠٪

ج ــ الإضاءة لا تتجاوز قوتها ٥٠ لوكس لكل قدم٢. ويفضل بالنسبة للإنارة وضع مرشحات لمصابيح الإنارة، وذلك لمنع أو الحد من الأشعة فوق البنفسجية.[١٣٨]

يمكن زيادة درجة الحرارة ونسبة الرطوبة بمقادير بسيطة عما ذُكر سابقاً. يقول عبد المعز شاهين: «ولقد اثبتت كثير من التجارب أنه يمكن إيقاف نمو الفطريات إذا ما كانت الرطوبة النسبية في أجواء دور الكتب والأرشيف والوثائق لاتزيد عن ٦٥٪ في حدود درجات الحرارة التي تتراوح مابين ١٦-٢٤°م[١٣٩]. ولعل من حسن الحظ توفر مواد وأجهزة حديثة يمكنها المساعدة في التحكم، بدرجات الحرارة، ونسبة الرطوبة، وكذا الأشعة الضوئية ذات الموجات القصيرة.

٣ ــ مقاومة الآفات والحشرات وإبادتها:

إلى جانب استمرار توفير ظروف الحفظ الجيدة للمخطوطات والوثائق فإن لعملية المراقبة المستمرة، والتفتيش الدوري عليها للتأكد من سلامتها، والتعرف على أنواع الآفات والحشرات، وأسباب تواجدها في حالة ثبوت وجودها، دور كبير في الحماية والمعالجة.

ومن أهم وسائل مقاومة وإبادة الآفات والحشرات:

أ ــ مراعاة النظافة التامة، والتهوية السليمة.

ب ــ تعقيم المخازن برشها بالمبيدات المناسبة، التي يضمن معها قتل الحشرات والآفات والقضاء عليها؛ مع غلق المخازن بعد الرش لمدة لا تقل عن ٢٤ ساعة؛ ويفضل أن يتم ذلك مع نهاية دوام يوم الأربعاء إذا كانت أقسام الوثائق والمخطوطات تُغلق أيام الخميس والجمع؛ أو مع نهاية دوام يوم الخميس إذا كانت الأقسام تغلق أيام الجمع فقط. وينبغي أن يتم التعقيم بشكل دوري كل ثلاثة أشهر.

٤ ـ علاج وترميم المخطوطات والوثائق:

المخطوطات والوثائق العربية القديمة من تراثنا الذي تعرض عبر عشرات بل مئآت السنين إلى إهمال بشرى؛ وعوامل تقادم زمني كانت سبباً في إتلاف بعضه وإصابة الباقي بأضرار متفاوتة بعضها يمكن إصلاحه، والبعض الآخر من الصعب علاجه.

والترميم الـذي نقصده في حديثنا عن المخطوطات والوثائق هو إصلاح ما أصاب الأوراق أو الأغلافة من ضرر كالتمزق، أو التآكل نتيجة تعرضها للآفات؛ أو للإهمال وسوء الإستعمال؛ وذلك بعلاجها وترميمها من أجل إعادتها إلى وضعها قبل الإصابة، أو إلى شكل أقرب مايكون إلى الأصل قبل الإصابة.

لن نتطرق في هذا الفصل لكيفية المعالجة والترميم بمعناه الشامل، فذلك موضوع واسع ومتشعب، ويحتاج إلى دراسات مستفيضة، لأنه تخصص علمي يتطلب الكثير من الجهـد والـوقت، ولكننـا سنتناول فيما يلي، وبايجاز شديد العمليات الأساسية لعلاج وتـرميم أوراق الـوثـائق والمخطوطات، والأغلفة الجلدية؛ وهي عمليات يجب أن تتم بواسطة اناس متخصصين في هذا المجال:

أ ـ **التنـظيـف**: والهدف منه هو تخليص الأوراق والجلود مما يكون قد علق بها من أوساخ كالأتربة، وآثار الأقلام، أو فطريات وبويضات الحشرات.

ب ـ **إزالة البقع**: وإزالة البقع العالقة يتطلب أولاً تحديد نوع الورق وحالته، ومن ثم تحديد نوع البقع، أو الأوساخ، ونوع المواد الكيميائية اللازمة لعملية الإزالة.

ج ـ **إزالـة الأحـماض الزائدة**: زيادة الحموضة في الأوراق والجلود تتكون إما نتيجة تركيب الأوراق، ودبـاغـة الجلود؛ أو بسبب ظروف التخـزين؛ أو عن طريق الأحبار المستخدمة في الكتابة.

إن عدم إزالـة الحمـوضـة الـزائـدة يعرضها للتآكل والتلف. وتعتبر الرقوق والجلود أكثر مقاومة من الأوراق للإصابة بالحموضة؛ كما أن إزالة الحموضة منها أكثـر سهـولـة من الأوراق. ويشـير المتخصصـون إلى أن أنسب درجة حموضة للأوراق والجلود هي: PH 6-8 (١٤٠).

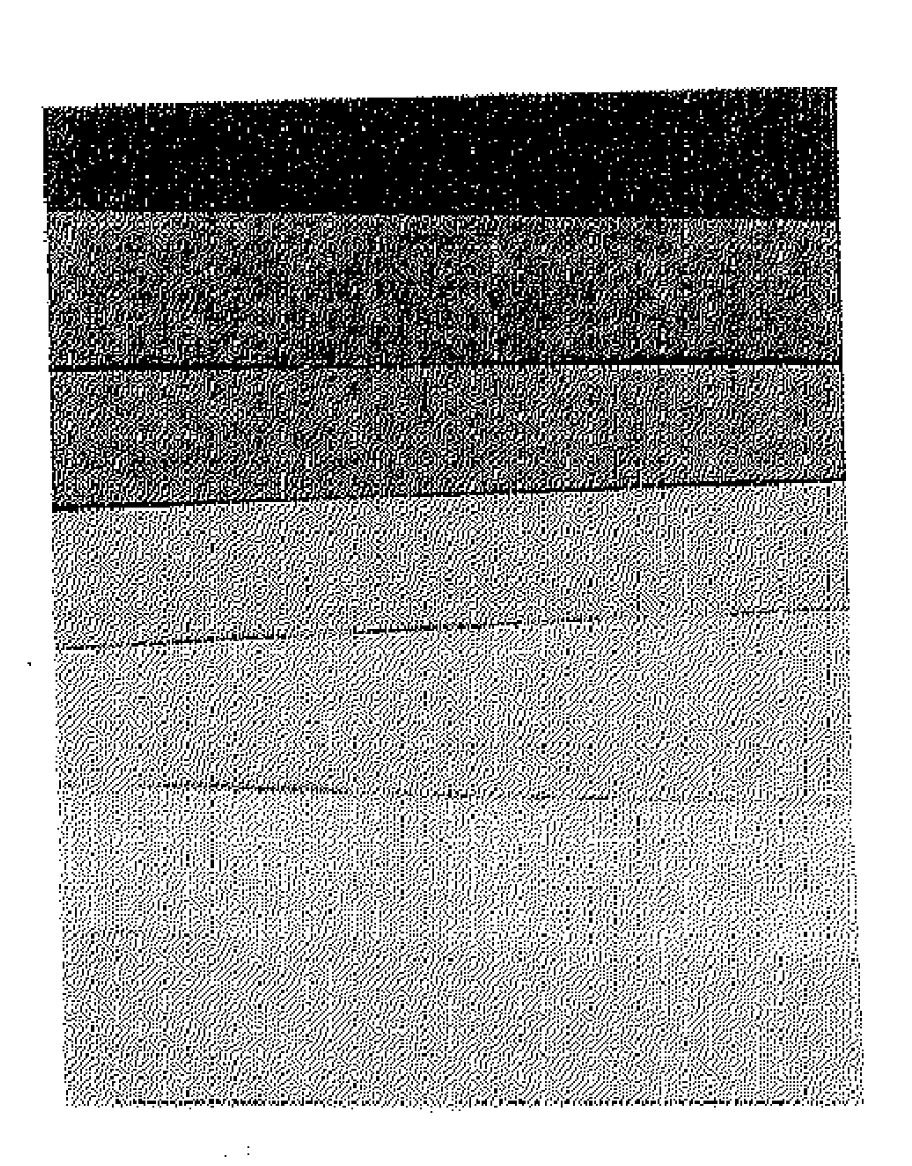
د ـ **فصل الأوراق الملتصقة**: تتأثر أوراق الوثائق والمخطوطات، والأغلفة الجلدية بالـظروف البيئية، والعـوامـل الجـوية، حيث يؤدي التقـادم الزمني إلى ضعف مقـاومتهـا. فالـرطـوبـة الـزائـدة تؤدي إلى تشبع الورق والجلود، فتنمو بعض الكـائنات الدقيقة، وخاصة الفطريات، مفرزة مواد صمغية لزجة وبقع لونية،

وأحمــاض عضـوية؛ ينتـج عنهـا تماسـك الأوراق بعضهـا ببعض، والتصـاق الصفحـات بالجلود، وهـو مايسمى بتحجـر المخـطوط، حيث يصبـح كامـل المخطوط قالباً واحداً متماسكا.

هذا الإلتصاق والتماسك القوي لمحتويات المخطوط يجعل من الصعب، بل من المستحيل الإستفادة منه دونما تفكيك لأجزائه، وفصل لأوراقه بطرق المعالجة العلمية التي يتقنها المتخصصون لنزع الأوراق الواحدة تلو الأخرى دونما الحاق أي ضرر بها.

ومن الـطرق المتبعـة ـ مثلاً ـ تعريض الأوراق الملتصقة لكمية من بخار الماء تكفي لتشبعهـا وتليين المـواد اللزجة بينها، ومن ثم فصلها عن بعضها بحذر شديد، ومهارة فائقـة؛ يتم بعـدهـا ترك الأوراق تجف بعد وضعها فوق أوراق بيضاء ذات قدرة على امتصاص ما فيها من رطوبة.

هـ ـ اصـلاح التمزقات، واكمال الأجزاء الناقصة: يتولى ـ عادةً ـ اخصائي الترميم عملية إصـلاح ما أصـاب أوراق الـوثـائق والمخـطوطات من تمزق، أو انتشار الثقـوب، أو تقصف بعض الأطـراف، أو فقـدان بعض الأجـزاء. فالثقـوب ـ مثـلاً ـ تُملأ باستخـدام عجينـة لب ورق غير حمضي. أمـا الأجـزاء النـاقصة فتستكمـل بأوراق تتفق في خواصهـا وألـوانها وأحجامها مع الأوراق القديمة. ويستعمـل المرممون لصبغ الورق ـ في الغالب ـ صبغات طبيعية كالشاي والبن «أنظر نماذج الألوان في الشكل رقم ٣٤».





بقعة كيميائية ترابية تغطي النص المخطوط.

نفس الصفحة السابقة بعد إزالة البقعة وكشف النص.

(الشكل رقم ٣٥)

تتم عملية الـترميم إمـا يدوياً، وخطوة خطوة، حيث يقوم المرمم باصلاح الأضرار والتلفيات التي أصـابت الوثائق والمخطوطات والأغلفة بيده، مستعيناً ببعض الأدوات والمعـدات البسيطة، أو تتم آلياً حيث تجرى عملية ترميم التلفيات دفعـة واحـدة مهما تعـددت. على أن المـرممـين يفضلون الـطريقـة الأولى ـ أي اليدوية ـ لأنها من وجهـة نظرهم ـ أكثر دقة وأكثر أمناً؛ نظراً لقدرة المرمم على التحكم بيده باعتبار الترميم مهنـة يدوية خالصة[١٤١]. أنظر نماذج لصفحات مصابة ثم عولجت كما في الشكلين رقم ٣٥ ورقم ٣٦).

سلامة العاملين وكيفية المحافظة عليها:

التعامل مع الكتب المخطوطة، وخاصة القديم منها يختلف عن التعامل مع الكتب المـطبـوعـة. ولهـذا فإن أقسـام أو دور المخـطوطـات مثلما تسعى وتحرص على سلامة المخـطوطـات والمحـافـظة عليها ينبغي أن يكون إهتمامها بسلامة العاملين فيها موازياً لاهتمامها بالمخطوطات نفسها إن لم يزد عليها.

ومن أجـل صحـة وسلامة ودرء الأخطار عن العاملين في أقسام ودور المخطوطات يُستحسن، بل ينبغي أخذ النصائح والإرشادات التالية بعين الاعتبار:

١ ــ وضـع أقنعـة، أو كمامـاتَ خاصـة؛ وقفـازات طبية أثنـاء فحص، أو فهـرسة المخطوطات؛ وكذا عند تجهيز المبيدات أو استعمالها.

٢ ــ الإلتزام التام بالنسب والمعايير المحددة عند تحضير المبيدات للإستعمال.

٣ ــ منع التدخين بشكل قاطع عند إستخدام المبيدات؛ وتجنب جميع أنواع المصادر الحرارية التي قد تكون سبباً في اشتعالها مما قد يعرض العاملين والمخطوطات للمخاطر.

٤ ــ عدم لمس العين أو الأنف قبل غسل اليدين والوجه بالماء والصابون بعد كل مرة يتم فيها تحضير المبيدات أو استخدامها، أو فحص وفهرسة المخطوطات، نظراً لأن التقادم الزمني للمخطوطات يجعل أوراقها محملة بالغبار والأتربة المصحوبة ـ أحياناً ـ بالفطريات والبكتريا الدقيقة التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة؛ مما قد يشكل خطورة على صحة وسلامة العاملين.

إصابة المخطوط ببقعة عضوية ترابية وتحجر

النصف الأسفل للمخطوط

نفس الصفحة السابقة بعد فك الأوراق الملتصقة

وإزالة البقعة العضوية الترابية

(الشكل رقم ٣٦)

دور الحاسوب والمايكروفيلم في خدمة الوثائق والمخطوطات:

الـوثـائق والكتب المخـطوطـة القديمة لاشك تعرضت عبر تاريخها الطويل لعوامل التقـادم الـزمني، والتي أثـرت تأثيراً سلبياً عليها أضعف خصائصها؛ مما جعل معظم المكتبات ودور المخطوطات والوثائق تتردد كثيراً في اتاحتها للباحثين والدارسين؛ وذلك من باب الخوف عليها، والحرص على سلامتها. ولأن مثل هذا التصرف يتنافى مع طبيعة المبادىء والأهداف السامية التي تسعى إليها ـ عادة ـ تلك المكتبات أو الدور؛ والتي من أهمها خدمة العلم وطلابه؛ فقد ساهمت التقنيات الحديثة في مجال الحاسوب والتصوير المـايكروفيليمي والورقي في حل هذه المشكلة؛ وذلك بأن أدخلت بعض الجهات التي تقتني وثائق أو مخطوطات قديمة جميع أو بعض هذه التقنيات في أعمالها، مما مكنها من المحافظة على الوثائق والمخطوطات الأصلية، وذلك بادخالها مصورة في الحاسب الآلي، أو على ورق، أو مايكروفيلم. كما أصبح بإمكان الباحثين الإطلاع عليها بطريقة غير مبـاشرة عن طريق شاشـة الحـاسـوب، أو المـايكـروفيلم، أو عن طريق النسخـة الورقية المصورة.

يعتـبر التصـوير المـايكـروفيلمي أسبق استخـدامـاً من الحـاسوب في مجال الوثائق والمخـطوطـات، وكـذا في خدمـة الباحثين. وقد كان ولا يزال لإستخدامه مزايا كثيرة نذكر منها:

١ ــ ضآلة الحيز المكاني الذي تشغله أفلام المايكروفيلم المصورة، إذ لايزيد هذا الحيز عن ٢٪ من الحيز المكاني الذي تشغله الوثائق والمخطوطات الأصلية.
٢ ــ أن التصوير المايكروفيلمي يوحِّد صور الوثائق والمخطوطات المتباينة المقاسات.
٣ ــ أن تسجيل المعلومة على فيلم يجعل منها سرية تامة حيث لا يمكن قراءتها بالعين المجردة.
٤ ــ أن المصغرات الفيلمية يسهل تداولها بين الأفراد والمؤسسات.
٥ ــ أن التصـوير المايكروفيلمي يجنبنا الأخطاء التي يمكن أن تحدث فيما لو تم نقل المعلومات باليد أو بواسطة الآلة الكاتبة.
٦ ــ أن المصغرات الفيلمية خفيفة الوزن، يسهل حملها، ولا يكلف شحنها إلاّ مبالغ رمزية مقارنة بتكاليف النسخ الورقية المصورة.
٧ ــ أنه يمكن استخراج نسخ عديدة للنسخة الواحدة عند الحاجة، مما يتيح لعدد كبـير من البـاحثـين مهـما كان عددهم وتباعدهم عن النسخة الأصلية إمكانية

الإستفادة منها.

٨ ــ أن لها قدرة الإستمـــرار والعيش طويلاً، خاصـــة إذا توفـــر لها الحفظ الجيد، والتخزين السليم والجو الملائم.

ولابـد من الإشـارة هنـا إلى أن النسـخ المصـورة للوثائق والمخطوطات، سواء على مايكروفيلم أو على غيره لا تساعد الباحث كثيراً في التعرف على القيمة الأثرية للنسخة الأصلية، مثـل نوعية الأوراق، والأحبـار، وطـريقـة التجليد؛ كما أن معظمها لايبين القيمة الجمالية للأشكال الزخرفية المذهبة والملونة؛ إذ أن معظم النسخ المصورة تكون ـ في الغالب ـ باللونين الأبيض والأسود فقط.

مراجع الباب الثاني

١ ــ بنبـين، أحمـد شوقي. دراسـات في علـم المخطوطات والبحث البيليوغرافي. الرباط: كلية الآداب؛ ١٩٩٣م، ص ١٢.

٢ ــ Collier's Dictionary. N.Y: Macmillan Educational Co. 1986. Vol.1. P.193.

٣ ــ البعلبكي، منير. المورد (قاموس إنجليزي ـ عربي). ط٢٢؛ بيروت: دار العلم للملايين؛ ١٩٨٨م، ص ١٩٠.

٤ ــ الشامي، أحمد محمد، وسيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ للنشر؛ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ٢٦٩.

٥ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٧٠.

٦ ــ بنبين. المصدر السابق؛ ص ١٣.

٧ ــ Collier's Dictionary. Vol.2. P.622.

٨ ــ البعلبكي. المصدر السابق؛ ص ٥٥٨.

٩ ــ The Random House Thesaurus. College Edition. Edited by Jess Stein and S. B. Flexner. N.Y.: Random House Inc. 1984. p.446.

١٠ ــ الشامي، وحسب الله. المصدر السابق؛ ص ص ٧٠٣-٧٠٤.

١١ ــ Duckett. K.W. Modern Manuscripts. Nashville, Tennessee.: American Association for State and Local History. 1975. P. 341.

١٢ ــ الحلوجي، عبـد السـتـار. المخـطوط العـربي. ط٢. جدة: مكتبـة مصبـاح؛ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. ص ١٥.

١٣ ــ يوسف، أرشيد. الكتـاب الإسـلامي المخـطوط تدوينـاً وتحقيقاً. الأردن: مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية؛ لا. ت.، ص ٧٢.

١٤ ــ السيد يوسف، مصطفى مصطفى. العلم وصيانة المخطوطات. جدة: عكاظ للنشر والتوزيع؛ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ١٥.
١٥ ــ الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد. القاهرة: مكتبة الخانجي؛ ١٩٣١م، مج ٩، ص ٣٣.
١٦ ــ المصدر السابق؛ مج ١٢، ص ٣٤٨.
١٧ ــ المصدر السابق؛ مج ١٢، ص ٢٤٨.
١٨ ــ المصدر السابق؛ مج ٦، ص ١٢١.
١٩ ــ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. باريس: ١٨٦١ ـ ١٨٧٧م؛ مج ٥، ص ٧٨.
٢٠ ــ إبن سعد، محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. لايدن: إدوارد سخو؛ مط. برايل؛ ١٣٢١-١٣٣٩هـ؛ مج ٥، ص ٨١٣٣
٢١ ــ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إستانبول: وكالة المعارف؛ ١٩٤١-١٩٤٣م؛ مج٢، ص ١٧٤٧.
٢٢ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ٨٩٤
٢٣ ــ المصدر السابق؛ ص ٩٥.
٢٤ــ الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي. ص ٢٣. القاهرة: مكتبة نهضة مصر بالفجالة؛ لا. ت.، ص ٣٧٨.
٢٥ ــ إبن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد. وفيات الأعيان. تحق/ إحسان عباس. بيروت: دار صادر؛ ١٩٧٢م؛ مج٣، ص ٣١٧.
٢٦ ــ النديم، ابو الفرج محمد بن إسحاق. الفهرست. ص ص ١٠٨ ـ ١١١؛ و ص ص ٤٢٠ ـ ٤٢٤.
٢٧ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ص ٩٢-٩٣.
٢٨ ــ حماده، محمد ماهر. الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً. الرياض: دار العلوم؛ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٧٣.
٢٩ ــ المصدر السابق؛ ص ٨٧.
٣٠ ــ إبن عبد ربه، أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد. العقد الفريد. تحق/ أحمد أمين وآخرين. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ١٩٤٨م؛ مج ٢، ص ١٤٤.
٣١ ــ النملة، علي إبراهيم. مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٠.
٣٢ ــ المصدر السابق؛ ص ٦١.
٣٣ ــ المصدر السابق؛ ص ٦٢.
٣٤ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٣٠٣. وانظر «وفيات الأعيان» مج ٢، ص ٤.
٣٥ ــ النملة. المصدر السابق؛ ص ٦٥.
٣٦ ــ المصدر السابق؛ ص ص ٦٢-٦٣.

٣٧ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٣٠٤.
٣٨ ــ النملة. المصدر السابق؛ ص ٦٣.
٣٩ ــ المصدر السابق؛ ص ص ٨٢-٨٣.
٤٠ ــ حمادة. المصدر السابق؛ ص ص ١٠٣-١٠٤.
٤١ ــ المصدر السابق؛ ص ١٠٤.
٤٢ ــ المصدر السابق.
٤٣ ــ النملة. المصدر السابق؛ ص ٩٢.
٤٤ ــ حمادة. المصدر السابق؛ ص ١٠٥.
٤٥ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٠٠.
٤٦ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٣٥٤.
٤٧ ــ المصدر السابق؛ ص ص ٣٥٢-٣٥٣.
٤٨ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١١٩.
٤٩ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٩.
٥٠ ــ المصدر السابق.
٥١ ــ السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر. الأنساب. لايدن: مط. برايل؛ ١٩١٢م، ص ٥٨٠؛ وانظر «الفهرست للنديم» ص ٢٠٩؛ و «معجم الأدباء للحموي» مج ١٦، ص ١٠٦.
٥٢ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٦٥.
٥٣ ــ حماده. المصدر السابق؛ ص ص ١٦٥-١٦٦.
٥٤ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ٦٥.
٥٥ ــ المصدر السابق؛ ص ٨٧.
٥٦ ــ الخطيب البغدادي. المصدر السابق؛ مج ٧، ص ٣٢٩.
٥٧ ــ حماده. المصدر السابق؛ ص ١٥٩.
٥٨ ــ النديم. المصدر السابق؛ ص ١٥٨.
٥٩ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٠٩.
٦٠ ــ المصدر السابق؛ ص ١٦٨.
٦١ ــ دال، سفند. تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر. ترجمة/ محمد صلاح الدين حلمي. القاهرة: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع؛ ١٩٥٨م، ص ٤٩.
٦٢ ــ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٥٦.
٦٣ ــ المصدر السابق؛ ص ١٥٧.
٦٤ ــ المصدر السابق؛ ص ١٥٨.
٦٥ ــ المصدر السابق.
٦٦ ــ المصدر السابق.

٦٧ ـ أبوهيبه، عزت ياسين. المخطوطات العربية: فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب؛ ١٩٨٩م، ص ٨٣.
٦٨ ـ المصدر السابق؛ ص ٨٤.
٦٩ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. القاهرة: المطبعة الخيرية؛ ١٣٠٧هـ، ص ١٥٧.
٧٠ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٦١.
٧١ ـ المصدر السابق؛ ص ١٦٥.
٧٢ ـ المصدر السابق؛ ص ١٦٧.
٧٣ ـ بنبين، أحمد شوقي. «التعقيبة في المخطوط العربي» مجلة عالم الكتب. مج ١٤، ع ٥ (الربيعان ١٤١٤هـ/ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٣م)، ص ٥٢١.
٧٤ ـ المصدرالسابق؛ ص ٥١٩.
٧٥ ـ المصدر السابق؛ ص ٥٢١.
٧٦ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٦٧.
٧٧ ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. التنبيه والإشراف. القاهرة: المكتبة العصرية؛ ١٩٣٨م، ص ص ٩٢-٩٣.

٧٨ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٨٩.
٧٩ ـ النووي، أبو زكريا يحيى ين شرف. رياض الصالحين. تحق/ عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دمشق: دار المأمون للتراث؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص ٦٤٠؛ وانظر «فقه السنة» للسيد سابق، مج ٣، ص ٣٦٧.
٨٠ ـ المصدر السابق؛ ص ٦٤١.

٨١ ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. القاهرة: مط. بولاق؛ ١٣١١-١٣١٢هـ؛ ج ٧، ص ١٦٨؛ وانظر «فقه السنة» للسيد سابق؛ مج ٣، ص ٣٦٩.
٨٢ ـ السيد سابق. فقه السنة. ط٨؛ بيروت: دار الكتاب العربي؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م؛ مج٣، ص ٣٦٩.

٨٣ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ص ١٩١-١٩٣.
٨٤ ـ النديم. المصدر السابق؛ ص ١٢.
٨٥ ـ حموده، محمود عباس. تاريخ الكتاب الإسلامي. القاهرة: مكتبة غريب؛ لا.ت.، ص ص ٢١٤-٢١٥.
٨٦ ـ المصدر السابق؛ ص ٢١٥.
٨٧ ـ الحلوجي. المصدر السابق؛ ص ١٨٦.
٨٨ ـ حماده. المصدر السابق؛ ص ١٨٦.
٨٩ ـ النديم. المصدر السابق؛ ص ١٢.

٩٠ ـ حديث للدكتور سعود الزبيدي، مستشار الأمين العام لجامعة الدول العربية للمعلومات، نُشر في جريدة الرياض؛ ع ١٠٢١٥، س ٣٣، الأربعاء ٢٦ محرم ١٤١٧هـ ـ ١٢ يونيو ١٩٩٦م، ص ١٧.
٩١ ـ «الندوة العالمية للمخطوطات». جريدة الشرق الأوسط؛ ع ٦٤٠٩، السبت ١٩٩٦/٦/١٥م، ص ١٦.
٩٢ ـ أبو هيبه. المصدر السابق؛ ص ٢٣٣.
٩٣ ـ المصدر السابق؛ ص ٢٧٢.
٩٤ ـ المصدر السابق؛ ص ٢١٣.
٩٥ ـ المصدر السابق؛ ص ٢٢٤.
٩٦ ـ الشريف، عبد الله. مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات. طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان؛ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٢٥٩.
٩٧ ـ الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد. مجلة عالم المخطوطات والنوادر. مج ١، ع ١، المحرم ـ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ يوليه ـ ديسمبر ١٩٩٦م، ص ١٣.
٩٨ ـ مقابلة مع د. زيد الحسين؛ الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية؛ نشرت في جريدة الرياض، ع ١٠١٨٥، س ٣٢، الأثنين ٢٦ ذو الحجة ١٤١٦هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٩٦م، ١٥.
٩٩ ـ القحطاني، راشد بن سعد بن راشد. خدمات المخطوطات العربية في مكتبات مدينة الرياض. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص ٨٦.
١٠٠ ـ المصدر السابق؛ ص ٨٩.
١٠١ ـ المصدر السابق؛ ص ٤٦.
١٠٢ ـ المصدر السابق.
١٠٣ ـ الساعاتي. المصدر السابق؛ ص ١٧.
١٠٤ ـ المصدر السابق؛ ص ١٣.
١٠٥ ـ عواد، كوركيس. فهارس المخطوطات العربية في العالم. الكويت: معهد المخطوطات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون؛ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، ج ٢، ص ١٩.
١٠٦ ـ الساعاتي. المصدر السابق؛ ص ١٦.
١٠٧ ـ المصدر السابق.
١٠٨ ـ المصدر السابق؛ ص ١٧.
١٠٩ ـ المصدر السابق.
١١٠ ـ المصدر السابق.
١١١ ـ المصدر السابق.
١١٢ ـ عواد. المصدر السابق؛ ج ١، ص ٣٥٥.
١١٣ ـ الساعاتي. المصدر السابق؛ ص ١٨.
١١٤ ـ الشريف. المصدر السابق؛ ص ٣٠٥.

١١٥ ـ الساعاتي. المصدر السابق؛ ص ص ١١-١٢.
١١٦ ـ «في مكتبات العالم ٥ ملايين مخطوط إسلامي عربي...» جريدة الشرق الأوسط. ع ٦٤٠٩؛ السبت ١٥/٦/١٩٩٦م، ص ١٦.
١١٧ ـ عواد. المصدر السابق؛ ج ١، ص ٣١١.
١١٨ ـ الشيباني، محمد إبراهيم. المخطوطات العربية في العالم وأماكن وجودها. ط ١؛ الكويت: دار الهداية؛ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٩.
١١٩ ـ المصدر السابق.
١٢٠ ـ الساعاتي. المصدر السابق؛ ص ١٢.
١٢١ ـ عواد. المصدر السابق؛ ج ١ص، ٢١٥.
١٢٢ ـ المصدر السابق؛ ص ص ١٨١، ٢٠٥.
١٢٣ ـ المصدر السابق؛ ص ٨٩.
١٢٤ ـ المصدر السابق؛ ص ١٨١.
١٢٥ ـ الشيباني. المصدر السابق؛ ص ص ٢٤-٢٥.
١٢٦ ـ المصدر السابق؛ ص ٢٨.
١٢٧ ـ عواد. المصدر السابق؛ ج ١، ص١٥٥.
١٢٨ ـ المصدر السابق؛ ص ١٠٩.
١٢٩ ـ الشيباني. المصدر السابق؛ ص ٣٢.
١٣٠ ـ المصدر السابق.
١٣١ ـ المصدر السابق.
١٣٢ ـ المصدر السابق.
١٣٣ ـ السيد يوسف. المصدر السابق؛ ص ٦٣-٦٤.
١٣٤ ـ شاهين، عبد المعز. الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب؛ ١٩٩٠؛ ص ٢٠.
١٣٥ ـ المصدر السابق؛ ص ١٢.
١٣٦ ـ السيد يوسف. المصدر السابق؛ ص ٧٨.
١٣٧ ـ شاهين. المصدر السابق؛ ص ١٦.
١٣٨ ـ السيد يوسف. المصدر السابق؛ ص ١١٧.
١٣٩ ـ شاهين. المصدر السابق؛ ص ٢٥٠.
١٤٠ ـ السيد يوسف. المصدر السابق؛ ص ١٤٠.
١٤١ ـ المصدر السابق؛ ص ١٥٨.

الباب الثالث

الاعداد الفني للمخطوطات

الفصل الأول: الفهرسة والتصنيف.

الفصل الثاني: المصادر والمراجع التي ينبغي توفرها في مكتبات المخطوطات.

الفصل الثالث: تحقيق الكتاب العربي المخطوط.

مراجع الباب الثالث.

الفصل الحادي عشر
الفهرسة والتصنيف

عنـدمـا كانت المكتبات محدودة الحجم، بطيئة النمو، فإن المقتنيات كان بالإمكان إستيعـابهـا بالذاكرة؛ أو تسجيلها بطرق بدائية مبسطة. ولكن كثرة المكتبات، والنمو الكبير والمتسارع في مقتنياتها فرضا إتخاذ إجراءات تنظيمية أكثر دقة ووضوحاً؛ وأشمل تنظيماً وتعريفاً. ومن الإجراءات التنظيمية هذه، الإعداد الفني للمقتنيات، وإصدار الفهارس الشاملة أو المختصرة.

إهتم المسلمـون منـذ القـرون الأولى للهجرة بمكتباتهم؛ كما أدركوا أهمية تنظيمها وفهرستها؛ إذ أن ذلك يجعل التعرُّف على المقتنيات، والوصول إليها أكثر سهولة ويسراً. ويُقـال أن فهارس المكتبات العربية وجدت قبل نهاية القرن الثاني الهجري. فقد كان هنـاك فهـرس بمقتنيات بيت الحكمـة في بغداد. يقول محمد ماهر حمادة عن فهارس المكتبات العربية القديمة: «ولقد كانت الفهارس على نوعين: إما أن تكون مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب، فيرجع إليها المطالع من أجل معرفة محتويات المكتبة؛ وإما أن تكـون أسـماء الكتب والمؤلفـين مكتـوبـة على لائحـة معلقـة على مدخل كل قسم من الأقسام»[1].

يعتـبر الفهرس المعد على شكل كتاب أفضل وأنسب الأشكال للتعريف بمقتنيات المكتبات من المخطوطات؛ ذلك أن المخطوطات ثمينة، ونموها ـ إن وجد ـ فهو بطيء جداً مقـارنـة بالكتب المطبوعة. أيضا فإن الفهرس المطبوع على شكل كتاب، ونتيجة لكثرة نسخه وتوزيعه على المؤسسات البحثية والعلمية. يخدم الباحثين مهما كان عددهم وبعدهم عن المقر الذي توجد فيه المخطوطات نفسها؛ مما يوفر عليهم الكثير من الوقت، والمال، والجهد والعناء. كما أن الفهرس الكتاب يشكل شهادة بوجود مخطوطات معينة

ومحددة مع وصف كامل لها ولمحتوياتها؛ مما يساعد في المحافظة عليها، والحد من التلاعب الذي قد يكون سبباً في فقدانها.

فهرسة المخطوطات:

إتفق المكتبيون العرب وغيرهم على شكل وحجم معينين لبطاقات الكتب المطبوعة، وكذا على قواعد لما يدون عليها من معلومات. إلا أن ذلك لا يشمل - مع الأسف الشديد - الكتب المخطوطة؛ إذ لا يوجد حتى الآن قواعد ثابتة ومتفق عليها لفهرسة المخطوطات العربية. يقول د. الحلوجي: «إن نظرة إلى ما نشر من فهارس المخطوطات العربية في الشرق والغرب ترينا التفاوت الكبير بينها في حجم البيانات التي تقدمها؛ وفي طريقة ترتيب تلك البيانات. . .»[٢]

هذا لا يعني أنه لم تجر محاولات للتقنين والتوحيد في العالم العربي؛ بل لقد جرت في الحقيقة والواقع عدة محاولات لتحقيق هذا الهدف؛ إلا أن المكتبات التي تقتني المخطوطات لم تجدها - كما يبدو - مناسبة، مما جعل كل جهة تعد فهارسها بطريقتها الخاصة، ووفق قواعد اجتهادية. ولعل النموذجين رقم (٣٧) ورقم (٣٨) اللذان يعمل بهما في مؤسستين عريقتين في إقتناء المخطوطات في بلد واحد، بل وفي مدينة واحدة هي الرياض بالمملكة العربية السعودية، ومابين هذين النموذجين من تفاوت كبير في حجم البيانات، وطريقة ترتيبها ليدل بوضوح وجلاء على وجود أفكار متباينة ومتباعدة بين الجهات المعنية في العالم العربي في مجال فهرسة المخطوطات العربية، مما يحتم على المهتمين والمختصين ضرورة إيجاد حلول مناسبة، معقولة، ومقبولة، بل وملزمة يمكن بموجبها وضع حد للإجتهادات التي لا تخدم المصلحة العامة.

الفـــن : .... الرقـم : ....

العنــوان : ....

اسم المؤلف : ....

مصـادره : ....

اولــه : ....

....

آخـــره : ....

....

اسم الناسخ : ....

نوع الخط وتاريخ النسخ : ....

ملاحظـات : ....

عدد الأوراق : .... عدد الأسطر : .... المقاس : ..... × ..... سم

المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه فيها : ....

(الشكل رقم ٣٧)

الشكل رقم (٣٨)
بطاقة فهرسة
ملف المخطوطات ـ صفحة (١)

ملف المخطوطات ـ صفحة (٥)

٢٣) نوع المداد:

٢٤) تاريخ النسخ:
٢٥) الورق:

٢٦) مكان النسخ:

٢٧) اسم الناسخ:

٢٨) اسم المكتبة:

٢٩) عدد الأوراق:
٣٠) عدد الأسطر:

٣١) القطع الداخلي:
٣٢) القطع الخارجي:

ملف المخطوطات ـ صفحة (٢)

ملاحظات عن حالة المخطوطة:

١) رقم المادة بالتسلسل:

٢) الرطوبة:

٣) الحبر:

٤) الأرضة:

٥) التذهيب والزخرفة:

٧) التجليد:

٨) الأختام:

٩) ملاحظات:

ملف المخطوطات ـ صفحة (٣)

البيانات الوراقية:

١) رقم المادة بالتسلسل:

٢) البداية:

٣) التصحيح:

٤) النهاية:

٥) الشرح والتعليق:

٨) ضبط بالشكل:

٩) القراءة والسماع والإجازات:

ملف المخطوطات ـ صفحة (٤)

بيانات الفهرسة:

١) رقم المادة بالتسلسل:

٢) الواصفات:

(تابع الشكـــل رقم ٣٨)

من أهم المحاولات التي سبق وبذلت ولم يكتب لها النجاح:

أولاً: محاولة توفيق اسكنـــدر:

تتمثـل هذه في نمـوذج وضعـه توفيق اسكندر سنة ١٩٦٥م، وهو عبارة عن بطاقة حجمها ١٨×٢٤سم، تكتب فيها معلومات على الجهتين، بحيث يحمل وجه البطاقة المعلومات التالية:

١ - صورة للصفحتين الأولى والأخيرة للمخطوط	٢ - اسم المكتبة:
٣ - الفن:	٤ - الرقم:
٥ - اسم المخطوط:	
٦ - اسم المؤلف:	
٧ - المستهل:	
٨ - الخاتمة:	
٩ - الناسخ: ١٠ - تاريخ النسخ:	١١ - مكان النسخ:

وجه البطاقة

كما يحمل ظهر البطاقة المعلومات التالية:

١٢ - صفة المخطوط:		
- المادة:	- الخط:	- المداد:
- القطع:	- المسطرة:	- عدد الأوراق:
- التذهيب:	- التجليد:	
١٣ - دراسة محتويات المخطوط:		
١٤ - نسب المخطوط (النسخ الأخرى)؛ الطبعات المنشورة، الاجازات، والسماعات . . . الخ.		
المفهرس:	المراجع:	

ظهر البطاقة

في هذا النموذج أشياء ليس من السهل تقبلها أو تطبيقها، منها:

١ - صعوبة تصويرالصفحتين الأولى والأخيرة من كل مخطوط ووضعهما على وجه البطاقة؛ فهو مكلف مادياً؛ وغير عملي من الناحية المنطقية.

٢ - استعمال وجهي البطاقة مقبول من الناحية الإقتصادية؛ لكنه يعيق الحصول على المعلومات، لعدم مرونته؛ إذ لابد من إخراج البطاقة من مكانها ليتمكن الباحث

أو الموظف من قراءة البيانات الموجودة على ظهر البطاقة؛ وهذا إلى جانب أنه يأخذ وقتاً فإنه يعرض البطاقة نفسها للتلف أو الضياع؛ أو إعادتها إلى مكان آخر غير مكانها الأصلي والصحيح.

٣ ـ الفقرة الأخيرة؛ والخاصة بنسب المخطوط وخاصة ما يتعلق بالنسخ الأخرى والطبعات المنشورة، تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت، ثم أنها ليست من اختصاص المفهرس، بل هي من مهمات الباحث.

ثانياً: محاولة صلاح الدين المنجد:

أودع صلاح الدين المنجد محاولته هذه في كتيب أسماه: (قواعد فهرسة المخطوطات العربية). يشتمل النموذج الذي إقترحه المنجد على معلومات تدون على وجهي البطاقة؛ بحيث يحمل وجه البطاقة المعلومات التالية:

اسم المكتبة:		
اسم الكتاب:	رقمه في المكتبة:	
اسم المؤلف:	المتوفى سنة	هـ / م
فاتحة المخطوط:		
خاتمة المخطوط:		
عدد الأوراق:	القياس:	عدد السطور:
نوع الخط:	الحبر:	
اسم الناسخ وتاريخ النسخ:		
الجلد:		

وجه البطاقة

كما يحمل ظهر البطاقة بيانات أخرى هي:

الصور:	
مصدر المخطوط:	
الملاحظات:	
مصادر عن المؤلف والكتاب:	
	توقيع المفهرس:

ظهر البطاقة

لو قارنا بين بطاقتي توفيق اسكندر وصلاح الدين المنجد لوجدنا بعض التشابة وبعض الاختلافات.

ومن أهم أوجه التشابه:

١ ــ استخدام البطاقة من الوجهين.

٢ ــ جعل المدخل بالعنوان.

٣ ــ الاصرار على تحديد المفهرس.

لكن بطاقة صلاح الدين المنجد زادت عن بطاقة توفيق اسكندر في بعض البيانات ونقصت في البعض الآخر. ومن الأشياء التي زادت فيها بطاقة المنجد:

١ ــ ذكر تاريخ وفاة المؤلف.

٢ ــ مصدر المخطوط.

وتحديد مصدر المخطوط في عملية المفهرس هو ـ في رأيي ـ خطأ كبير؛ ذلك أن الكثير من المخطوطات يتم اقتناؤها عن طريق الشراء، فإذا ماتم تحديد اسم البائع فإن ذلك قد يعرضه للملاحقة والعقاب من قبل سلطات بلده، إذ أن المخطوطات تعتبر من التراث القومي الذي لا ينبغي التفريط فيه واخراجه من وطنه. من هنا أرى أن يبقى إسم المصدر سراً؛ خاصة إذا كانت وسيلة الإقتناء هي الشراء، وكان المخطوط أصلياً وليس مصوراً.

٣ ــ مصادر عن المؤلف والكتاب.

أما ما نقصت فيه فهو:

١ ــ صورة الصفحتين الأولى والأخيرة للمخطوط.

٢ ــ الفن.

٣ ــ مكان النسخ

٤ ــ نسب المخطوط.

٥ ــ المراجع (بضم الميم وكسر الجيم).

واعتقد أن حذف الفن، ومكان النسخ ليس له مايبرره؛ وذلك لأهمية هذه المعلومات؛ ولأنها تدخل ضمن إمكانات وواجبات المفهرس.

أما الإختلافات الأخرى فتكاد تكون في الصياغة لا أكثر؛ مثل ذكر المستهل بدلاً عن فاتحة المخطوط؛ والقياس بدل القطع، والصور بدل التذهيب؛ كما أن دراسة المحتويات يمكن أن تشملها الملاحظات.

ثالثاً: محاولة شعبان خليفة ومحمد عوض العايدي:

اقترح شعبان خليفة ومحمد العايدي بطاقة حجمها ٥×٧بوصة (١٢,٥×١٧,٥سم)؛ وأن تستعمل البطاقة من وجه واحد بحيث تستكمل البيانات والمعلومات في بطاقات اضافية أخرى إذا لزم الأمر. وتشتمل المعلومات المطلوبة في البطاقة المقترحة على مايلي:

١ - المدخل (باسم المؤلف)	
٢ - العنوان + مكان النسخ + اسم الناسخ + تاريخ النسخ	
٣ - بيانات التوريق :	
أ - مادة المخطوط :	ب - عدد الأوراق :
ج - المسطرة :	د - نوع الخط :
هـ - الإيضاحيات :	و - نوع التجليد :
ز - حجم المخطوط : (الطول × العرض بالسنتيمتر)	
٤ - الاستهلال : (أي بداية المخطوط ، ونهايته) .	
٥ - المحتويات :	
٦ - نسب المخطوط :	
٧ - المتابعات : (المداخل الأخرى والبطاقات الإضافية)	

هذا النموذج يشبه إلى حد ما النموذج الأول. أما أهم أوجه الإختلاف بينه وبين سابقيه فيمكن اجمالها فيما يلي:

١ ــ جعل المدخل بالمؤلف بدلاً من العنوان.

٢ ــ عدم الكتابة على ظهر البطاقة، واستكمال البيانات على بطاقات اضافية أخرى إذا لزم الأمر.

٣ ــ استخدم لفظ «إيضاحيات» بدل «تذهيب» في النموذج الأول، و «الصور» في النموذج الثاني.

٤ ــ حذف اسم المفهرس والمراجع.

٥ ــ اضاف «بيانات المتابعة».

من الأشياء التي حذفت وكان ينبغي ابقاؤها:

١ ــ فن المخطوط (أي الموضوع).

٢ ــ رقم المخطوط في المكتبة.

٣ ــ اسم المفهرس، والذي بذكره يمكن تحديد المسؤلية لأي خطأ أو تقصير.

رابعاً: النموذج الذي اقترحه عبد الستار الحلوجي، ويتكون من:

١ ــ بطاقة بالحجم الذي اقترحه شعبان خليفة ومحمد العايدي (٥×٧ بوصة؛ أي ١٢,٥×١٧,٥سم).

٢ ــ بيانات تكتب على وجه واحد وتشتمل على:

- الفن:
- الرقم:
- اسم المؤلف وتاريخ وفاته:
- عنوانه المخطوط:
- مكان النسخ ـ إن وجد ـ:
- اسم الناسخ ـ إن ذكر ـ:
- تاريخ النسخ ـ إن وجد ـ:
- بيانات التوريق: (عدد الأوراق، الحجم، والإيضاحات):
- نوع الخط، ولون المداد:
- المسطرة (أي متوسط عدد سطور الصفحة الواحدة):
- الوصف المادي للمخطوط (أي ما بالمخطوط من أثر رطوبة، تلويث، ترميم، أكل أرضة، نقص، سماعات، اجازات، مقابلات. . الخ).
- بداية المخطوط (أول النص بعد الديباجة).
- نهاية المخطوط (آخر النص قبل ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ):
- بيانات المتابعة.
- اسم المفهرس:

الحلوجي ـ كما هو واضح ـ يؤيد أن يكون المدخل بالمؤلف لا بالعنوان؛ وأن يكون بالإسم الحقيقي للمؤلف. أما اسماء الشهرة للمؤلفين، أو العناوين فيرى أن يكون موضعها الطبيعي هو بطاقات الاحالات؛ على أن يستثنى من ذلك المؤلفون الذين عرفوا بألقابهم أو كناهم، فيكون المدخل بهذه الألقاب أو الكنى. (٣)

من البيانات أو المعلومات المهمة التي ينبغي على المفهرس التنبه لها «تاريخ المخطوط». فالتاريخ له أهمية قصوى في تحديد قيمة المخطوط العلمية والتاريخية. فالنسخة التي كتبها المؤلف، أو قرئت عليه، أو قرأها بنفسه وأثبت ذلك عليها تتفوق في أهميتها وقيمتها على كثير من النسخ الأخرى، لكن على المفهرس أن يكون حذراً،

ويقظاً، فإذا لم يكن تاريخ النسخ مدوناً، أو كانت الورقة الأخيرة مفقودة، فعلى المفهرس أن يجتهد في تحديد عمر المخطوط؛ فقد يجد تملكاً مؤرخاً، أوسماعاً، أو مقابلة مؤرخة؛ فإن لم يجد فعليه الرجوع إلى كتب التراجم لتحديد تاريخ وفاة المؤلف، أو الناسخ؛ بالإضافة إلى فحص ورق المخطوط، والأحبار التي كتب بها، فقد تساعد أصحاب الخبرة الجيدة على تقريب العمر الزمني للمخطوط. إن وضع تاريخ تقريبي هو ما نلاحظه في فهارس بعض المخطوطات حينما يقال لمخطوط ما ـ مثلاً ـ إنه من القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للهجرة تقديراً.

أيضاً هناك من النساخين من ينسخ المخطوط الأصلي بعد فترة زمنية من كتابة الأصل قد تتجاوز عدة قرون؛ ولكن الناسخ الجديد أهمل خطأً أو عمداً كتابة تاريخ النسخة الجديدة؛ مكتفياً بذكر تاريخ النسخة الأصلية، مما يوهم بأنها قديمة جداً.

ومن الأشياء التي ينبغي التنبه لها فيما يتعلق بالتاريخ هو قيام بعض النساخين بحذف الألف من التاريخ كأن يكتب ـ مثلاً ـ سنة أحدى وخمسين ومئتين؛ وهو يقصد سنة ألف ومئتين واحدى وخمسين، وهذا هو بالفعل ما يفعله الكثيرون في عصرنا الحاضر حيث يكتفي الكاتب بكتابة ٤١٦هـ، أو ٩٩٥م مهملاً الألف، واحياناً المئات؛ تماماً كما نتحدث عن تاريخ صنع سيارة من السيارات فنقول موديل ٩٤، أو ٩٥.

قد يجد المفهرس بعض المخطوطات مؤرخة بحوادث تاريخية مثل سنة الطوفان، أو سنة الرحمة؛ فهذه التواريخ يصعب الأخذ بها. يقول الحلوجي: «ومثل هذه التواريخ لا دلالة لها بالنسبة لنا إلا إذا ترجمت إلى تاريخ هجري أو ميلادي». (٤)

فهرسة المجموع:

ليست كل الكتب المخطوطة مفردة، بل يوجد فيها مايعرف بالمجاميع. والمجموع هو عبارة عن مجموعة كتب، أو مباحث، أو رسائل جمعت في مجلد واحد. وبالطبع فإن فهرسة الكتاب المفرد تختلف عن فهرسة الكتاب المجموع. فماذا يمكن أن يفعل المفهرس في هذه الحالة؟

هناك خياران أمام المفهرس:

الخيار الأول: هو اعتبار كل مبحث في المجموع مستقلاً، وبالتالي يعد له بطاقة خاصة به، مع التنبيه في بيانات التوريق أنه ضمن مجموع، وانه يقع في الصفحة من كذا وكذا إلى الصفحة كذا وكذا.

الخيار الثاني: هو أن يعتبر المجموع كتاباً واحد، ويعمل له بطاقة رئيسية تتضمن محتوياته بالتفصيل؛ ثم يستخدم المفهرس الإحالات للربط بين العناوين الأخرى في المجموع. على أن الخيار الأول هو الأفضل.[٥]

تصنيف المخطوطات:

يطبق على الكتب المخطوطة ما يطبق على الكتب المطبوعة بالنسبة لرؤوس الموضوعات؛ فالكتاب المخطوط يعامل معاملة الكتاب المطبوع بالنسبة للتصنيف.

المشكلة التي قد تواجه مفهرس المخطوطات هي كيفية التعامل مع المجاميع ذات الموضوعات المختلفة؛ إذ أنه لا يستطيع اعطاء الكتاب المجموع ذي الموضوعات المتنوعة أكثر من رقم تصنيف واحد ليتمكن من وضعه في مكان محدد داخل المكتبة.

للخروج من مثل هذه المشكلة يورد الدكتور الحلوجي[٦] الحل التالي:

١ ـ إذا كان المجموع يتناول أكثر من موضوع فينبغي إعداد بطاقة لكل موضوع من الموضوعات المختلفة التي يغطيها الكتاب، ثم وضعها في فهرس الموضوعات.

٢ ـ بالنسبة لرقم التصنيف؛ على المصنف أن يتفحص المجموع جيداً، فإذا كان موضوع المجموع كله واحداً فيصنف كأي كتاب عادي؛ على أن يضاف إليه الرمز الخاص بالمجاميع وهو (٠٨) طبقاً لتصنيف ديوي. فإذا كان المجموع ـ على سبيل المثال ـ كله في الكيمياء فيعطى رقم التصنيف (٥٤٠)؛ ثم يضاف إليه الرمز الخاص بالمجاميع فيصبح الرقم كله (٥٤٠, ٠٨).

٣ ـ إذا كان المجموع في عدة موضوعات فيصنف طبقاً للموضوع الأكثر في المجموع؛ فإن تساوت الموضوعات فيصنف طبقاً للموضوع الذي يرد أولاً؛ مع إعطائه في كلتى الحالتين الرمز الخاص بالمجاميع وهو (٠٨).

٤ ـ يمكن التفريق بين المجموع الذي ألفه شخص واحد، وبين المجموع الذي ألفه أكثر من شخص. ففي الحالة الأولى، أي وجود مؤلف واحد لكل المجموع يمكن اضافة رقم (١) بعد الرمز الخاص بالمجاميع؛ فإذا كان للمجموع أكثر من مؤلف فيضاف الرقم (٢) لرمز المجموع. فمجموع في الخطب ـ مثلاً ـ يمكن أن يعطى رقم التصنيف (٨١٥) طبقاً لتصنيف ديوي، ثم يضاف إليه الرمز الخاص بالمجاميع فيصبح هكذا (٨١٥, ٠٨)؛ فإن كان المجموع كله لمؤلف واحد اضيف الرقم (١) بعد الرمز ليكون الرقم كله (٨١٥, ٠٨١)؛ فإن

كان المجمـوع لأكثر من مؤلف أضيف رقم (٢) بعد الرمز الخاص بالمجاميع ليصبح هكذا (٨١٥,٠٨٢).

ومع أن ما أورده الدكتور الحلوجي سليم، إلا أنني أرى بالنسبة للتصنيف اتباع الآتباع الآتي:

١ ـ إذا كان موضوع المجموع كله واحداً فيصنف كالكتاب العادي.

٢ ـ إذا كان في المجموع أكثر من موضوع فيصنف حسب الموضوع الأكثر.

٣ ـ إذا تساوت موضوعات المجموع فيصنف حسب الموضوع الذي يرد أولاً.

٤ ـ عدم إضاف أرقام خاصة بالمجاميع، بل يضاف إلى رقم التصنيف حرف (م) للدلالـة على أنه مجموع. فمجموع الخطب الذي أشير إليه سابقاً يمكن أن يكتب هكذا (٨١٥م).

قد يقول قائل إن هذا الحرف يستخدم لتمييز المراجع في الكتب المطبوعة؛ وهذا صحيح، ولكن مالذي يمنع من استخدامه أيضاً كرمز للمجاميع في المخطوطات؟! إنه ـ من وجهة نظري ـ أفضل من استخدام مجموعة أرقام تضاف إلى أرقام التصنيف الخاصة بموضوع المخطوط؛ على أنه لا داعي أيضاً لتمييز المخطوط الذي كتبه مؤلف واحد عن الذي كتبه أكثر من مؤلف؛ فلا أرى أن هناك حاجة ضرورية للتمييز بينهما؛ لما في ذلك من لبس للباحثين؛ واطالة لرقم التصنيف لا مبرر له.

الأشكال المشهورة لفهارس المخطوطات:

الفهرس هو دليل يمثل كل محتويات المكتبة أو جزءاً من محتوياتها؛ وهو مرتب حسب نظام معين لتسهيل استخدامه من قبل الرواد والعاملين في العثور على المادة أو المواد المطلوبة بيسر وسهولة.

الكتب المخطوطة لها أهمية خاصة قد تفوق كثيراً تلك التي تُعطى لكثير من الكتب المطبوعة؛ ولهذا نجد فهارسها ذات طبيعة مختلفة.

من أهم وأشهر أشكال فهارس المخطوطات مايلي:

أولاً ـ الفهرس البطاقي: وهو يشبه إلى حد كبير الفهرس البطاقي للكتب المطبوعة؛ إذ يختلف فقط في بعض المعلومات.

وطبقاً للأنظمة المتعارف عليها فإن لكل كتاب مخطوط ما لايقل عن ثلاث بطاقات؛ واحدة بالعنوان، وأخرى بالمؤلف، وثالثة بالموضوع. وهذا الفهرس يوضع داخل المكتبة ويرتب ترتيباً هجائياً من الألف إلى الياء.

هناك نقطة لا ينبغي اهمالها ألا وهي ضرورة تثبيت مداخل المؤلفين، بحيث لا يكون للمؤلف أكثر من مدخل، وذلك تسهيلاً لعملية ترتيب بطاقات المؤلفين، وخدمة للباحثين.

ثانياً ـ الفهرس الكتاب: يُعد الفهرس المطبوع على شكل كتاب أقدم أشكال الفهارس؛ ويتكون من مجلد واحد أو أكثر. وكان يستخدم في المكتبات قبل ظهور أي من الفهرس البطاقي، أو الفهرس الآلي الذي يتم بواسطة الحاسوب. وإذا كانت المكتبات لم تعد تستخدم الفهرس الكتاب بالنسبة للكتب المطبوعة، وذلك بسبب تكاليفه الباهظة، وعدم مرونته؛ إلى جانب كثرة الرواد، والنمو السريع في المقتنيات؛ ووجود بدائل أخرى أقل كلفة، وأكثر فعالية؛ فإنه ـ أي الفهرس الكتاب ـ لا زال هو أفضل أشكال الفهارس بالنسبة للكتب المخطوطة، وذلك لعدة أسباب منها:

١ ـ أن الكميات التي تطبع من الفهرس لا تكون ـ في الغالب ـ كبيرة.

٢ ـ أن نمو المخطوطات محدود جداً، مقارنة بنمو غيرها من أوعية المعلومات الأخرى، وخاصة الكتب المطبوعة.

٣ ـ أن عدد الرواد في مكتبات وأقسام أو دور المخطوطات هو الآخر محدود جداً؛ مقارنة برواد المكتبات الأخرى.

٤ ـ أن ندرة الكتب المخطوطة، وتباعد الباحثين عن أماكن وجودها، وبالتالي صعوبة الوصول إلى هذه الأماكن، وما يتطلبه ذلك من وقت وجهد ومال، كل ذلك جعل المؤسسات التي تقتني المخطوطات تسعى للتعريف بمقتنياتها عن طريق طبع فهرس أو أكثر على شكل كتاب يتضمن معلومات عن كل نسخة مخطوطة، ومن ثم توزيعه ـ أي الفهرس ـ تبادلاً، أو إهداءً على المكتبات والمؤسسات البحثية ذات العلاقة.

٥ ـ أنه يشكل سجلاً بموجودات المكتبة أو القسم أو الدار من الكتب المخطوطة، مما يحد من الضياع والسرقة؛ إذ يساعد على اكتشاف أي تلاعب ينتج عنه فقدان شيء من المقتنيات.

يوجد نوعات للفهرس الكتاب:

الأول: فهرس مختصر:

وهو فرس لا يشتمل على معلومات تفصيلية عن الكتاب المخطوط، وإنما يتضمن المعلومات التي تأتي ـ عادةً ـ في الفهرس البطاقي؛ وهي ـ غالباً ـ: العنوان؛ المؤلف

تاريخ النسخ تحديداً - إن وجد -، أو تقديراً؛ واسم الناسخ - إن ذكر ؛ وعدد الأوراق؛ وعدد السطور في الصفحة؛ وحجم الورق؛ ثم الرقم العام؛ واحياناً يضاف «الفن». «أنظر النموذج في الشكل رقم ٣٩».

الثاني: فهرس شامل:

وهو فهرس يحتوي على معلومات وبيانات أكثر دقة وتفصيلاً من سابقه، إذ يتضمن:.

١ ــ العنوان (اسم المخطوط).

٢ ــ اسم المؤلف كاملاً، مع ذكر لسنتي الميلاد والوفاة - إن علما -، ويكون ذلك بالتاريخ الهجري.

٣ ــ بداية المخطوط؛ ويكون ذلك بذكر شيء من النص بعد الديباجة - أي بعد البسملة والحمد له -.

٤ ــ خاتمة، أو نهاية المخطوط؛ ويكون بذكر شيء قبل ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ، فهي تتضمن - في الغالب - معلومات من النص الذي يرد قبل إسم الناسخ وتاريخ النسخ. وللخاتمة أهمية لا تقل عن أهمية البداية أو المقدمة. وينبغي أن يكون ما ينقل سواء من بداية المخطوط أو نهايته هو نقل حرفي، وليس تلخيصاً أو اختصاراً. فإن تعذر نقل بعض المعلومات لسبب من الأسباب كالغموض في فهم الكتابة فيترك مكانها نقطاً ثم يستكمل ماهو واضح.

٥ ــ اسم الناسخ؛ وتاريخ النسخ ومكانه. هذه المعلومات - إن وجدت - فينبغي ذكرها؛ فإن لم يوجد التاريخ فيحدد تقديراً؛ كأن يقال من القرن العاشر للهجرة - مثلاً -، هذا إذا كان المفرس يستطيع بخبرته تحديد ذلك.

٦ ــ بيانات التوريق، وتشمل:

أ ــ عدد الأوراق.

ب ــ عدد السطور. وتؤخذ هذه المعلومات من إحدى الصفحات الداخلية؛ نظراً لأن عدد السطور في الصحفتين الأولى والأخيرة يكون - عادة - أقل من الصفحات الأخرى.

ج ــ نوع الخط.

د ــ لون المداد، وخاصة إذا كانت عناوين الأبواب أو الفصول بمداد مختلف عن مداد النص.

هـ ــ حجم الورق - أي مقاسه.

كتاب في قراءة حمزة .

المؤلف : مجهول
سنة الوفاة : الفن : قراءات
العنوان : كتاب في قراءة حمزة
الناسخ :
تاريخ النسخ : ق ١٤ هـ الخط : مغربى
الأوراق : ٤٠ المقاس: ٢٤ × ١٨,٥ سم
النسخ الأخرى : الرقم :٩٣

كشف الرمز

المؤلف : المولي أحمد بن محمد الربيعي
سنة الوفاة : الفن : لغة
العنوان : كشف الرمز
الناسخ :
تاريخ النسخ : ١٢٢٦ هـ الخط : مغربي
الأوراق : ٨٤-٩٨(ضمن مجموع) المقاس : ١٦,٥×٥سم
النسخ الأخرى : الرقم : ٧٢ (٦)

كنز الدقائق .

المؤلف : النسفى ، عبد الله بن احمد بن محمود
سنة الوفاة : ٧١٠ هـ الفن : فقة حنفى
العنوان : كنز الدقائق
الناسخ :
تاريخ النسخ : ٨٩٤ هـ الخط : نسخ
الأوراق : ٢٥٧ ق المقاس: ١٧,٣×٢٥,٥ سم
النسخ الأخرى : الرقم :٣٦٨

لب الافنان المقتطف من روح البيان ....

المؤلف : محمد المأمون
سنة الوفاة : الفن : تفسير
العنوان : لب الافنان المقتطف من روح البيان مأخوذ من كتاب : روح البيان فى تفسير القرآن لاسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولى - ١١٣٧ هـ النسخ
تاريخ النسخ : ق ١٤ هـ الخط : مغربى
الأوراق : ٢٤٨ المقاس :
النسخ الأخرى : الرقم : ٥٢

اللباب .

المؤلف : مجهول
سنة الوفاة : الفن : حديث
العنوان : اللباب
الناسخ :
تاريخ النسخ : ق ١٠ الخط : تعليق
الأوراق : ١١٣-١٤٢(ضمن مجموع) المقاس: ٢٠×١١سم
النسخ الأخرى : الرقم : ٢٨٤ (٣)

لب اللباب فى علم الاعراب

المؤلف : البيضاوى،عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى
سنة الوفاة : ٦٨٥ هـ الفن : نحو
العنوان :اللباب فى علم الاعراب
الناسخ :
تاريخ النسخ : ١١٧١ هـ الخط : نسخ
الأوراق :١-١٥(ضمن مجموع) المقاس : ١٧,٥×١٢سم
النسخ الأخرى : الرقم : ٢٢٥ (١)

لوائح الحكم (باللغة اتركية)

المؤلف : عارف حكمت ، أحمدعارف حكمت بن ابراهيم
سنة الوفاة : ١٢٧٥ هـ الفن : معارف عامة
العنوان: لوائح الحكم (باللغة التركية)
الناسخ : محمد راشد
تاريخ النسخ : ١٣١٠ هـ الخط : نسخ
الأوراق : ١-١١٠ (ضمن مجموع) المقاس:
النسخ الأخرى : الرقم: ٢٤٢ (١)

المتمتع فى شرح المقنع .

المؤلف : المرغني، بن سعيد بن محمد السوسى
سنة الوفاة : الفن : مواقيت
العنوان المتمتع فى شرح المقنع
الناسخ :
تاريخ النسخ : ١١٦٢هـ الخط : مغربى
الأوراق : ١-٣١(ضمن مجموع) المقاس :١٩×١٥سم
النسخ الأخرى : الرقم : ٢٨ (١)

(الشكل رقم ٣٩)

٧ ــ الملاحظات؛ أو الوصف المادي للمخطوط، ويقصد به:

أ ــ ما بالمخطوط من تلويث، أو ترميم، أو أثر رطوبة، أو خروم، أو أكل أرضه، أو نقص.

ب ــ وصف التجليد إذا كان المخطوط مجلداً.

ج ــ ما قد يحمله المخطوط من شروح، أو تعليقات، أوسماعات، أو مقابلات، أو اجازات، أو تملكات. . . الخ.

٨ ــ المصادر والمراجع والفهارس التي تم الرجوع إليها للتحقق من بعض المعلومات الخاصة بالمخطوط، مثل العنوان، والإسم الكامل للمؤلف، وتاريخ ميلاده، وتاريخ وفاته، وما إذا كان المخطوط مطبوعاً، أو محققاً. . . الخ.

٩ ــ الفن ـ أي موضوع المخطوط ـ؛ ويستحب ذكر الفن أو الموضوع، خاصة إذا كان الفهرس يشتمل على عدة موضوعات. أما إذا كان ا لفهرس كله مخصصاً لموضوع واحد كالحديث ـ مثلاً ـ فلا داعي لذكر الفن ضمن معلومات كل مخطوط إذ يكون ذلك واضحاً من صفحة عنوان الفهرس نفسه.

١٠ ــ الرقم العام للمخطوط في المكتبة أو الدار. «أنظر النموذج في الشكل رقم ٤٠».

يُعطي ـ عادةً ـ الكتاب المخطوط رقماً خاصاً به؛ أما إذا كان الكتاب المخطوط من المجاميع التي تتضمن أكثر من كتاب أو كتيب، ففي هذه الحالة يُعطي الكتاب كله رقماً عاماً واحداً ثم يحدد في الفهرس وعند كل عنوان مما يشتمل عليه المجموع ترتيب هذا الكتاب أو الكتيب ضمن المجموع؛ فإذا كان المجموع يتضمن ثلاثة كتب ـ مثلاً ـ. وأعطي رقماً عاماً هو (٤٥٧٨) فيمكن إعطاء الكتاب الأول فيه ١/٤٥٧٨م، والثاني ٢/٤٥٧٨م، والثالث ٣/٤٥٧٨م، أو يحدد كل كتاب في المجموع بعدد صفحاته، ويبقى الرقم العام واحداً كأن يحدد الأول هكذا:

١ (ص١ – ١٧)/٤٥٧٨م، والثاني ٢(ص١٨ – ٤٥)/٤٥٧٨م، والثالث ٣(ص٤٦ – ١١٢)/٤٥٧٨م

هناك نقطتان ينبغي على المفهرس التنبه لهما:

النقطة الأولى: وتتعلق بعناوين بعض الكتب العربية المخطوطة. فينبغي ألا يؤخذ العنوان على أنه شيء مسلم بصحته تماماً؛ إذ توجد نسخ للمخطوط الواحد، تحمل كل نسخة عنواناً مختلفا، مع أن النسخ كلها واحدة. من ذلك مثلاً:

اصول الدين

حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ط)
شيخ التربة، علي دده بن مصطفى الموستاري ثم السكتواري، علاء الدين، الملقب بشيخ الت
١٠٠٧هـ).
أوله بعد البسملة: «الحمد لله أكمل حمد وأتمه بلسان الحمد... والفضل الصلاة وأتم التسليم
خير خلقه وخاتم رسله... وعلى آله وصحبه حوامل أعلام أحكام شرعه ومطالع أنوار أقمار رشد
الهدى... الخ».

آخره: «... وورد في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى
في الارض الله الله ربه تم الكتاب والحمد لله وحده أولا وآخرا... وختم لنا بالحسنى والشهادة وحشرنا
لواء حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تم الكتاب».

خط تعليق حسن كتب سنة ١٢٦٧هـ.
١٣٩ ق ٢٧ س ١٧,٥×٢٣,٥
نسخة جيدة، بها آثار رطوبة، بالهامش تصحيحات قليلة مع ذكر المطالب.
الأعلام ٥: ٩٨ - كشف الظنون ١: ٦٨٦ - معجم المطبوعات ٢: ١٣٦٢ - هدية العارفين ١:

الرقم العام ٣٩٣٢

الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة
المكي بن محمد بن علي (كان حيا سنة ١٣١٢هـ).
أولها بعد البسملة: «الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد وبعد...
تقييد مختصر على جوهرة التوحيد للشيخ العلامة سيدي ابراهيم اللقاني... الخ».

آخرها: «... وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم فلرأه الناظم رحمه
كل متبع له ﷺ... وهنا انتهى شرح جوهرة العلامة الشهير... ابراهيم اللقاني... والحمد لله
العالمين».

خط مغربي دقيق كتب في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا.
٦٦ ق ٢٢ س ١٦×٢٢,٥ سم
نسخة حسنة، ضمن مجموع، المتن بالحمرة، في الهوامش شروح وتعليقات.

الرقم العام $\frac{٣٢٢٩}{٣}$ م ز (ق ٥٨ - ١٢٣).

(الشكل رقم ٤٠)

١ ــ (الرحبية لمحمد بن علي المتقنة) (ت ٥٧٧هـ) وردت هذه المخطوطة بأسماء أخرى منها :

أ ــ بغية الباحث. ب ــ متن الرحبية.

٢ ــ (السراجية) لمحمد بن محمد السجاوندي. وردت هي الأخرى بعنوانين آخرين هما :

أ ــ الفرائض السراجية. ب ــ الفرائض السجاوندية.

أيضاً فإن العنوان الواحد قد يتكرر لأكثر من مؤلف؛ من ذلك مثلاً :

- كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة.
- كتاب غريب الحديث للأصمعي.
- كتاب غريب الحديث لقطرب.
- كتاب غريب الحديث لابن الأعرابي.
- كتاب غريب الحديث لأبي عبيد.
- كتاب غريب الحديث لإبن دريد.

النقطة الثانية : وتتعلق بالمؤلفين؛ وهو تشابه بعض الأسماء؛ فقد يرد الإسم في أحد المراجع بصيغتين مما يوحي بأنهما شخصان مختلفان بينما هما في الحقيقة شخص واحد. فقد ذكر النديم في (الفهرست) وفي موضعين مختلفين إسم لأحد المؤلفين؛ فسماه في الأول أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن يوسف(٧)؛ وفي الثاني أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم يوسف(٨). أوقد يكرر مؤلف ما أسماء متشابهة بما يوحي انها لشخص واحد بينما هي لأكثر من شخص. فعلي بن الحسين (إبن ثوابه) هو غير علي بن الحسين (من شعراء مصر)؛ وغير علي بن الحسين (المشهور بصاحب البريد)؛ وغير علي بن الحسين، كرم الله وجهه.(٩)

ومن الأمثلة التي يحصل بها اللبس ما ذكره عزت ياسين أبو هيبة من أن كتاب (تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان) الذي نسب في معجم المؤلفين لأحمد بن محمد الطاهري الحسني قد نسب مرة أخرى لحمدون بن حمدون الطاهري الحسيني وهو كما يرى - أي عزت ياسين - لمؤلف واحد.(١٠)

أيضاً فقد ترجم كحالة في معجمه لشخص واحد بمدخلين مختلفين، أوردهما هكذا:

- جلال الدين التباني، جلال الدين بن أحمد بن يوسف المعروف بالتباني الحنفي (ت ٧٩٣هـ).[١١]
- أحمد التباني، أحمد بن يوسف التباني، الحنفي، جلال الدين (ت ٧٩٣هـ).[١٢]

الفصل الثاني عشر

المصادر والمراجع التي ينبغي توفرها في مكتبات المخطوطات

تحتاج مكتبات وأقسام أو دور المخطوطات إلى مجموعة جيدة وكافية من كتب المصادر والمراجع التي تعين المفهرسين والباحثين في الحصول على المعلومات المطلوبة، أو التحقق من صحة بعض المعلومات.

ومن أهم المصادر والمراجع التي يحتاج إليها مفهرسو المخطوطات ما يلي:

أولاً: كتب التراجم:

الأعلام. تأليف: خير الدين محمد آغا الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ).

طبع هذا المعجم عدة طبعات في مصر ولبنان. يشتمل على كثير من التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. رتب المؤلف معجمه ترتيباً هجائياً حسب الإسم الأول للشخص. يمتاز هذا المرجع بأنه يُعرّف بأماكن المخطوطات التي يذكرها؛ كما يشير إذا علم أن الكتاب مطبوع بحرف (ط). أيضاً يمتاز هذا المرجع بالإحالات.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

تأليف محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)

يضم هذا الكتاب تراجم لكثير من أكابر العلماء من اعيان القرن الثامن وما بعده مرتبة هجائياً من الألف إلى الياء. ابتدأ المؤلف ترتيب التراجم بالإسم الأول ثم اسم الأب. وقد طبع مع هذا المرجع الملحق التابع له للمؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمني. ويضم الملحق ٤٤١ ترجمة لمشاهير الأعلام.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)

يحتوي الكتاب على أكثر من ألفين ومائتي ترجمة لعلماء في اللغة والنحو؛ تشتمل على

اسماء المترجم لهم، ونبذة يسيرة عن آثارهم كأسماء أساتذتهم وتلاميذهم ومصنفاتهم. حجم التراجم متفاوت يتراوح ما بين ثلاثة أو أربعة أسطر إلى صفحتين أو أكثر. رتب المؤلف الأسماء هجائياً بالإسم الأول ويبدأ بالمحمدين فالأحمدين تبركاً وإجلالاً للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم شرع في ذكر الأسماء المبدوؤة بحرف الهمزة فالباء... الخ.

الجواهر المضية في طبقات الحنفية

تأليف: محي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر القرشي (٦٩٦ - ٧٧٥هـ).

جمع المؤلف في كتابه هذا تراجم لكثير من رجال المذهب الحنفي ابتداء من الامام ابي حنيفة حتى عصر المؤلف.

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:

تأليف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (١٢٥٠ - ١٣٣٥هـ).

يشتمل الكتاب على ما يقرب من ألف ترجمة لأشهر رجالات القرن الثالث عشر الهجري في حقلي الأدب والسياسة. تراجمه متفاوته الحجم؛ مرتبة ألفبائيا حسب الإسم الأول.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

تأليف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي (١٠٦١ - ١١١١هـ).

يضم هذا الكتاب الف وثلاثمائة ترجمة مرتبة على حروف المعجم، بالاسم الأول فاسم أبيه. يذكر في كل ترجمة الاسم الكامل ويبين مذهبه وسنة المولد والوفاة إذا أمكن؛ مشيراً إلى أعمالهم ومؤلفاتهم إن كان لهم مؤلفات. التراجم متفاوتة، بعضها مختصر، والبعض الآخر فيه إطالة.

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة

تأليف: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)

يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية لدراسة التاريخ الاسلامي والشخصيات الشهيرة. رتب المؤلف تراجمه بالإسم الأول حسب حروف الهجاء من الألف إلى الياء، ذاكراً تاريخ الولادة والوفاة، مشيراً إلى مؤلفات المترجم لهم إذا كانت لهم مؤلفات. يعتبر هذا الكتاب أول كتاب تراجم يترجم لرجال قرن بأكلمه دون أن يخلط معهم أحد من القرون الأخرى.

الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب

تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٩٩هـ)

يحتوي هذا الكتاب على تراجم لأشهر فقهاء المذهب المالكي؛ ويعرف بطبقات المالكية.

الذيل على طبقات الحنابلة

تأليف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ)

يعتبر هذا الكتاب من أوسع ماكتب من تراجم لطبقات الحنابلة. وقد رتب ابن رجب طبقاته على السنين؛ فجعله على الوفيات. وقد أشار المؤلف إلى أسماء ومؤلفات كل من ترجم له.

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر

تأليف: أبو الفضل محمد بن خليل بن علي بن محمد المرادي (١١٧٣ ـ ١٢٠٦هـ)

يضم هذا الكتاب تراجم للمشاهير من أهل القرن الثاني عشر الهجري؛ مرتبة أسماؤهم ترتيباً هجائياً بالإسم الأول. التراجم في هذا الكتاب تشمل العالم الإسلامي، إلا أن التركيز فيه كان على مصر وسوريه والحجاز.

سير أعلام النبلاء

تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شمس الدين (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ)

يعتبر هذا الكتاب موسوعة إسلامية كبرى في التراجم لأعلام المسلمين من أول التاريخ الإسلامي إلى عهد المؤلف؛ فهو مصدر أساسي لدراسة التاريخ والشخصيات الإسلامية. رتب المؤلف كتابه على الطبقات وجعل الأقرباء في مكان واحد، وبلغ عدد التراجم قرابة أربعين ألف ترجمة. حجم التراجم متفاوت بين القصير والمتوسط والطويل؛ وذلك راجع لشهرة العلم وعلو منزلته.

الشعر والشعراء

تأليف: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ)

يعتبر من أقدم المراجع في تراجم الشعراء. رتب بن قتية الشعراء ترتيبا زمنياً، فبدأ بالجاهليين، فالمخضرمين، وانتهى إلى أوائل القرن الثالث الهجري. يورد المؤلف في حديثه عن كل شاعر نبذة عن حياته ونسبه وأخباره واشعاره وأقوال العلماء فيه. لم يحرص المؤلف على استيفاء الشعراء وحصرهم بل اقتصر على المشاهر منهم.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢هـ)

يشتمل على تراجم للعلماء والقضاة والصلحاء والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء الذين توفو في القرن التاسع. لم يقتصر السخاوي في تراجمه على من مات في القرن التاسع بل ترجم لاناس عاشوا حتى أول القرن العاشر الهجري. يسرد المؤلف في كل ترجمة محفوظات المترجم له ومقرؤآته، وشيوخه ومصنفاته، ومولده ووفاته. رتب التراجم هجائياً بالإسم الأول فاسم الأب.

طبقات الأطباء والحكماء

تأليف: سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (ت ٣٧٧هـ؟)

هذا الكتاب من أقدم الكتب المؤلفة في سير العلماء، ويعتبر وثيقة في تاريخ العلوم. جعل المؤلف كتابه في تسع طبقات. يغلب على التراجم الاختصار.

طبقات الحنابلة

تأليف: محمد بن محمد بن الحسين بن محمد، بن أبي يعلى، المعرف بابن الفراء. (٤٥١ ـ ٥٢٦هـ.)

قسم بن أبي يعلى كتابه إلى ست طبقات، ورتب الأسماء على حروف المعجم. يطيل في بعض التراجم ويختصر في البعض الآخر. بلغ بالتراجم حتى سنة ٥١٢هـ، وقد بدأ بترجمة الإمام أحمد بن حنبل.

الطبقات السنية في تراجم الحنفية

تأليف: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الحنفي (٩٥٠ ـ ١٠١٠هـ)

يضم هذا الكتاب تراجم لأعلام المذهب الحنفي حتى نهاية القرن العاشر الهجري.

طبقات الشافعية

تأليف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي (٧٠٤ ـ ٧٧٢هـ)

يعتبر هذا الكتاب موسوعة للفقه والأدب والتاريخ والحديث والتفسير. قسم المؤلف كتابه إلى سبع طبقات، وجعل لأهل كل مائة سنة طبقة من هذه الطبقات السبع. ابتدأ المؤلف بترجمة الإمام الشافعي، فتراجم اصحابه الذين عاصروه وأخذوا عنه. رتب التراجم بالأسماء على حروف المعجم.

طبقات الشافعية الكبرى

تأليف : تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ)

يشتمل الكتاب على مقدمة وسبع طبقات في تراجم الإمام الشافعي وأتباعه من الفقهاء والعلماء الذين برزوا في مضمار المذهب الشافعي . كل طبقة من الطبقات السبع خصصت لأعلام مائة سنة. افتتح المؤلف التراجم بترجمة الإمام الشافعي، ثم من جالس الشافعي ومن تتلمذ عليه. التراجم مرتب بالأسماء حسب حروف المعجم، مبتدءاً بالأحمدين فالمحمدين تبركاً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فوات الوفيات

تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي، المعروف بابن شاكر (ت ٧٦٤هـ).

هذا الكتاب هو ذيل لكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان. يتضمن هذا المعجم تراجم لأشخاص لم يرد ذكرهم في كتاب الوفيات؛ سواء أكانوا في عهد بن خلكان فأهملهم أو أنهم أتوا بعده. التراجم مرتبة الفبائيا باسم الشهرة أو العائلة كمدخل لكل شخص ورد اسمه في التراجم.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

تأليف: نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزي (٩٧٧ ـ ١٠٦١هـ)

يضم الكتاب تراجم بأعيان القرن العاشر الهجري بدءاً من أول سنة تسعمائة وواحد إلى نهاية القرن العاشر. قسم المؤلف كتابه إلى ثلاث طبقات، وبدأ كل طبقة بمن اسمه محمد ثم اتبع الترتيب الهجائي لبقية الأعلام.

مداخل المؤلفين والأعلام العرب

حتى عام ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠م

إعداد: فكري زكي الجزار

يتألف هذا المرجع من أربعة أجزاء؛ صدرت كلها عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بين سنتي ١٤١١ ـ ١٤١٥هـ (١٩٩١ ـ ١٩٩٤م)

معجـــم الأدبـــاء

تأليف: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ)

هو كتـاب شامـل فيه الكثـير من أخبـار النحـويين واللغـويين والنسـابـين والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين والكتاب المشهورين وأرباب الخطوط. إنه يعتبر بحق المرجع الأول في تراجم العلماء والأدباء حتى نهاية القرن السادس الهجري؛ باستثنـاء الشعـراء فلم يترجم إلا لمن عُرف إلى جانب الشعر بالتصنيف والتأليف كأبي العلاء والبحتري. يمتاز هذا المعجم بحسن تبويبه، فهو مرتب هجائياً حسب الحرف الأول من الاسم الأول ثم الحرف الثاني.

معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية

تأليف: عمر رضا كحاله

يحتـوي هذا المعجم على حوالي ١٣٠٠٠ ترجمـة لمصنفي الكتب العـربية من عرب وعجم. اقتصر المؤلف على ترجمة من عرف ولادته ووفاته، أو الزمن الذي كان حياً فيه بالهجـري والميلادي. رتب الـتراجم هجـائياً حسب الاسم الأول. يورد المؤلف لكل شخص من أصحـاب الـتراجم خمسـة من مؤلفاته إذا كانت كثيرة. طُبع الكتاب عدة طبعـات منهـا طبعـة الـترقي بدمشق سنـة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م في خمسة عشر جزءاً؛ خصصت الثلاثة عشر جزءاً الأول منها للتراجم أما الجزءان الرابع عشر والخامس عشر فهـما فهـارس عامة بأسماء الكنايات والألقاب، مع الإحالات التي تساعد الباحث في العثور على الترجمة المطلوبة بسهولة في الأجزاء الخاصة بالتراجم.

الوافي بالوفيات

تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ)

يقـع الكتـاب في نحـو ثلاثين مجلداً؛ ويحتوي على ١٤٠٠٠ ترجمة لأعيان ومشاهير النـاس من الصحـابـة والتـابعـين والملوك والأمراء والقضاة والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والعلماء والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وغيرهم.

وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان

تأليف: أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ)

ترجم المؤلف في كتابه لكثير من العلماء والأدباء والشعراء والملوك والأمراء وغيرهم ممن لهم شهرة في العالم الإسلامي.

هدية العـارفين

تأليف: اسماعيل بن محمد أمين البغدادي (١٨٣٩ - ١٩٢٠م)

حصر المؤلف أسماء جميع المؤلفين الذين وردت أسماؤهم في كتابي كشف الظنون، وذيله (إيضاح المكنون) ورتب الأسماء ترتيبا هجائياً بالإسم الأول؛ ثم أورد مصنفات كل ملف بعد اسمه مهما كثرت، إذ بلغت لبعض المؤلفين عدة مئآت.

ثانياً: الفهارس والببليوغرافيا:

إكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أجل التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية.

جمع: ادوارد فنديك.

هو مرجع لأشهر المؤلفات المطبوعة من أقدم العصور إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. المواد مرتبة حسب المواضيع حيث ذكرت فيه اسماء الكتب التي طبعت، وأماكن طبعها، وتاريخ الطبع؛ مع ذكر ترجمة لمؤلفيها. الكتاب مزود بفهارس جيدة. طبع بمطابع الهلال سنة ١٨٩٦م.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

تأليف: اسماعيل بن محمد أمين البغدادي (١٨٣٩ - ١٩٢٠م)

هذا الكتاب هو ذيل لكتاب (كشف الظنون..) لحاجي خليفة؛ واستدراك لما فاته، وذكر لما أُلف بعده. اشتمل هذا المرجع على مايقرب من ١٩٠٠٠ كتاب مرتب على نمط ترتيب كتاب كشف الظنون؛ أي أن عناوين الكتب مرتبة هجائياً.

تاريخ الأدب العربي

تأليف: كارل بروكلمان؛ تعريب عبد الحليم النجار، يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب. طبع عدة طبعات في عدة أجزاء. هذا المرجع يقدم حصراً جزئياً لتراثنا المخطوط الموجود في عدد كبير من مكتبات العالم.

تاريخ التراث العربي

تأليف: فؤاد سزكين.

طبع عدة طبعات لعل آخرها طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٣هـ - ١٤٠٨هـ (١٩٨٣ - ١٩٨٨م). يقع الكتاب في عدة مجلدات، تضم مادة كتاب بروكلمان مع اضافات جديدة إليه، جمعها من مكتبات أكثر من مائة دولة. رتب المؤلف مادة كتابه ترتيباً موضوعياً.

فهرس المخطوطات

إعداد: فؤاد سيد.

هذا الفهرس يتكون من ثلاثة مجلدات، ويحتوي على اسماء المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥م. رتب الفهرس هجائياً حسب العناوين؛ وبالمجلد الثالث كشاف بأسماء المؤلفين الذين ذكرهم في المجلدات الثلاثة كلها.

فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى)

اعداد: ي. س. علوش، وعبد الله الراجحي.(*)

هذا الفهرس يتألف من عدة أجزاء. المؤلفات مرتبة هجائياً حسب العنوان. يوجد بالفهرس كشافات جيدة.

فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جستر بتي: دبلن. ايرلندا.

يقع الفهرس في سبعة مجلدات، تضم نحواً من ٢٥٠٠ مخطوطة عربية. وضع هذا الفهرس المستشرق آرثر آربري. وقد طبع الفهرس خلال السنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤م.

فهرس المخطوطات المصورة

أصدر معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية مجموعة فهارس بهذا العنوان، تحتوي على عناوين المخطوطات العربية المصورة التي يقتنيها المعهد والتي قام بتصويرها من أماكن كثيرة في العالم.

الفهـــرست

تأليف: محمد بن اسحاق بن محمد النديم (ت ٤٣٨هـ؟)

يشتمـل هذا الكتاب على قرابة ٦٤٠٠ عنوان من المؤلفات في عصر المؤلف. قسم النديم كتابه إلى عشرة أبواب كبيرة سماها مقالات، فرّعها إلى فنون بلغت ٣٢ فناً، مع ذكر اسماء العلماء الذين اشتهروا في كل فن من هذه الفنون. فأسلوب النديم في كتابه هو تقديم الكلام في الفنون التي بوبها ثم يترجم للمؤلفين ويسرد أسماء مؤلفاتهم.

(*) عواد، كوركيس. فهارس المخطوطات العربية في العالم. ص ٢٤٧.
وفي كتاب (المصادر العربية والمعربة) لمحمد ماهر حماده ورد أن الفهرس من إعداد (ب. س. علوش، وعبد الرحمن الرجراجي).

فهرست المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال بأسبانيا.

إعداد: هارتويغ درنبرغ (ت ١٩٠٨م)

ويضم هذا الفهرس ٧٨٥ مخطوطة عربية.

قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب المصرية حتى سنة ١٨٦٢م

اعداد: محمد جمال الدين الشوربجي.

تشتمل هذه القائمة على ٨٥١ كتاباً من الكتب العربية المطبوعة حتى سنة ١٨٦٢م. المواد مرتبة هجائياً حسب العنوان، مع ذكر للمؤلف، ومكان الطبع وتاريخه. وقد زود هذا الكتاب بأربعة كشافات لمساعدة الباحثين.

الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف.

إعداد: محمد اسعد طلس.

هذا الفهرس يحتوي على الكتب المخطوطة الموجودة في خزائن مديرية الأوقاف العراقية. رتبت المؤلفات حسب عناوينها، مع ذكر لاسم المؤلف، وعدد النسخ، وأماكن وجودها.

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون

تأليف: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ)

يحتوي الكتاب على أكثر من ٣٠٠ فن، ويضم نحو ١٤٥٠٠ عنوان لأكثر من ٩٥٠٠ مؤلف. رتب المؤلف العناوين الفبائياً. يعد هذا الكتاب من أهم المعاجم في عناوين الكتب العربية والتركية والفارسية. وهو يعتبر ذيلاً لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده.

مجموعة فهارس مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

هي مجموعة فهارس تتألف من:

١ - فهرست المخطوطات (الأصلية) والمصورات مج١، ج١

المصاحف والتجويد والقراءات.

هذا الفهرس صدرت له طبعتان: الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

الثانية سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٢ - فهرست المخطوطات (الأصلية) والمصورات. مج١، ج٢.

التفسير وعلوم القرآن؛ صدر سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣ ــ فهرست المخطوطات (الأصلية) والمصورات. مج١، ج٣.
الحديث الشريف. ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤ ــ فهرست المخطوطات: الأدب والنقد والبلاغة. ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٥ ــ فهرس المخطوطات المصورة: في الأدب والبلاغة والنقد. ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م.
٦ ــ الفهرس الوصفي لبعض نوادر المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧ ــ الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية ومتعلقاتها:
التاريخ ـ التراجم ـ الإجازات والإثبات. ٣ مج: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٨ ــ قائمة حصرية بمخطوطات الفقه الإسلامي الموجودة بمكتبات الرياض. ١٣٩٦هـ.
٩ ــ الفهرس الوصفي لبعض المخطوطات المحفوظة في جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ١٤١٨ ـ ١٩٩٧م.

مجموعة فهارس مخطوطات جامعة الملك سعود بالرياض.

صدرت هذه المجموعة عن قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود؛ وتتألف من:
١ ــ فهرس مخطوطات جامعة الرياض: الجغرافيا ـ التراجم ـ التاريخ.
ربيع الأول ١٣٩٥هـ ـ ابريل ١٩٧٥م.
٢ ــ فهرس مخطوطات جامعة الرياض: القرآن الكريم وعلومه.
جمادى الثانية ١٣٩٧هـ ـ مايو ١٩٧٧م.
٣ ــ فهرس مخطوطات جامعة الرياض: الأعمال العامة ـ الفلسفة.
ربيع الثاني ١٣٩٩هـ ـ مارس ١٩٧٩م.
٤ ــ فهرس مخطوطات جامعة الرياض: الحديث وعلومه. ١٩٨٠م.
٥ ــ فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود: أُصول الدين والفرق الإسلامية.
١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٦ ــ فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود: الفقه الإسلامي وأُصوله.
١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

التغيُّر الملاحظ في مسمى الجامعة يعود لتغير إسمها؛ فقد كان إسمها عندما أُنشئت هو (جامعة الملك سعود)؛ ثُم غُيِّر الإسم إلى (جامعة الرياض)؛ ثُم أُعيد إليها إسمها الأول الذي لازالت تحمله حتى اليوم.

مجموعة فهارس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق (حالياً مكتبة الأسد)

هي مجموعة من الفهارس صدرت في فترات متفاوتة، وتغطي موضوعات

مختلفة، منهـا :

١ ــ فهرس مخطوطات علوم القرآن.
٢ ــ فهرس مخطوطات الفقه الشافعي.
٣ ــ فهرس مخطوطات الطب والصيدلة.
٤ ــ فهرس مخطوطات التاريخ.
٥ ــ فهرس مخطوطات الشعر.
٦ ــ فهرس مخطوطات علم الهيئة وملحقاته.

مجموعة فهارس مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

هذا المركز يُعتبر من أهم المؤسسات التي تقتني وتهتم بالمخطوطات الأصلية والمصورة. صدرت عن هذا المركز عدة فهارس بمقتنياته من المخطوطات، منها:

١ ــ فهرس المخطوطات (الأصلية).
صدر هذا الفهرس في سبعة أعداد؛ نُشرت مابين ١٤٠٦هـ ـ ١٤١٥هـ
٢ ــ فهرس المصورات الميكروفيلمية.
صدر هذا الفهرس في ثلاثة أعداد؛ نشرت ما بين ١٤٠٧ ـ ١٤١٣هـ.

معجم المخطوطات المطبوعة

تأليف: صلاح الدين المنجد.

يتألف هذا المعجم من خمسة مجلدات، تشتمل على عناوين المخطوطات العربية التي نشرت خلال الأعوام مابين ١٩٥٤ ـ ١٩٨٠م. رتب المؤلف معجمه بأسماء المؤلفين ترتيباً هجائياً حسب اسم العائلة، ثم الاسم الأول، يلي ذلك عناوين المخطوطات التي تم نشرها، مع ذكر اسم الناشر والمطبعة ومكان النشر وتاريخه.

معجم المطبوعات العربية والمعربة

تأليف: يوسف بن الياس بن موسى سركيس، الدمشقي (١٢٧٢ ـ ١٣٥١هـ).

يشتمل هذا المرجع على عناوين الكتب العربية أو المعربة من اللغات الأعجمية التي نشرت في أرجاء العالم منذ تأسيس الطباعة وحتى نهاية ١٣٣٩هـ ـ ١٩١٨م. جعل المؤلف معجمه بأسماء المؤلفين الفبائياً، مرتباً المداخل حسب اللقب أو الكنية أو النسب، مع اعطاء نبذه بسيطة عن المؤلف؛ أو المعرِّب ثم ترتيب كتبه ابجدياً، موضحاً ما أمكن مكان الطبع واسم المطبعة، وتاريخ الطبع.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم

تأليف: أحمد بن مصطفى بن خليل، المعروف بطاشكبرى زاده. (٩٠١ - ٩٦٨هـ).

لهذا المرجع عدة طبعات؛ منها طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٨م، في أربعة أجزاء؛ يحتوي الجزء الرابع منها على كشافات هي:

١ ــ كشاف العلوم ٢ ــ كشاف العناوين.
٣ ــ كشاف المؤلفين والأعلام. ٤ ــ كشاف الأماكن والبلدان.

النشرة المصرية للمطبوعات

إصدار: دار الكتب المصرية.

بدأت دار الكتب المصرية منذ سنة ١٩٥٦م باصدارها بشكل دوري للتعريف بما يودع في الدار من المطبوعات.

الفصل الثالث عشر
تحقيق الكتاب العربي المخطوط

التحقيق لغةً إحكام الشيء؛ والتحقق هو التيقن وفي استخدامنا العادي هو البحث عن الحقيقة. وتحقيق الكتاب المخطوط هو بذل الجهد لإخراجه على حقيقته، أو أقرب ما يكون إلى الصورة التي أرادها المؤلف لكتابه.

إذا أراد باحث القيام بتحقيق مخطوط ما، فعليه أولاً وقبل كل شيء التأكد من أنه لم يتم تحقيقه من قبل، تحقيقاً وافياً وسليماً. فإذا تيقن من ذلك، فعليه القيام بجمع ما يمكن جمعه من نسخ خطيه للكتاب المراد تحقيقه. ويستطيع الباحث التعرف على أماكن وجود هذه النسخ في المكتبات المختلفة، والمنتشرة في أرجاء العالم؛ ويمكن أن يتم ذلك بالرجوع إلى الفهارس والأعمال البيبليوغرافية الخاصة بالمخطوطات العربية مثل:

١ ـ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان.

٢ ـ تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين.

وهذان المرجعان يسجلان الكتب العربية المخطوطة، ويشيران إلى أماكن وجودها في مكتبات العالم، وذلك تحت اسماء مؤلفيها.

٣ ـ فهارس المخطوطات العربية في المكتبات العربية والأجنبية، حيث جرت العادة أن تقوم المكتبات، أو المؤسسات التي تقتني مخطوطات بإصدار فهارس إما شاملة، أو مختصرة عن مقتنياتها من المخطوطات، سواء أكانت مخطوطات أصلية أم مصورة.

من الصعب ولكن ليس مستحيلاً حصول الباحث على جميع نسخ الكتاب المخطوط المراد تحقيقه؛ ذلك أن هناك مكتبات حكومية وغير حكومية لم تصدر فهارس بمقتنياتها من المخطوطات، وبالتالي لا يُعرف عنها شيء. ولعل هذا من أهم الأسباب وراء تحقيق بعض الكتب المخطوطة أكثر من مرة. إلاّ أن الباحث مع ذلك مطالب بالسعي الحثيث،

وبذل أقصى الجهود الممكنة للحصول على جميع النسخ للكتاب المراد تحقيقه، إذا كانت النسخ قليلة. أما إذا كانت النسخ كثيرة كما هو الحال في بعض الكتب المشهورة، حيث قد يتجاوز بعضها المئة نسخة، فإن الباحث والحالة هذه مطالب بتقصي الحقائق عن هذه النسخ، وجمع معلومات وافية عنها إما بالاطلاع المباشر عليها إن أمكن، أو من خلال الفهارس الشاملة التي تعطي ـ في الغالب ـ معلومات دقيقة ومفصلة عنها؛ ومن ثمّ إجراء مفاضلة بينها واختيار عدد مناسب في حدود خمس نسخ يكون اختيارها مبنياً على أسس وقواعد سليمة ولها مايبررها؛ كأن تكون كاملة، وموثقة، ومعتمدة. وقد أورد المستشرق برجستراسر بعض القواعد للمفاضلة بين نُسخ المخطوط الواحد إذا كانت كثيرة، وهي:

١ ـ ان النسخ الكاملة أفضل من النسخ الناقصة.
٢ ـ ان النسخ الواضحة احسن من غير الواضحة.
٣ ـ ان النسخ القديمة أفضل من الحديثة.
٤ ـ ان النسخ التي قوبلت بغيرها أفضل من التي لم تقابل[١٣].

غير أن هذه القواعد رغم مايبدو من سلامة منطقها إلا أنه لا ينبغي قبولها بشكل مطلق ومسلم به، ذلك أن لكل قاعدة شواذ؛ فقد تكون نسخة المؤلف التي كتبها بخط يده ـ مثلاً ـ غير واضحة تماماً وذلك لرداءة خط العالم نفسه؛ فهل نقبل نسخة أخرى أوضح منها بخط شخص آخر ونهمل نسخة المؤلف؟! طبعاً هذا غير منطقي، ويتنافى مع أبسط قواعد التحقيق.

إن تحقيق الكتاب المخطوط يعتمد ـ كما سبقت الإشارة ـ على جمع عدد كافٍ ومناسب من نسخه، على أن يكون لكل نسخه من النسخ خصائصها التي تميزها عن غيرها؛ كاختلاف الخط، أو التاريخ؛ لأن الهدف كما هو معلوم هو محاولة إخراج الكتاب بالصورة التي أرادها المؤلف، أو أقرب ما تكون إلى الصورة التي كتبها المؤلف.

التحقيق إذن يتطلب عدداً من الخطوات:

أولاً: جمع النسخ:

تجميع النسخ، والمقارنة بينها، وتحديد منازلها شيء ضروري؛ فليس كل النسخ للكتاب المراد تحقيقه على مستوى واحد؛ فقد يكون فيها الكامل والناقص؛ وفيها القديم والمتأخر؛ والغامض والواضح؛ والموثق بسماع، أو إجازة، أو مقابلة، وغير الموثق. وعلى ضوء المعلومات التي يجمعها المحقق بعد الاطلاع على هذه النسخ يختار نسخة يتخذها

الأم. أو الأصل الذي تقابل عليه النسخ الأخرى. وعادةً يكون للنسخ التي يتم تجميعها مراتب يمكن ايضاحها فيما يلي:

١ ــ أحسن نسخة تعتمد أصلاً للتحقيق والنشر هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه، فهي الأم لبقية النسخ الأخرى.

٢ ــ إذا لم تتوفر نسخة المؤلف فأي نسخة كُتبت في عصر المؤلف، وقرأها بنفسه، أو قُرئت عليه، واثبت ذلك بخط يده.

٣ ــ يلي ماسبق في الأهمية أي نسخة نُقلت عن نسخة المؤلف، أو عُورضت بها، أو قُوبلت عليها.

٤ ــ يأتي بعد ذلك في الأولوية أي نسخة كُتبت في عصر المؤلف، وعليها سماعات على بعض العلماء الثقات.

٥ ــ يلي ذلك أي نسخة كُتبت في عصر المؤلف، ولكن ليس عليها سماعات.

٦ ــ ثم أي نسخ أخرى كُتبت بعد عصر المؤلف. وفي هذه الحالة يفضل الأقدم على المتأخر، وما كتبها عالم مشهور بسعة علمه وضبطه، أو قُرئت عليه.

ثانيا: مراحل التحقيق:

وتشتمل على ما يلي:

١ ــ التحقق من عنوان الكتاب، واسم مؤلفه؛ وهما يردان ـ في الغالب ـ إما على الصفحة الأولى؛ أي صفحة العنوان؛ أو في مقدمة المخطوط؛ وقد يردان ـ وإن قليلاً ـ في نهاية المخطوط.

فإذا وجد الباحث أو المحقق عنوان الكتاب، لكنه لم يجد اسم مؤلفه، فيمكنه في هذه الحالة الرجوع إلى بعض المصادر لمعرفة اسم المؤلف. ومن المراجع التي يمكن الرجوع إليها لهذا الغرض:

أ ــ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.

ب ــ اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون لعبد اللطيف رياضي زاده.

ج ــ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لاسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي.

د ــ بعض فهارس المخطوطات التي تصدرها بعض المكتبات، أو المؤسسات التي تقتني المخطوطات العربية؛ مثل فهارس دار الكتب المصرية، دار الكتب الظاهرية بدمشق (حالياً مكتبة الأسد الوطنية)؛ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض؛ فهارس المخطوطات بجامعة الملك سعود؛

فهارس المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ وغير ذلك من الفهارس، وخاصة فهارس المخطوطات العربية.

على أنه ينبغي التثبت من صحة المؤلف؛ إذ يوجد كثير من الكتب التي تحمل عنواناً واحداً لكن لكل منها مؤلف يختلف عن الآخر. فقد أورد النديم ـ على سبيل المثال ـ أكثر من ستة كتب تحت مسمى «كتاب الأنواء» لكن لكل كتاب مؤلفه الخاص؛ كما أورد أكثر من عشرين كتاباً في غريب الحديث لمؤلفين مختلفين.

إن عُثر في الكتاب المخطوط على اسم المؤلف ولكن لم يعثر على العنوان ـ أي اسم الكتاب فيمكن الرجوع إلى مصادر للبحث والتأكد من اسم المخطوط. من المراجع العديدة التي يمكن الرجوع إليها لهذا الغرض:

أ ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاشكبري زاده.

ب ــ هدية العارفين، لاسماعيل البغدادي

ج ــ فهارس المخطوطات، التي أشرنا إليها سابقاً؛ وخاصة الفهارس الشاملة التي يرد فيها ـ عادة ـ بداية المخطوط ونهايته.

د ــ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان.

هـ ــ تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين.

هناك نقطة ينبغي التذكير بها لأهميتها ألا وهي نسبة بعض الكتب لمؤلفين لم يكن لهم في الحقيقة أي دور في تأليفها، وإنما نُسبت إليهم لهدف أو غرض مادي هو تسويق الكتاب؛ خاصة إذا كان العالم المنسوب إليه الكتاب فاضلاً، وثقة، وغزير العلم. كما قد يكون الهدف الإساءة، للشخص أو الأشخاص المنسوب إليهم التأليف. ومثل هذه الأفعال المشينة والسيئة في نسبة الكتب لغير مؤلفيها الحقيقين لا تتم ـ في الغالب ـ إلاّ إذا كان الشخص المنسوب إليه التأليف متوفى.

تحقيق نص الكتاب المخطوط ليس مجرد مقابلة النُسخ على بعضها؛ ولا هو تصويب أو تصحيح الأخطاء، وانما هو بذل أكبر جهد ممكن لاخراج النص كما أراده المؤلف، أو أقرب ما يكون إلى الصورة التي أرادها المؤلف. ومن هنا يمكن القول بأنه ينبغي على المحقق ما يلي:

أ ــ قراءة المخطوط عدة مرات قبل البدء في إعادة كتابته.

ب ــ عدم التدخل في أسلوب الكتاب المخطوط.

ج ــ عدم تغيير المعلومات، أو تصحيح الأخطاء، أو اختصار بعض العبارات، أو

الكلمات؛ فهذه كلها أمور خاصة بالمؤلف. الشيء الوحيد الذي يُسمح بتصحيحه هو الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة إذا ثبت خطأ المؤلف فيها.

د ـ عدم استكمال أي نقص في النسخة الأصلية مالم يكن النص لا يستقيم بدون الإضافة المطلوبة، على أن توضع الإضافات بين قوسين مكسورين < . . . > ليعرف القارىء أن هذه الإضافات من المحقق.

أما إذا كان في النسخة الأم خرم أوبياض أضاع نصاً، وكان هذا النص موجوداً في النسخ الأخرى فيمكن اتمام ما ضاع من النسخة الأصلية بوضعه بين خطين عموديين [. . .]، ويُشار إلى ذلك في الحاشية. أما إذا لم يجد المحقق الجزء المفقود فيشير إلى مقداره في الحاشية.

هـ ـ استعمال هوامش صفحات الكتاب لاثبات التعارض أو الخلاف بين النسخ، على أن تُميز كل نسخة من النسخ برمز هجائي أو رقمي يميزها عن غيرها.

أيضاً تُستعمل الهوامش لتخريج النصوص التي نقلها المؤلف من مصادر أخرى، سواء أشار أليها المؤلف، أو عرفها المحقق نفسه، وذلك بعد التأكد من صحتها؛ ومن ذلك الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الأبيات الشعرية التي ينبغي أن تُرد إلى مصادرها؛ فإن كانت ـ على سبيل المثال ـ آية قرآنية، ذُكرت السورة ورقم الآية؛ وان كان حديثاً نبوياً ذكر المصدر الذي ورد فيه.

و ـ استخدام الهوامش كذلك لتعريف المواقع، واسماء الأشخاص، واسماء المدن، وتفسير ما غمض في النص من كلمات، أو عبارات؛ وتصويب ماورد فيه من خطأ لغوي، أو تصحيف، أو تحريف على أن تذكر مصادر هذه المعلومات في الهوامش أيضاً.

ثالثاً: الإعداد النهائي للطبع:

١ ـ بعد الإنتهاء من تحقيق النص الكامل للمخطوط ينبغي على المحقق قبل تقديم النسخة للطباعة استكمال بعض الأشياء الضرورية، والتي توضح للقارىء بعض الجوانب والنقاط الهامة حول الكتاب، فيضع مقدمة يتحدث فيها المؤلف عن الكتاب، واصفاً إياه وصفاً واضحاً، مبيناً أهميته، وعدد النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها، ومصادرها، ومابينها من فوارق، ولماذا جعل احداهن أُمّاً، مع ايضاح الرمز الذي أعطاه لكل منها، والمنهج الذي سلكه في التحقيق. وإذا كان الكتاب قد سبق تحقيقه، أو نشره، فينبغي ايراد الأسباب والمبررات التي دعت المحقق إلى اعادة التحقيق.

٢ ــ اعطاء الكتاب حقه من المراجعة قبل الطبع للتأكد من أنه أُعد إعداداً جيداً ومتقناً، بحيث يكون واضحاً لا غموض فيه ولا لبس؛ وتكون فقراته منظمة تنظيماً سليماً؛ وعلامات الترقيم فيه صحيحة وكاملة؛ وحواشيه مضبوطه ومرقمة.

٣ ــ تضمين الكتاب ـ إن أمكن ـ بعض اللوحات لصفحات يتم اختيارها من نسخ المخطوط الأصلية.

٤ ــ إنهاء الكتاب بمجموعة من الفهارس والكشافات الهجائية المفصلة، والتي تحلل محتويات الكتاب، وتسهل استخدامه؛ مثل فهارس الأعلام، والأماكن، والبلدان، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وغير ذلك من أنواع الكشافات والفهارس الضرورية.

أيضاً ينبغي أن يُختتم الكتاب بايراد قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المحقق في تحقيق الكتاب.

مراجع الباب الثالث

١ ــ حماده، محمد ماهر. المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. ط ٥. بيروت: مؤسسة الرسالة؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، ص ١٥٤.

٢ ــ الحلوجي، عبد الستار. المخطوط العربي. ط٢. جدة: مكتبة مصباح؛ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٤م، ص ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

٣ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٦٧.

٤ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٦٨.

٥ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٦٩.

٦ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٧٠.

٧ ــ النديم، محمد بن إسحاق. كتاب الفهرست. ط٣. تحق/ رضا تجدد. بيروت: دار المسيرة؛ ١٩٨٨م، ص ٢٤٦.

٨ ــ المصدر السابق؛ ص ٢٤٧.

٩ ــ المصدر السابق؛ ص ص ١٤٣، ١٩١، ٢٢٤، ٢٤٢.

١٠ ــ أبو هيبة، عزت ياسين. المخطوطات العربية: فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٨٩م، ص ٤٣.

١١ ــ كحاله، عمر رضا. معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. دمشق: مط. الترقي؛ ١٩٥٧م، مج٣، ١٥٢.

١٢ ــ المصدر السابق؛ مج ٢، ص ٢٠٩.

١٣ ــ عسيلان، عبد الله عبد الرحيم. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، ص ١٣٣.

الباب الرابع

مجموعة لوحات مختارة في الخط العربي

الفصل الرابع عشر

فهرس الأشكال والنماذج واللوحات الخطية المختارة

نموذج للخط الديواني

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري

(الشكل رقم ٤١)

نموذج لخط الجلي ديواني

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(الشكل رقم ٤٢)

نموذج لخط الرقعة

عن محمد بن علي، عن أبيه [علي بن الحسين] عن النبي (ص) قال:
"إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء: إذا أكلوا الأموال دولًا، واتخذوا الأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه، وبرّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وأكرم الرجل مخافة شره، وكان زعيم القوم أرذلهم، وإذا لبس الحرير وشربت الخمور، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليترقبوا بعد ذلك ثلاث خصال ريحًا حمراء، ومسخًا، وخسفًا."

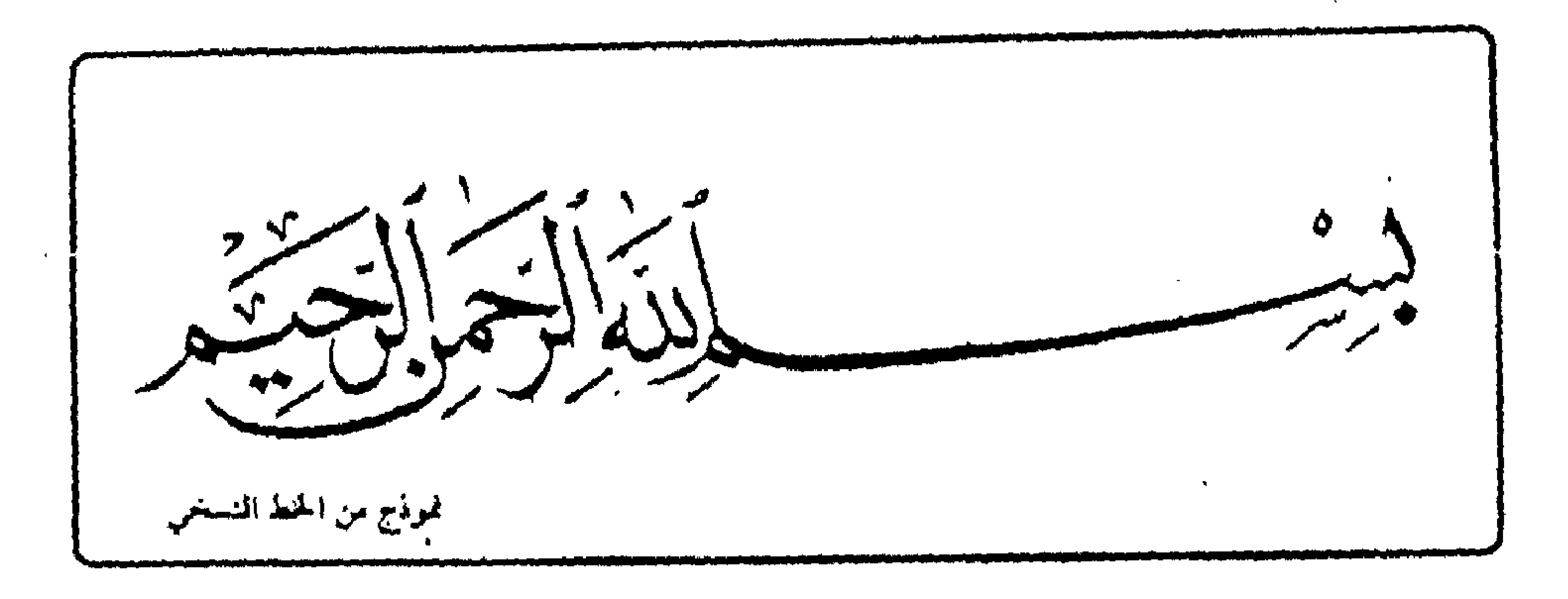
عن مجلة الهلال الصادرة عام ١٩٢٩ من موضوع اصلاح الأبجدية العربية ما نصه: "هذا اقتراع نرجو أن يعالجه الأدباء والعلماء وأن يتخذوا منه حجة على من يريد أن يكتب العربية بالأحرف اللاتينية"

(الرفعة في تعليم خط الرقعة)

(الشكل رقم ٤٣)

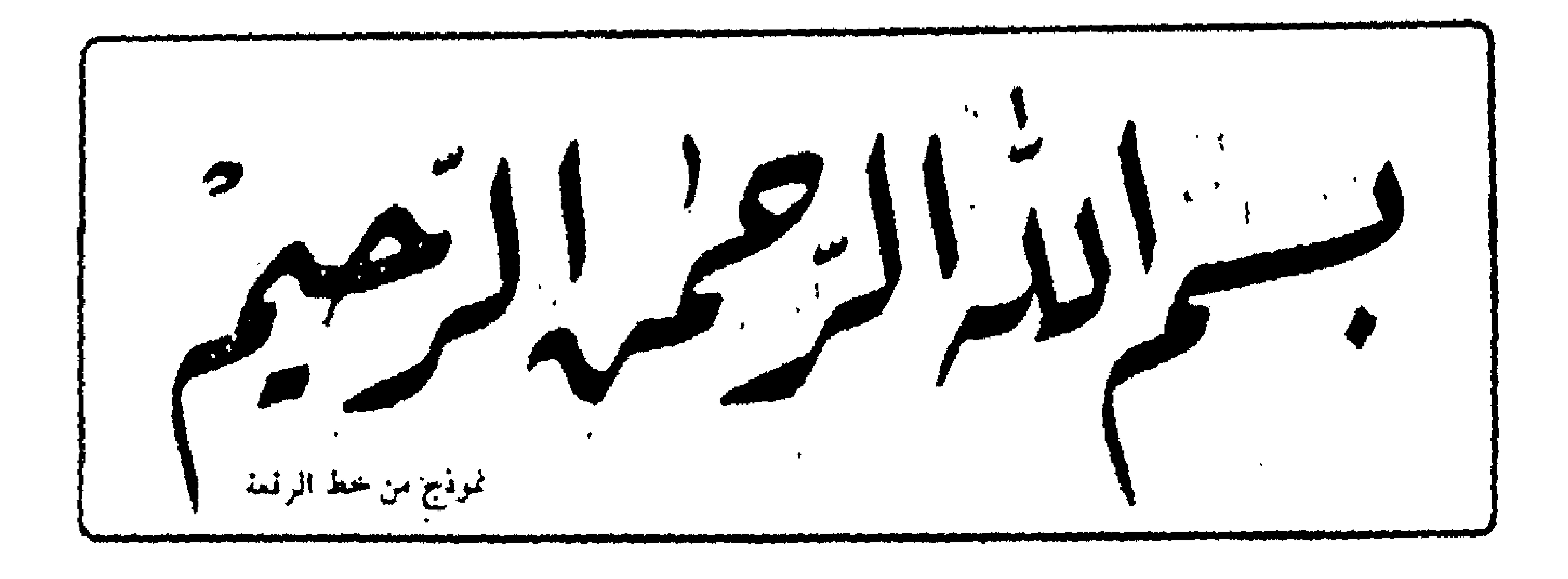
(الشكل رقم ٤٤)

خط نسخي
بقلم ابن البواب



نموذج من الخط النسخي

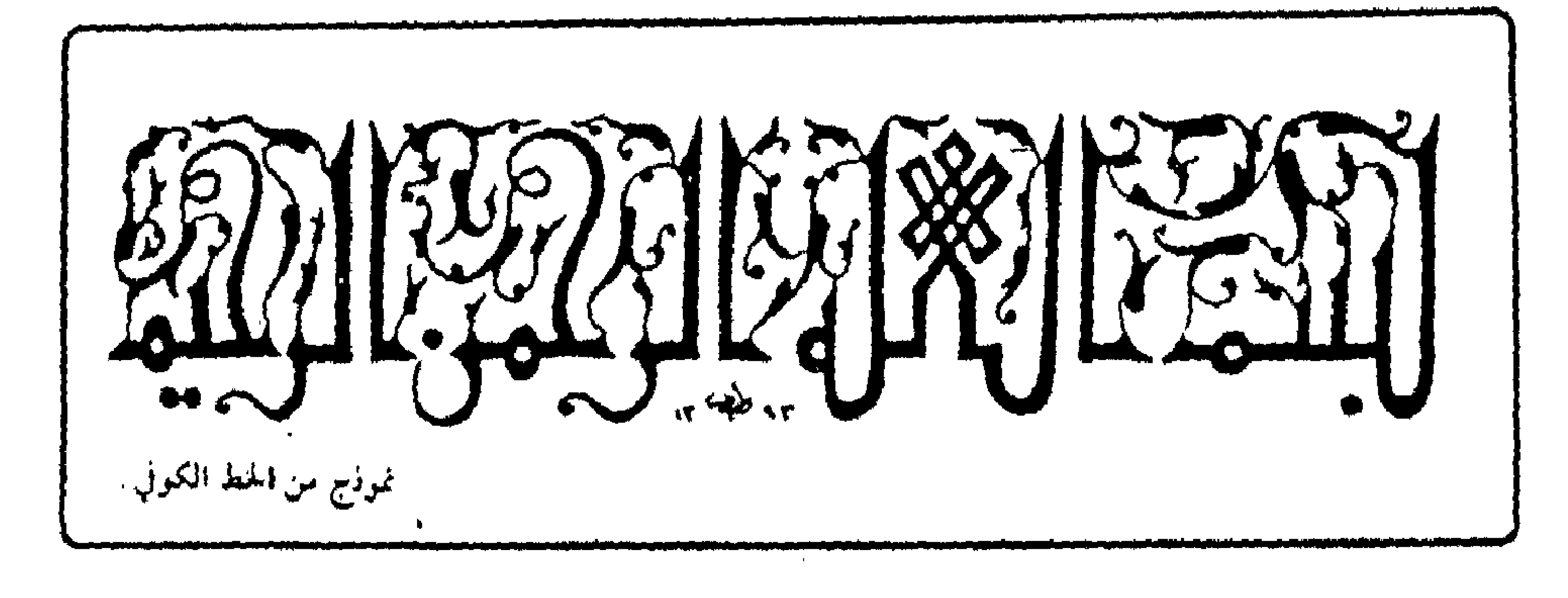
(الشكل رقم ٤٥)



نموذج من خط الرقعة

(الشكل رقم ٤٦)

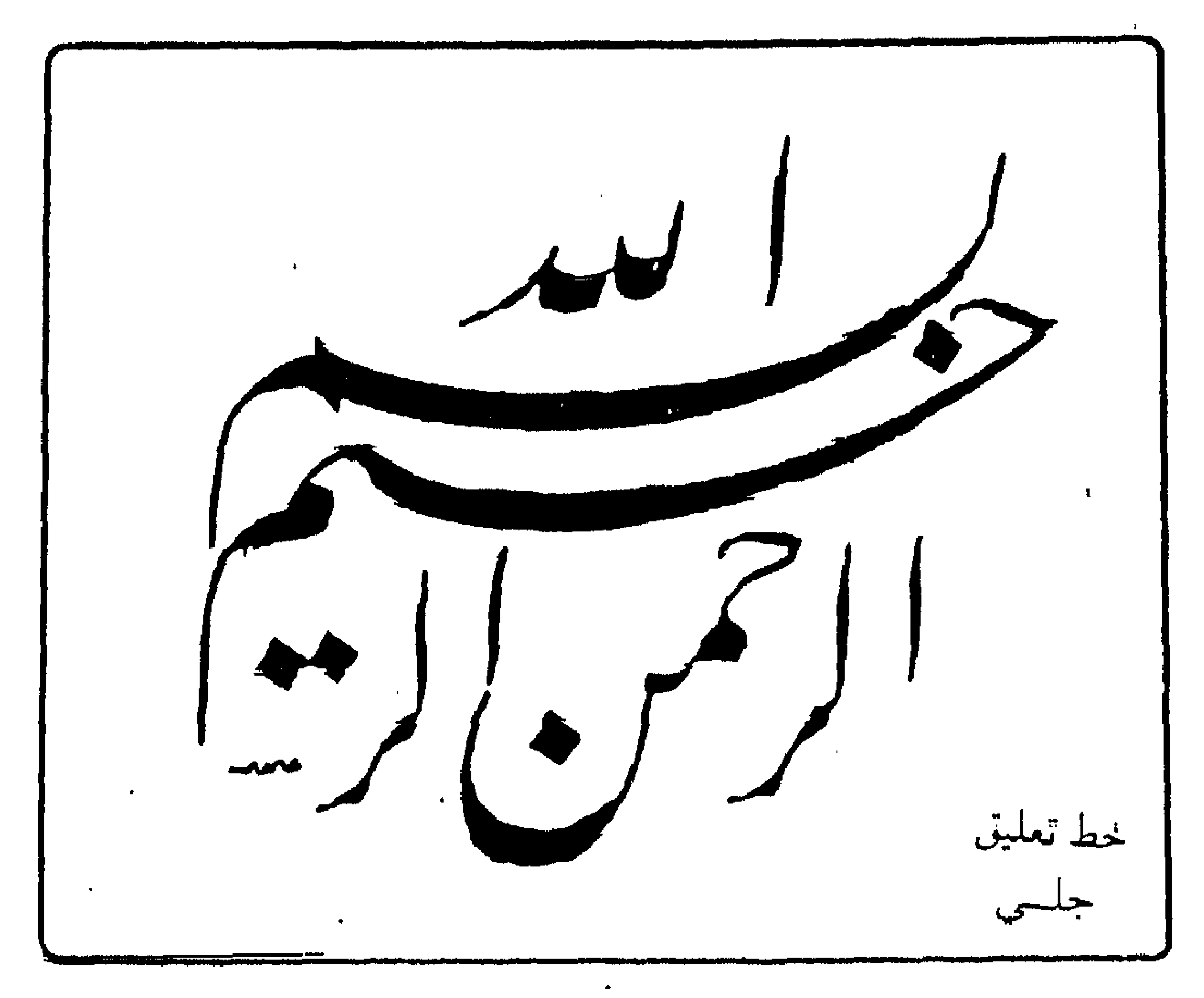
(الشكل رقم ٤٧) خط كوفي مزهر


نموذج من الخط الكوفي



بسملة بخط الثلث من جامع شهشلي باستانبول كتبها حامد الأمدي

(الشكل رقم ٤٨)



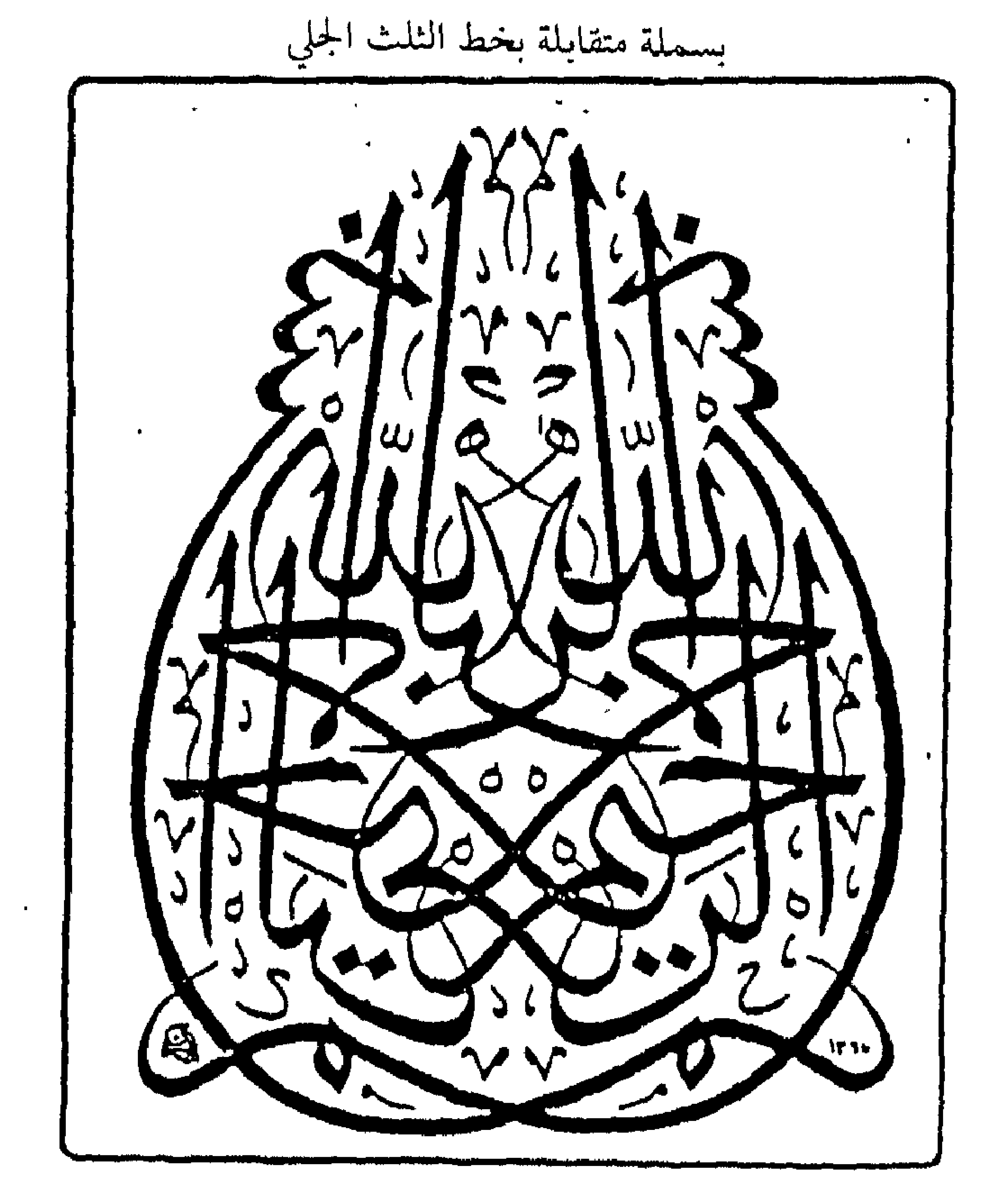
خط تعليق
جلـي

(الشكل رقم ٤٩)

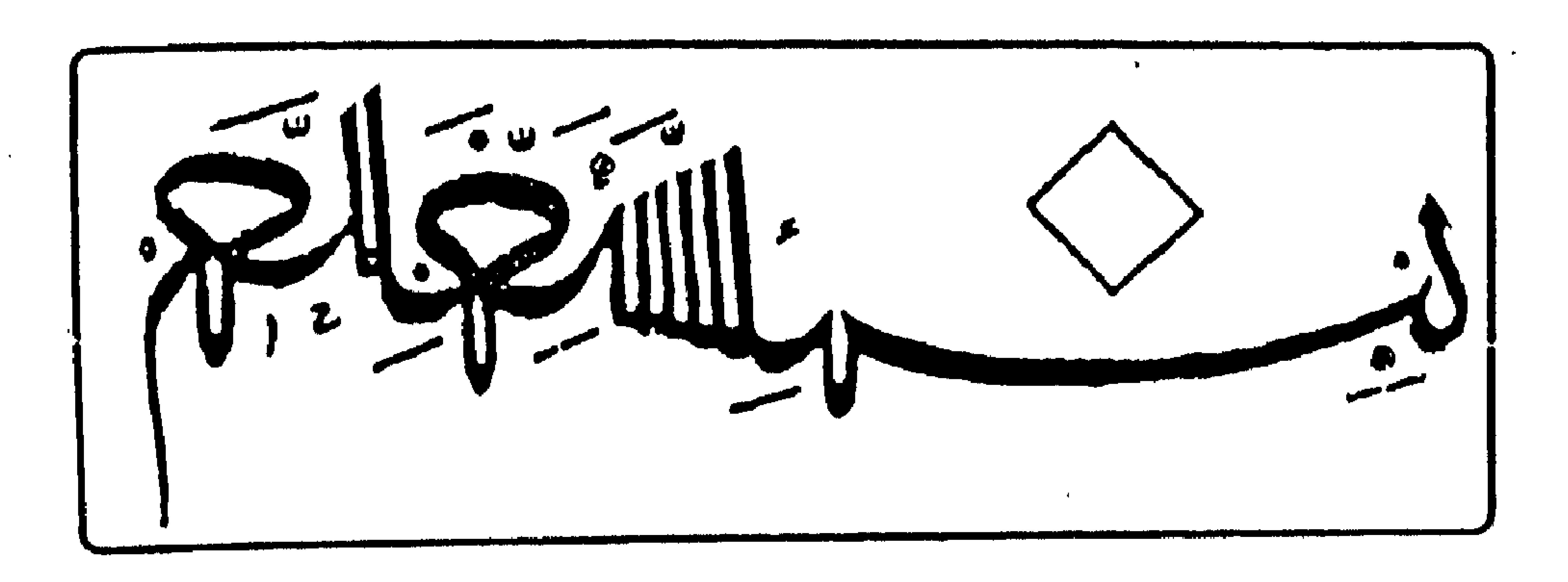


(الشكل رقم ٥٠)

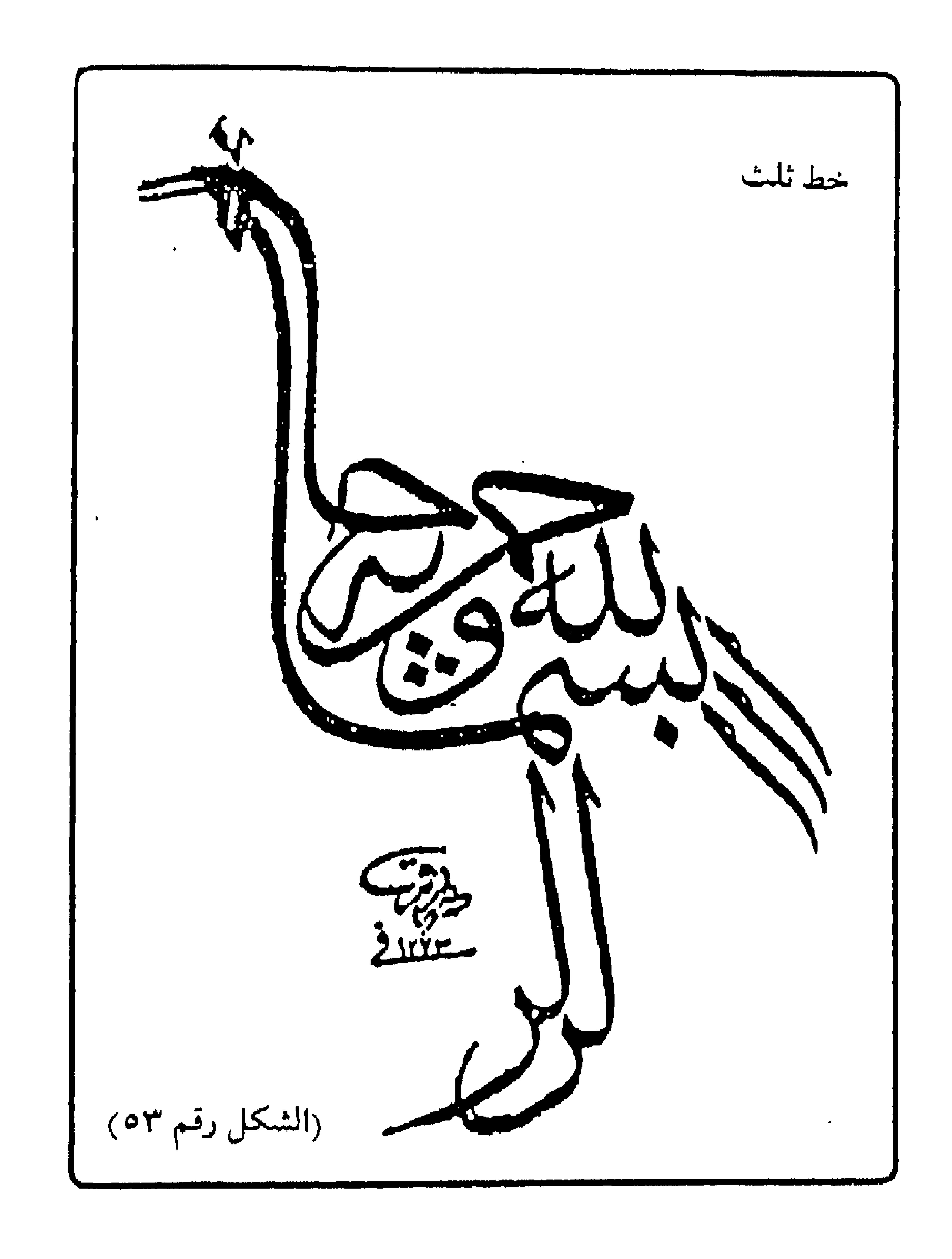
بسملة متقابلة بخط الثلث الجلي



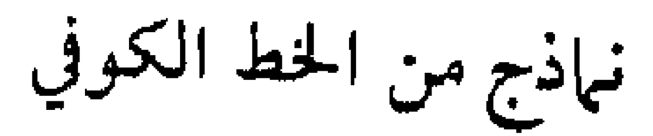
(الشكل رقم ٥١)

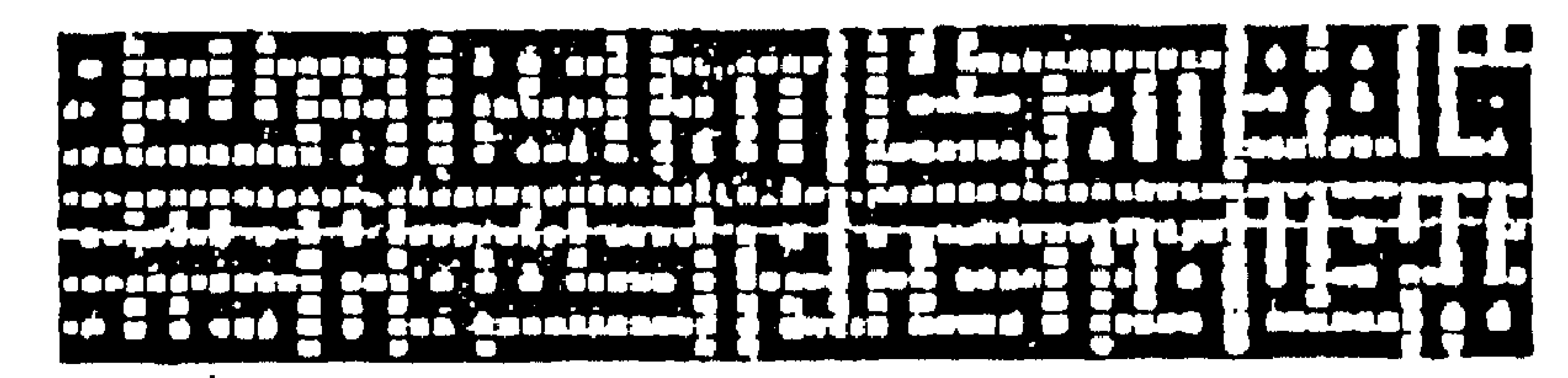


(الشكل رقم ٥٢)

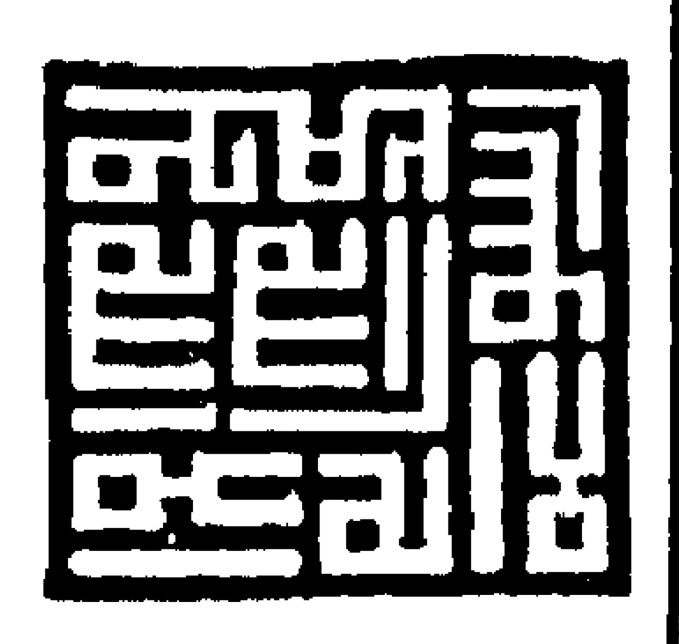


(الشكل رقم ٥٣)





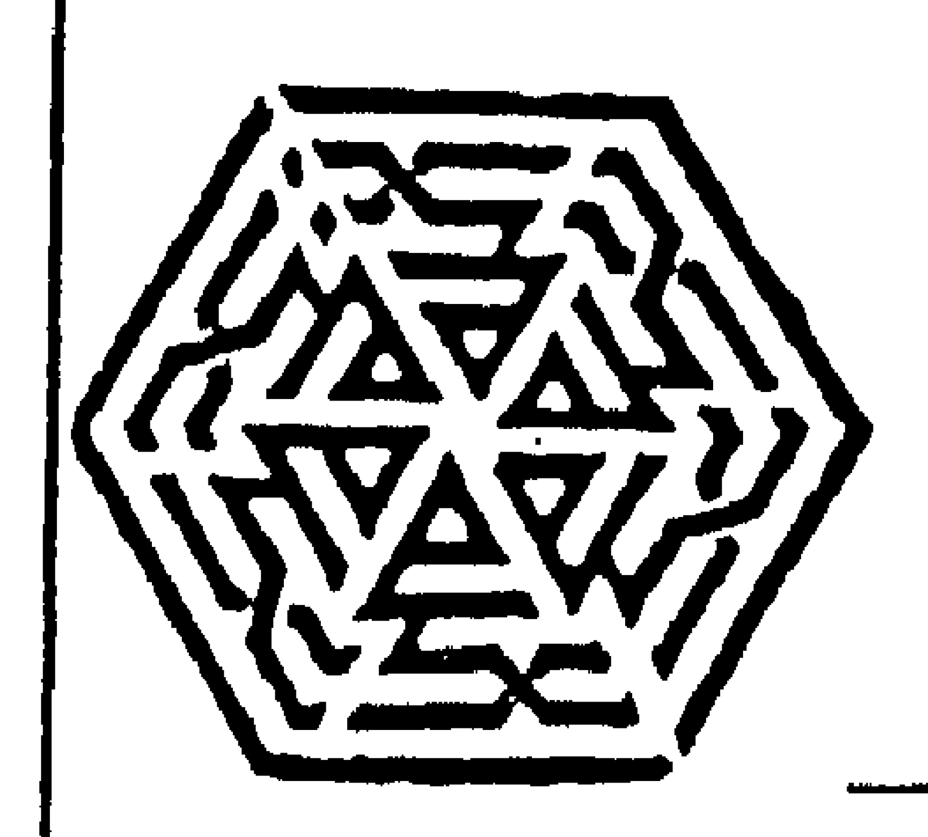
(الشكل رقم ٥٤)



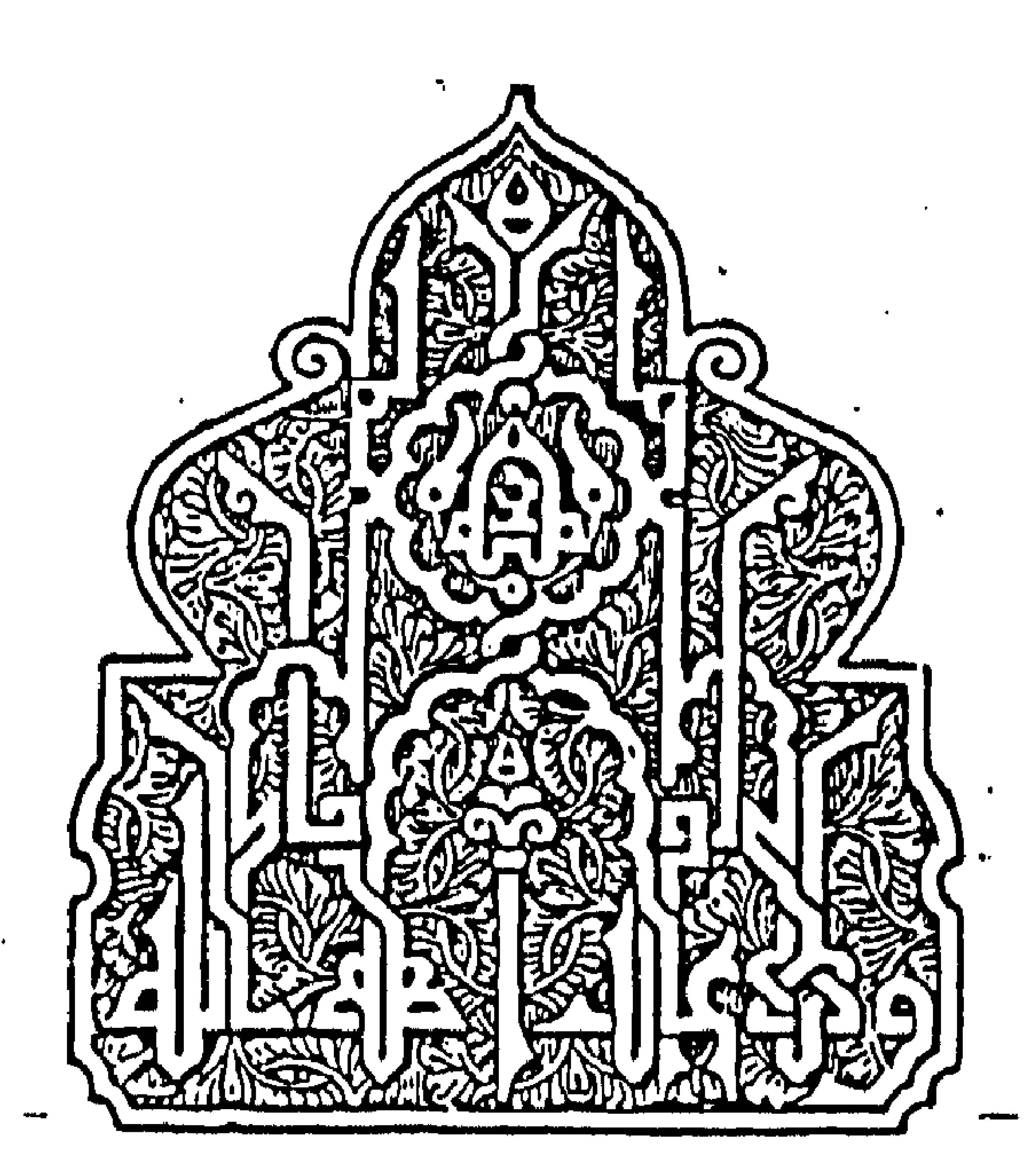
(الشكل رقم ٥٥)



(الشكل رقم ٥٦)



(الشكل رقم ٥٧)



(الشكل رقم ٥٨)



خط الطومار

(الشكل رقم ٥٩)

خط ثلث ونسخ
بقلم مقلـه

(الشكل رقم ٦٠)

خط ثلث

كتبه علي بن هلال حامداً
لله تعالى على نعمه ومصلياً
على نبيه محمد وآله وعترته ومسلماً

سنة ٤١٤

(الشكل رقم ٦١)

خط ثلث

ياقوت المستعصمي

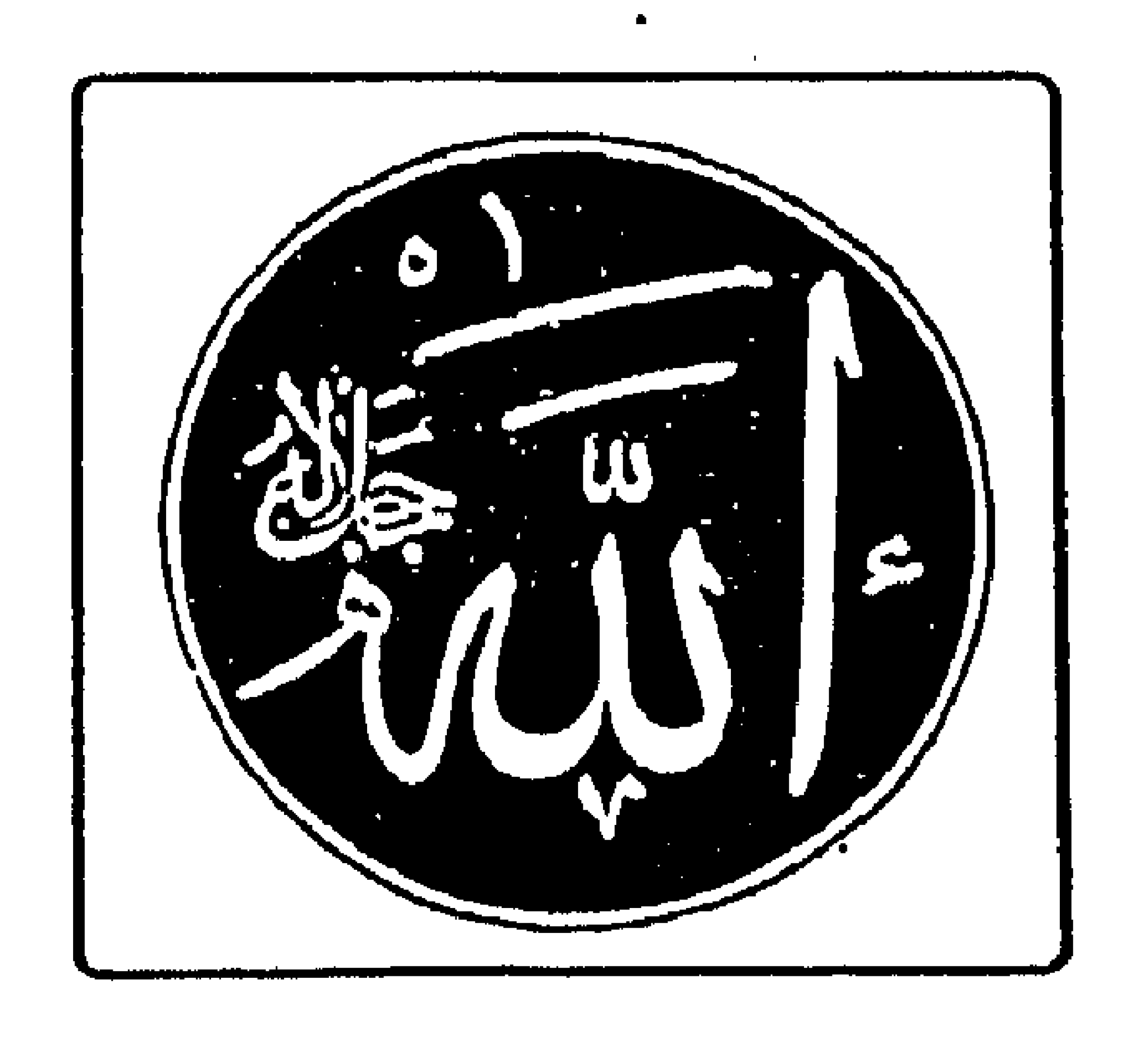
في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة والحمد لله
وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلامه

(الشكل رقم ٦٢)



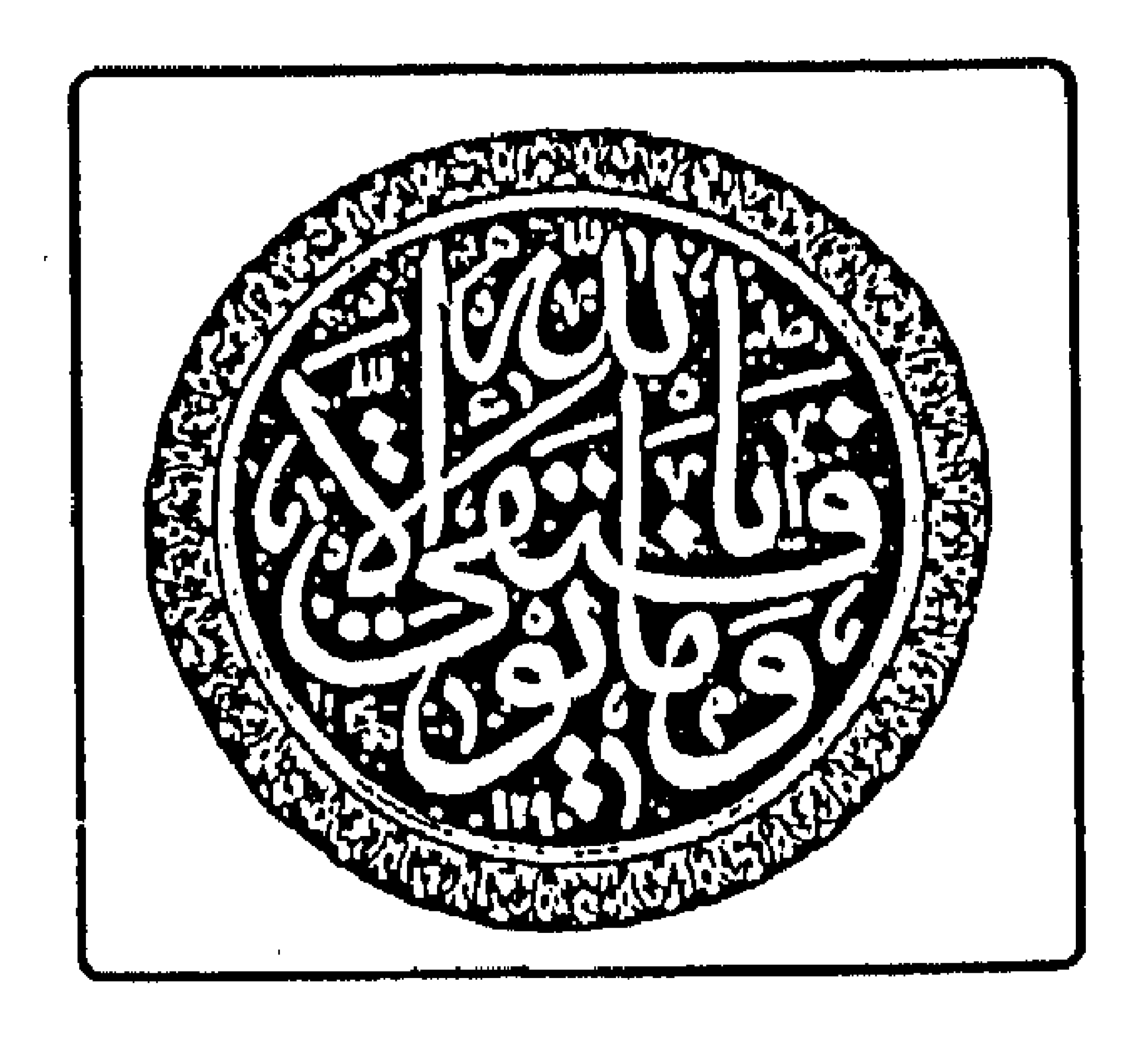
(الشكل رقم ٦٣)

(الشكل رقم ٦٤)

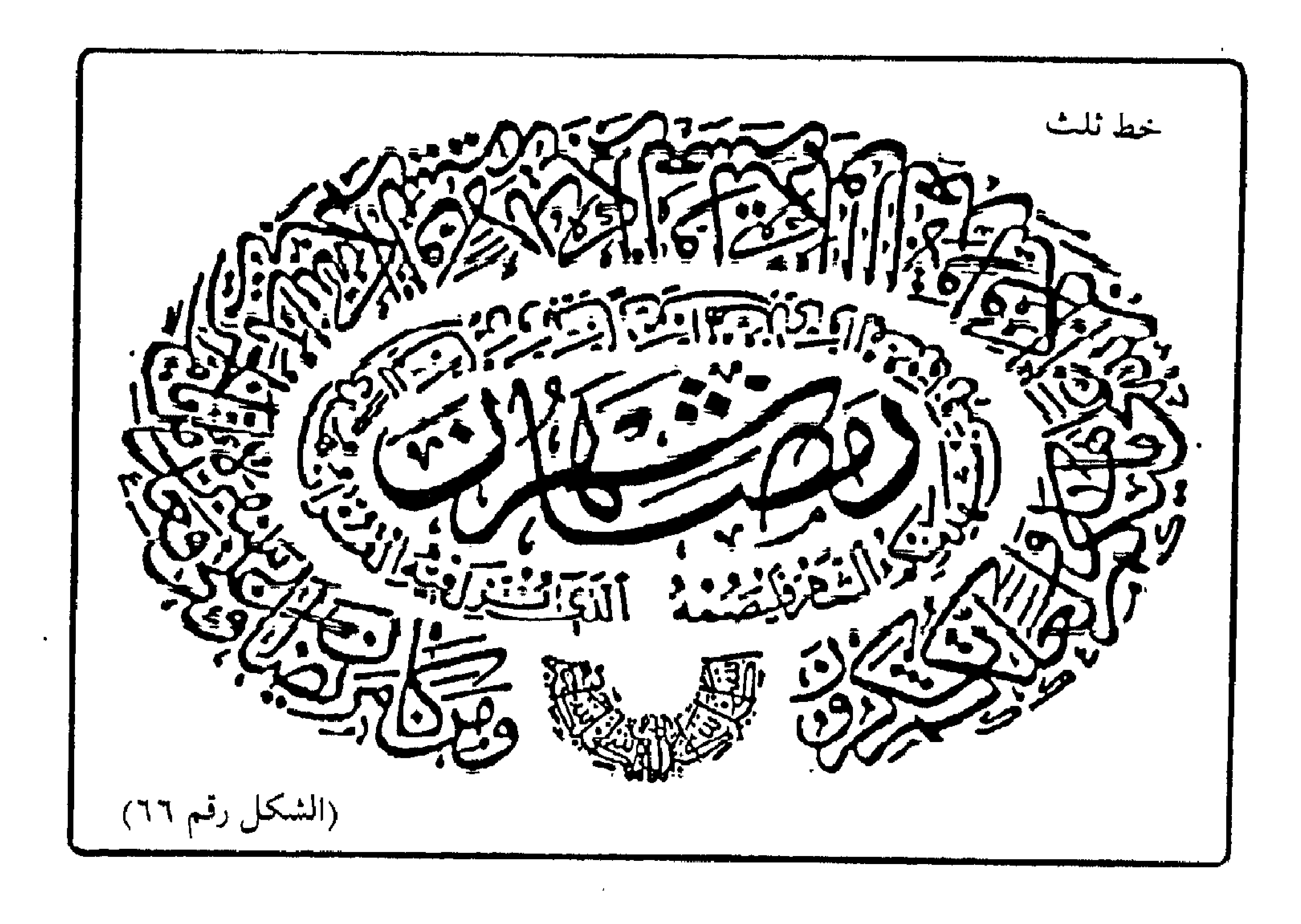


خط ثلث

(الشكل رقم ٦٥)



خط ثلث جلـــي



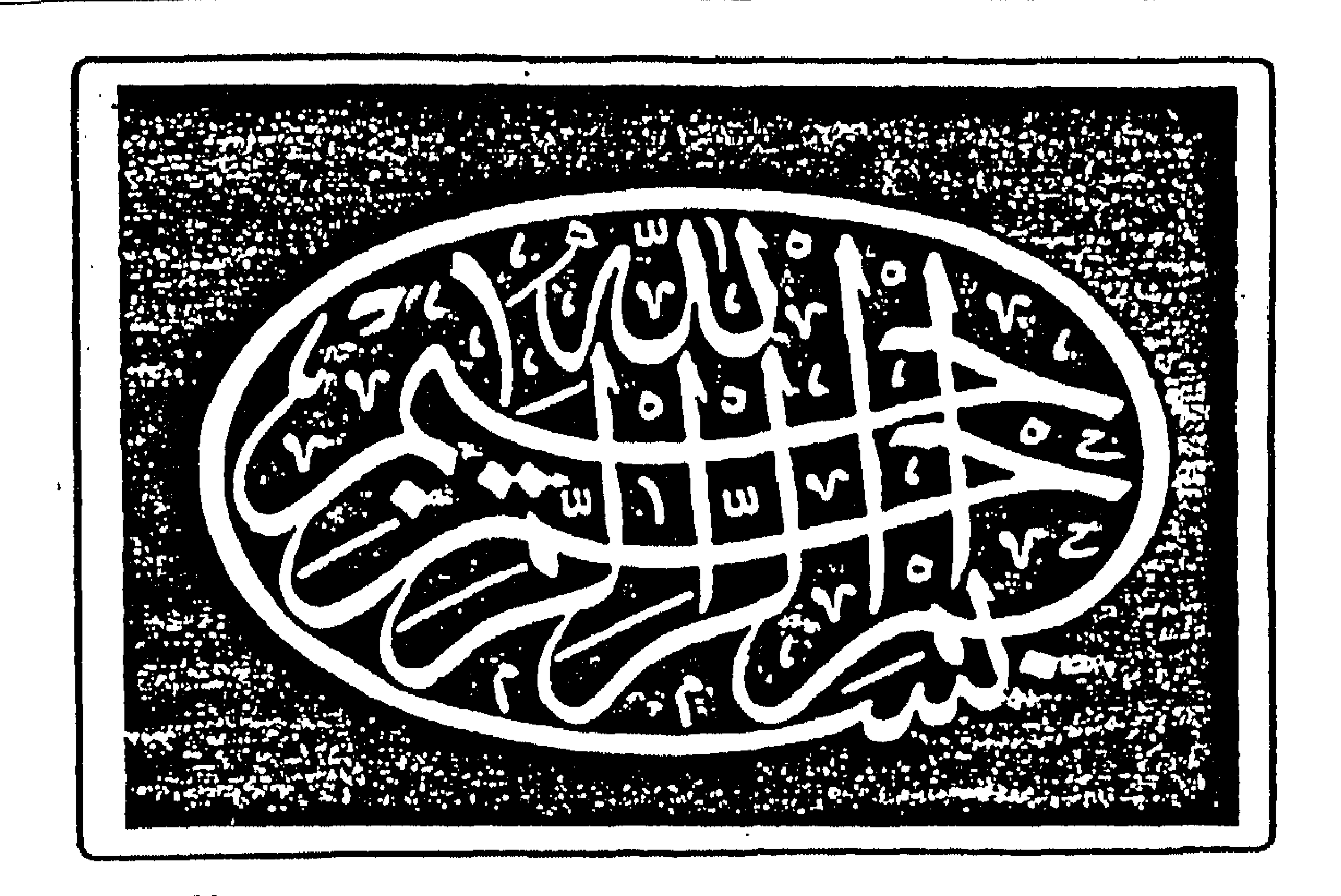
خط ثلث

(الشكل رقم ٦٦)

خط ثلث جلـــي

(الشكل رقم ٦٧)





بسملة بيضوية بخط الثلث

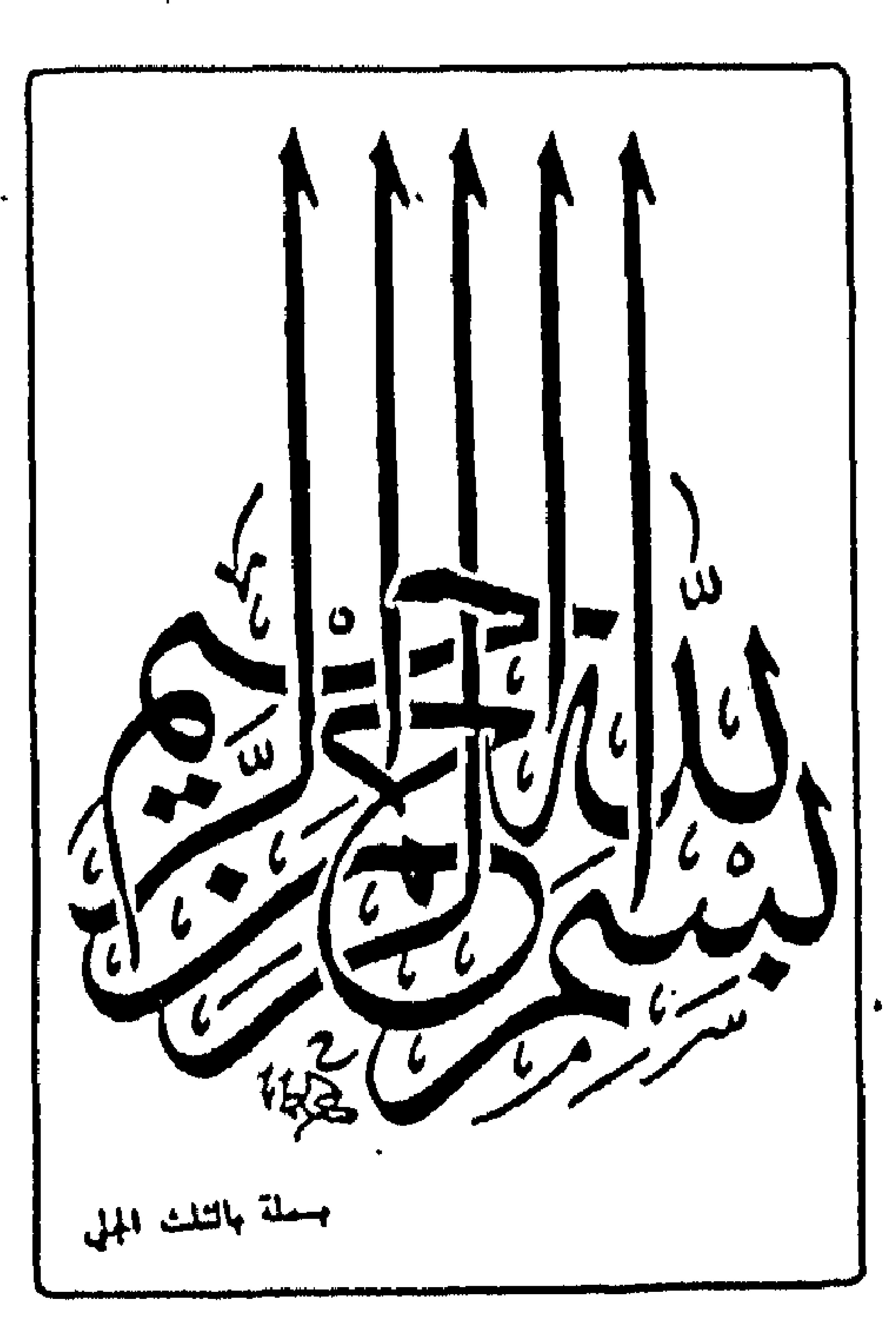
(الشكل رقم ٦٨)

(الشكل رقم ٦٩)



بسملة بالخط الثلثي الجلي

(الشكل رقم ٧٠)

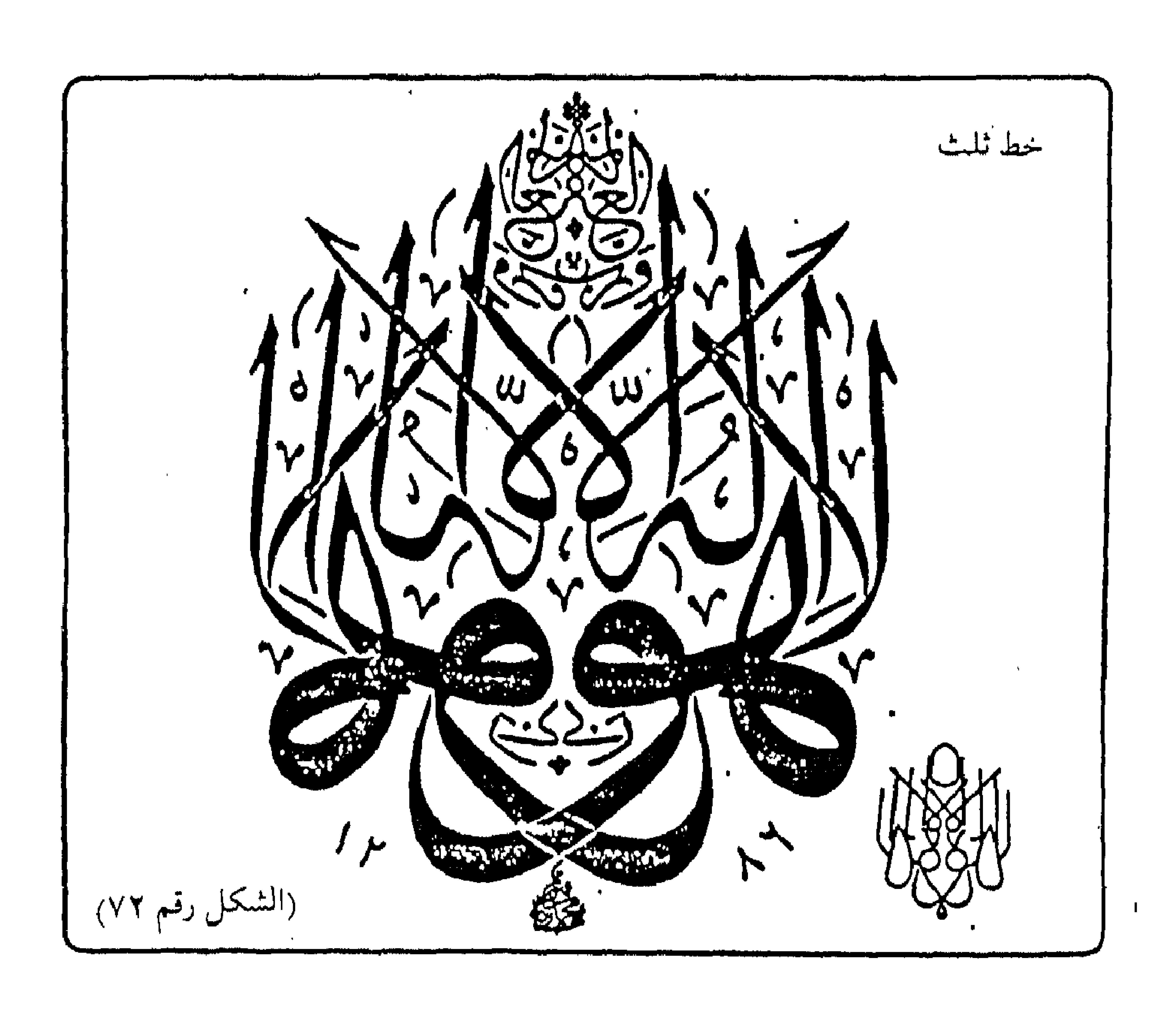


بسملة بالثلث الجلي



خط ثلث

(الشكل رقم ٧١)



خط ثلث

(الشكل رقم ٧٢)

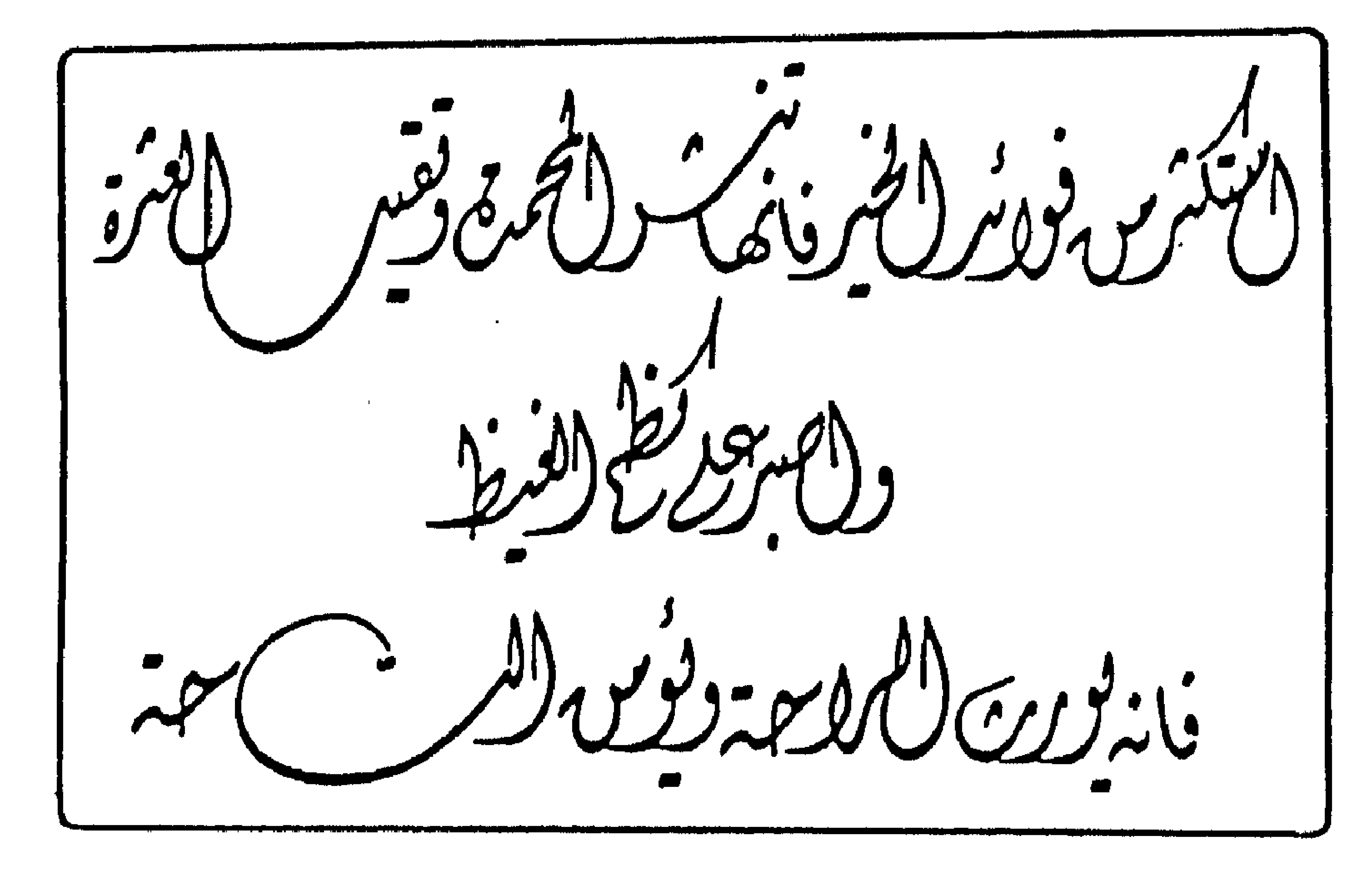
خط ثلث



(الشكل رقم ٧٣)

خط ديواني

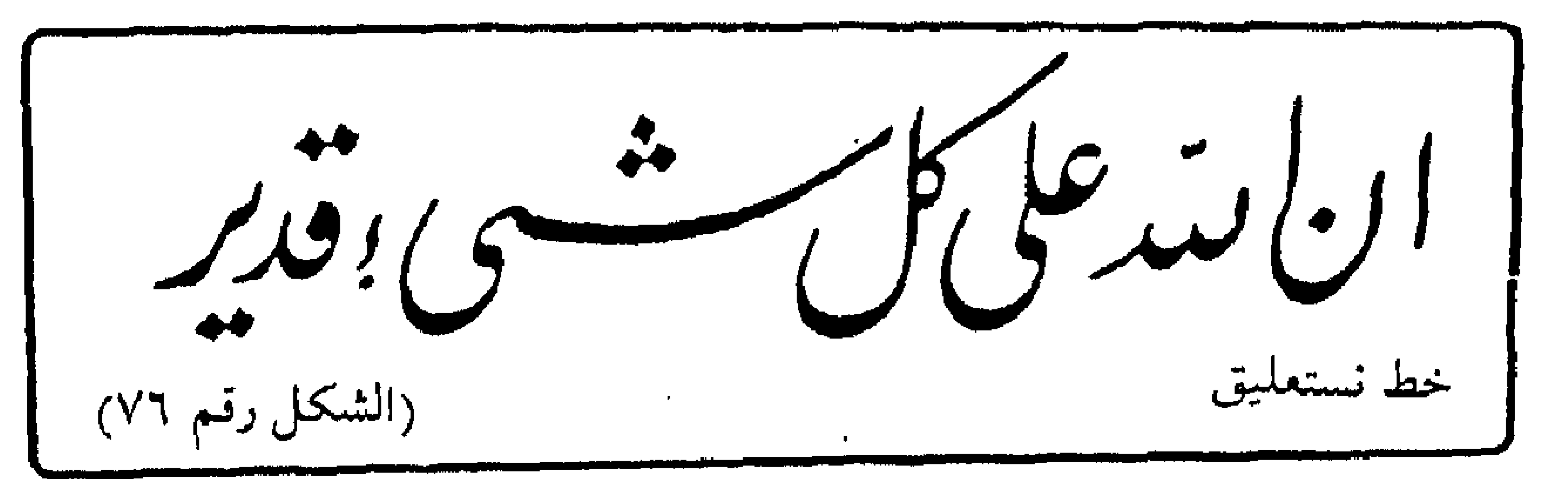
(الشكل رقم ٧٤)



خط نسخ وثلـث



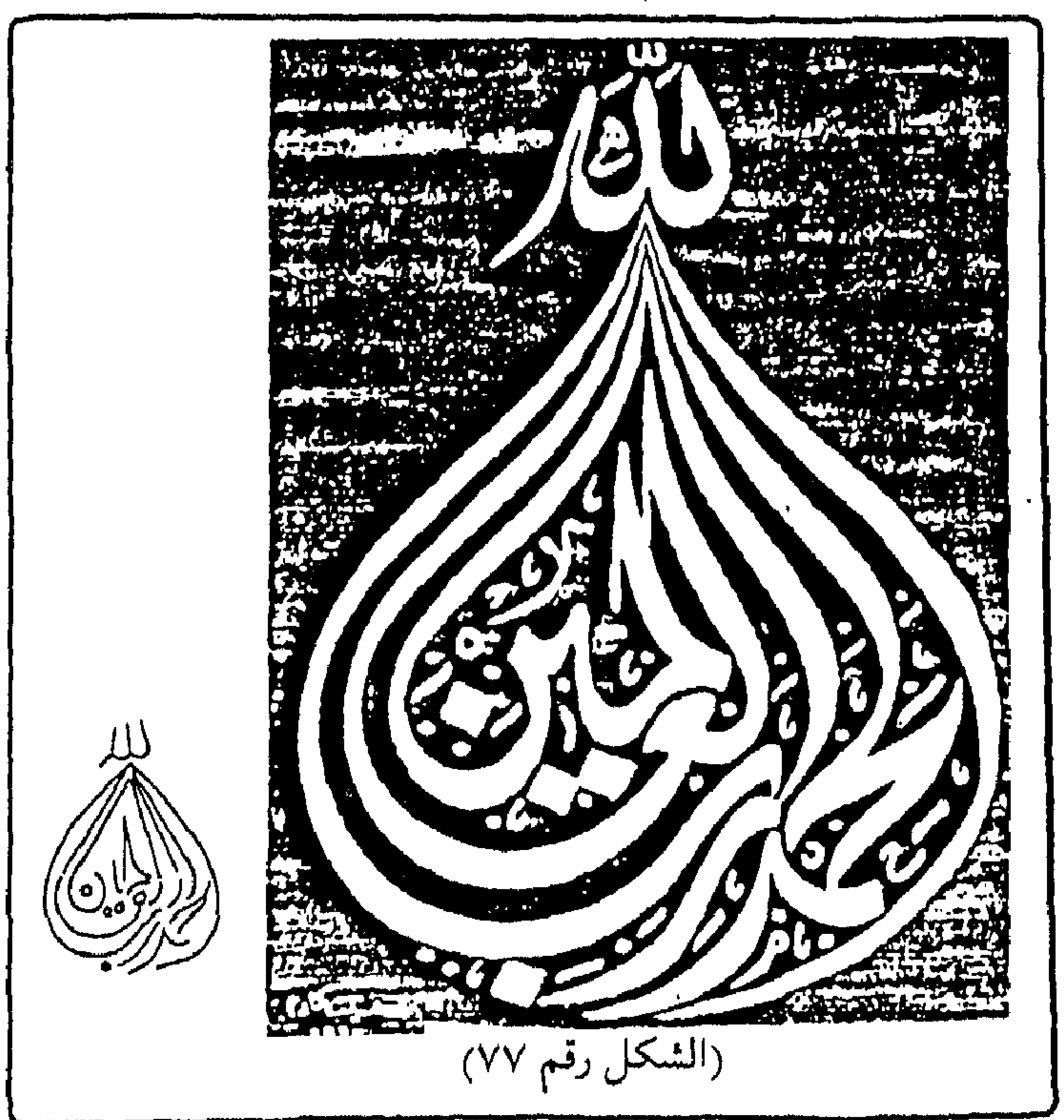
(الشكل رقم ٧٥)



خط نستعليق

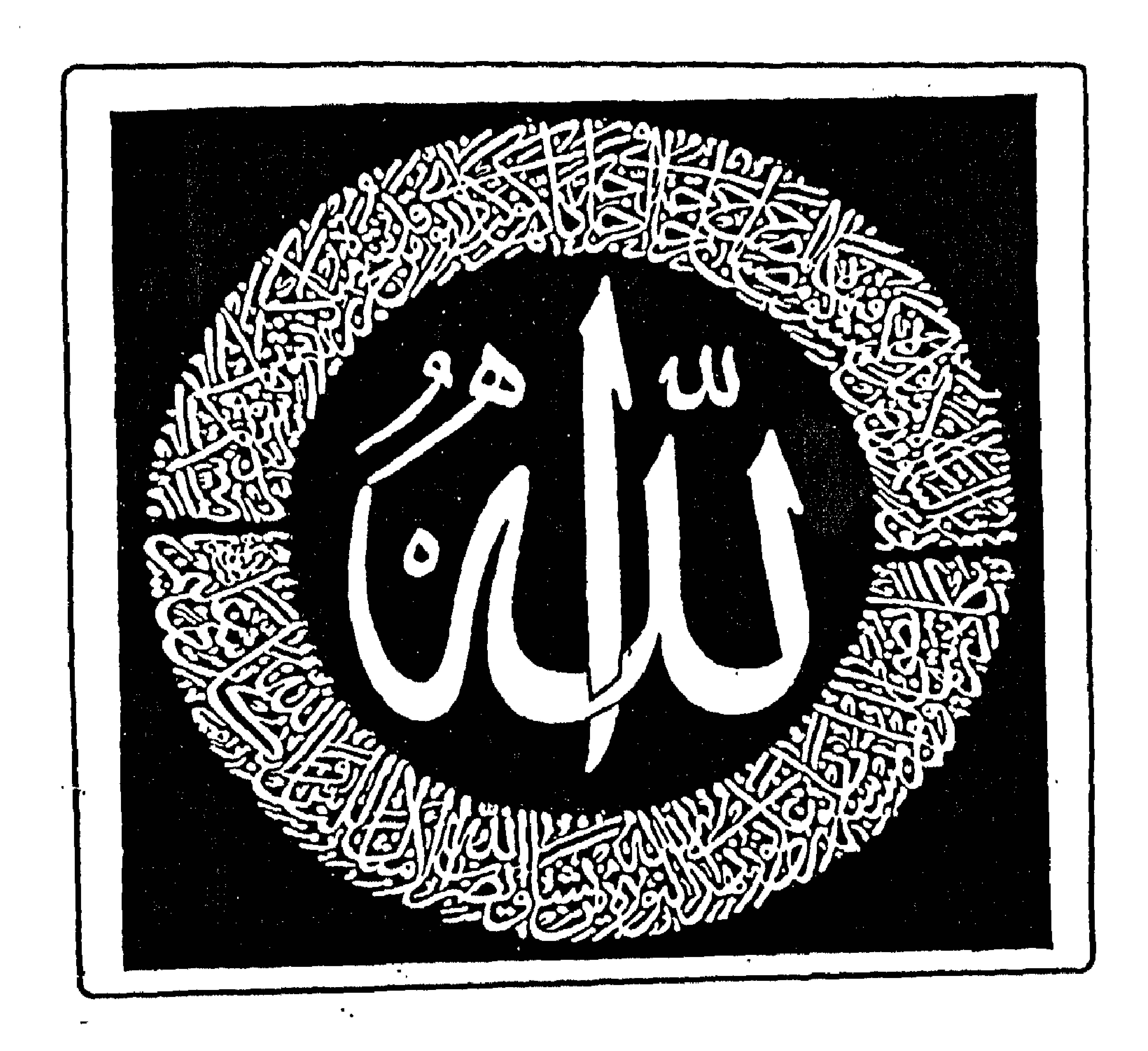
(الشكل رقم ٧٦)

خط ديواني



(الشكل رقم ٧٧)

خط ثلث



فهرس الأشكال
والنماذج واللوحات الخطية المختارة

رقم الشكل		رقم الصفحة
١	نقش نبطي وُجد في أم الجمال؛ يعود تاريخه لسنة ٢٥٠م.	١٨
٢	نقش النمارة في جبل الدروز من بلاد الشام؛ عُثِر عليه على قبر امرىء القيس؛ أحد ملوك لخم.	٢٠
٣	نقش حران في جبل الدروز؛ ويعود تاريخه لسنة ٥٦٨م.	٢٠
٤	النقش الثاني الذي عُثِر عليه في أُم الجمال؛ ويعود للقرن السادس الميلادي.	٢١
٥	نموذج للخط المغربي الذي تُكتب فيه الفاء بنقطة واحدة من أسفل، والقاف بواحدة من أعلى.	٤٦
٦	نموذج لقطعة من القرآن الكريم كُتبت بخط كوفي، منقوط بلونين؛ الأحمر للشكل، والأسود للإعجام.	٤٦
٧	نموذج للخط الكوفي القديم غير المنقوط.	٤٧
٨	نموذج للخط الكوفي المنقوط.	٤٨
٩	نموذج لخط كوفي زخرفي على شكل مربع؛ كُتب فيه لفظ (محمد) أربع مرات.	٤٨
١٠	نموذج لخط كوفي زخرفي يحتوي على لفظ الجلالة، واسم النبي ﷺ، واسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.	٤٨
١١	نموذج لخط كوفي دائري؛ كُررت فيه عبارة (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) أربع مـــرات	٤٩
١٢	نموذج لبسملة بالخط الكوفي المظفور.	٥٢
١٣	نموذج لبسملة بالخط الكوفي المورق.	٥٢
١٤	نموذجان بخط الرقعة.	٥٢
١٥	نموذج بالخط الديواني.	٥٤
١٦	نموذج بخط ديواني جاء على شكل زورق؛ فيه عبارة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم افتح علينا يا عليم).	٥٤

١٧ نموذج بخط الشكسته؛ كتب فيه (إن ربي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والبنين). ٥٥
١٨ نموذج لحروف وخط التعليق. ٥٦
١٩ نموذج آخر لخط التعليق. ٥٦
٢٠ نموذج لخط النستعليق. ٥٧

٢١ نموذج لبداية مخطوط. ٨٧
٢٢ نموذج يُبين إختلاف عدد سطور الصفحة الأولى للمخطوط عن باقي الصفحات الداخلية. ٩١
٢٣ نموذج يُبين إختلاف عدد سطور الصفحة الأخيرة للمخطوط عن الصفحات الداخلية. ٩٢
٢٤ نموذج يُبين شكل نهاية المخطوط. ٩٥
٢٥ نموذج لسماعٍ مدون في نهاية مخطوط. ٩٨
٢٦ نموذج لمُقابلةٍ في نهاية مخطوط. ٩٨
٢٧ نموذج لإجازةٍ في نهاية مخطوط. ٩٩
٢٨ نموذج لصورتين من صور الكواكب في النصف الجنوبي للكرة الأرضية؛ من كتاب عجائب المخلوقات للقزويني. ١٠١
٢٩ نموذج فيه صورة لطبيب مع رجل عنده؛ وهي من كتاب (فنون العالم العربي) ١٠٢

٣٠ نموذج للصور التي كان يُؤتي بها في الكتب القديمة. وفي الصورة يحاول الواسطي من خلال مقامات الحريري أن يصور قصاباً يعتر بعيراً بغرض ذبحه ١٠٢
٣١ نموذج يُبين ما حظيت به بعض المصاحف من الزخرفة البديعة؛ كما يُبين شكل فواصل الآيات، والتي جاءت على شكل دوائر مزخرفة. ١٠٤
٣٢ نموذج لصفحة من القرآن الكريم تُبين فواصل الآيات؛ والتي جاءت على شكل مربعات مزخرفة وملونة. ١٠٥
٣٣ نموذج لصفحة من القرآن الكريم وفيه علامة التعشير التي جاءت على شكلٍ كمثرى. ١٠٦
٣٤ نماذج من الوان الورق المستخدم في ترميم المخطوطات. ١٢٤
٣٥ نموذجان لصفحة من مخطوط مُصاب برطوبة وآفات؛ نتج عنها ظهور بقع كيمائية ترابية غطت النص وأخفت معظم معالمه؛ تُبين الأولى أثر الإصابة، كما تبين الثانية تغير حالة نفس الصفحة بعد المعالجة. ١٢٥
٣٦ نموذج آخر لصفحة من مخطوط مصاب بتحجر نصفه الأسفل؛ تُبين الصورة الأولى أثر الإصابة؛ كما تبين الثانية تغير حال الصفحة نفسها بعد فك الأوراق الملتصقة وإزالة البقع العضوية الترابية. ١٢٧

٣٧	نموذج لبطاقة فهرسة المخطوط؛ مطبقة في إحدى المؤسسات التعليمية بالرياض	١٣٩
٣٨	نموذج آخر لبطاقة فهرسة المخطوط؛ مطبقة في إحدى المؤسسات البحثية بالرياض.	١٤٠، ١٤١
٣٩	نموذج لصفحة من فهرس من الفهارس المختصرة للمخطوطات.	١٥٢
٤٠	نموذج لصفحة من فهرس من الفهارس الشاملة للمخطوطات.	١٥٤
٤١	نموذج للخط الديواني.	١٧٧
٤٢	نموذج للخط الديواني الجلي.	١٧٧
٤٣	نموذج لخط الرقعة.	١٧٨
٤٤	نموذج لخط النسخ بقلم بن البواب.	١٧٨
٤٥	نموذج بسملة بخط النسخ.	١٧٩
٤٦	نموذج بسملة بخط الرقعة.	١٧٩
٤٧	نموذج بسملة بخط كوفي مزهر.	١٧٩
٤٨	نموذج بسملة متراكبة الكلمات؛ كتبها حامد الآمدي.	١٨٠
٤٩	نموذج بسملة بخط التعليق الجلي؛ كتبها الخطاط عبد القادر.	١٨٠
٥٠	نموذج بسملة بالخط الديواني الجلي؛ كتبها الخطاط حليم.	١٨١
٥١	نموذج بسملة متقابلة بخط الثلث الجلي؛ كُتبت على هيئة كمثرى.	١٨١
٥٢	نموذج بسملة بخط المسلسل.	١٨٢
٥٣	نموذج بسملة بخط الثلث؛ على هيئة طائر؛ كتبها الخطاط راقم سنة ١٢٢٣هـ	١٨٢
٥٤	لوحة تربيعية بالخط الكوفي (سورة الإخلاص)	١٨٣
٥٥	لوحة بالخط الكوفي، مربعة الشكل كتب فيها (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله).	١٨٣
٥٦	لوحة بالخط الكوفي دائرية الشكل، كُتب فيها (رأس الحكمة مخافة الله).	١٨٣
٥٧	لوحة بالخط الكوفي سداسية الشكل، كُتب فيها لفظ الجلالة مكرراً ست مرات.	١٨٣
٥٨	لوحة بالخط الكوفي المتشابك على هيئة قبة مزخرفة؛ كُتب فيها نص (ولا غالب إلاّ الله).	١٨٣
٥٩	نموذج بخط الطومار على طريقة بن البواب؛ نصه (قلم الطومار طريقة الأستاذ علي بن هلال. إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم)	١٨٤
٦٠	نموذج من خط الوزير بن مقلة؛ كُتب بخطي النسخ والثلث.	١٨٤
٦١	نموذج بخط الثلث بقلم بن البواب؛ مؤرخ سنة ٤١٤هـ.	١٨٥
٦٢	نموذج بخط الثلث بقلم ياقوت المستعصمي؛ مؤرخ سنة ٦٨٢هـ.	١٨٥
٦٣	نموذج آخر بخط ياقوت المستعصمي؛ مؤرخ سنة ٦٨١هـ.	١٨٦

٦٤ نموذج بخط الثلث؛ فيه عبارة (الله جل جلاله). ١٨٦

٦٥ نموذج زخرفي؛ نصه (وماتوفيقي إلاّ بالله)؛ كُتب بخط الثلث الجلي، على شكل دائرة. ١٨٦

٦٦ نموذج كتابة زخرفية جاءت على شكل بيضة بخط الثلث؛ تتضمن النص التالي: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيناتٍ من الهُدى والفرقان؛ فمن شهد منكم الشهر فليصمه؛ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر؛ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العُسر؛ ولِتُكملوا العدة، ولِتُكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون». كما يتضمن النص أيضا لفظ (الله أكبر) مكرراً أربع مرات، ومكتوبا على شكل نصف دائرة. ١٨٧

٦٧ نموذج بخط الثلث الجلي؛ يتضمن عبارة (ولسوف يعطيك ربك فترضى). ١٨٧

٦٨ نموذج بسملة بيضوية الشكل بخط الثلث. ١٨٨

٦٩ نموذج بسملة متراكبة بخط الثلث الجلي. ١٨٨

٧٠ نموذج آخر لبسملة متراكبة بخط الثلث الجلي. ١٨٨

٧١ نموذج بخط الثلث للخطاط التركي مصطفى راقم؛ وكتب في النص (لا إله إلاّ هو الله ربي ورب العالمين؛ محمد نبي صلى الله عليه وسلم). ١٨٩

٧٢ نموذج للوحة رائعة بخط الثلث؛ كتبها بشكل متناظر الخطاط محمد شفيق؛ نصها (لا إله إلاّ هو ربي ورب العالمين). ١٨٩

٧٣ نموذج يتضمن آية الكرسي؛ كُتبت بخط الثلث. ١٩٠

٧٤ نموذج بالخط الديواني؛ يتضمن النص هذه الحكمة (إستكثر من فوائد الخير فإنها تنشر المحمدة، وتقيك العثرة؛ واصبر على كظم الغيظ فإنه يورث الراحة، ويؤمن الساحة). ١٩٠

٧٥ نموذج بخطي النسخ والثلث؛ فيه الآية الكريمة: (ومامن دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها). ١٩١

٧٦ نموذج بخط النستعليق؛ فيه نص قرآني (إن الله على كل شيء قدير). ١٩١

٧٧ نموذج بالخط الديواني فيه (الحمد لله رب العالمين). ١٩١

٧٨ نموذج بخط الثلث؛ يتضمن آية النور (الله نور السموات. . .) للخطاط أديب نشابة ١٩٢

المراجع العربية

١ ــ الأسد، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي. ط٣. القاهرة: دار المعارف؛ ١٩٦٦م.

٢ ــ الأعظمي، وليد. تراجم خطاطي بغداد المعاصرين. بغداد: مكتبة النهضة؛ ١٩٧٧م.

٣ ــ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحق/ عطية عامر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية؛ ١٩٦٦م.

٤ ــ البابا، كامل. روح الخط العربي. ط ٢. بيروت ـ لبنان: دار العلم للملايين؛ ١٩٨٨م.

٥ ــ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. القاهرة: م٤. بولاق؛ ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ.

٦ ــ البعلبكي، منير. المورد (قاموس إنجليزي ـ عربي). ط٢٢. بيروت: دار العلم للملايين؛ ١٩٨٨.

٧ ــ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. كتاب فتوح البلدان. تحق/ صلاح الدين المنجِّد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٥٦م.

٨ ــ بنبين، أحمد شوقي. «التعقيبة في المخطوط العربي». مجلة عالم الكتب. مج ١٤، ع٥؛ (الربيعان ١٤١٤هـ/ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٣م).

٩ ــ بنبين، أحمد شوقي. دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي. الرباط: كلية الآداب؛ ١٩٩٣م.

١٠ ــ الجبوري، تركي عطية. الخط العربي الإسلامي. بيروت: دار التراث الإسلامي؛ ١٩٧٥م.

١١ ــ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إستانبول: وكالة المعارف؛ ١٩٤١ ـ ١٩٤٣م.

١٢ ــ حسب الله، سيد، ومحمد جلال غندور. تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية. الرياض: دار المريخ للنشر؛ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣ ــ الحلوجي، عبد الستار. المخطوط العربي. ط٢. جدة: مكتبة مصباح؛ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤ ــ حماده، محمـد ماهر. الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً. الرياض: دار العلوم؛ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٥ ــ حماده، محمـد ماهر. المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. ط٥. بيروت: مؤسسة الرسالة؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
١٦ ــ حموده، محمود عباس. تاريخ الكتاب الإسلامي. القاهرة: مكتبة غريب. (لا. ت).
١٧ ــ حموده، محمـود عبـاس. دراسـات في علم الكتـابـة العـربية. القاهرة: مكتبة غريب؛ (لا. ت).
١٨ ــ خان، مجيد. نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية. ترجمة/ عبد الرحمن علي الزهراني. الرياض: وزارة المعارف ـ الإدارة العامة للآثار والمتاحف؛ ١٤١٣هـ.
١٩ ــ الخـطيب البغـدادي، أبـوبكـر أحمـد بن علي. تاريخ بغداد. القاهرة: مكتبة الخانجي؛ ١٩٣١م.
٢٠ ــ إبن خلدون، عبـد الـرحمن. كتـاب العـبر وديوان المبتدأ والخبر. القاهرة: دار الطباعة الخديوية. ١٩٧١م.
٢١ ــ إبن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد. وفيات الأعيان. بيروت: دار صادر؛ ١٩٧٢م.

٢٢ ــ دال، سفند. تاريخ ا لكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر. ترجمة/ محمد صلاح الدين حلمي. القاهرة: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع؛ ١٩٨٥م.
٢٣ ــ الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر. الفائق في غريب الحديث. تحق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية؛ ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨م.
٢٤ ــ الـزيات، أحمـد جسن. تاريخ الأدب العربي. ط ٢٣. القاهرة: مكتبة نهضة مصر بالفجالة (لا. ت).
٢٥ ــ الزيات، حبيب. «صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام». مجلة المشرق؛ مج ٤٨؛ ١٩٥٤م.
٢٦ ــ زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي. القاهرة: دار الهلال؛ ١٩٥٨م.
٢٧ ــ الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد. مجلة عالم المخطوطات والنوادر. مج ١، ع ١؛ المحرم ـ جمادي الآخرة ١٤١٧هـ/ يوليه ـ ديسمبر ١٩٩٦م.

٢٨ ـ السامرائي، قاسم أحمد. «تاريخ الخط العربي وأرقامه». مجلة عالم الكتب. مج ١٦، ع٦؛ الجماديان ١٤١٦هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٥م.
٢٩ ـ إبن سعـد، محمـد بن سعـد. الطبقات الكبرى. لايدن: إدوارد سخو؛ مط. برايل؛ ١٣٢١ ـ ١٢٣٩هـ.
٣٠ ـ السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر. الأنساب. لايدن: مط. برايل؛ ١٩١٢م.
٣١ ـ السيد سابق، فقه السنة. ط٨. بيروت: دار الكتاب العربي؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٢ ـ السيد يوسف، مصطفى مصطفى. العلم وصيانة المخطوطات. جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع؛ ١٤٩٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣٣ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. القاهرة: المطبعة الخيرية؛ ١٣٠٧هـ.
٣٤ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. القاهرة: مط. إدارة الوطن؛ ١٢٩٩هـ.
٣٥ ـ الشامي، أحمـد محمـد، وسيد حسب الله. المعجم الموسـوعي لمصـطلحـات المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ للنشر؛ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٦ ـ الشريف، عبـد الله. مدخـل إلى علم المكتبات والمعلومات. طرابلس ـ ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان؛ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٧ ـ الشيباني، محمد إبراهيم. المخطوطات العربية في العالم وأماكن وجودها. ط١؛ الكويت: دار الهداية؛ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٨ ـ ضمره، إبراهيم. الخط العربي: جذوره وتطوره. ط٢؛ الزرقاء ـ الأردن: مكتبة المنار؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٩ ـ العبـاسي، يحيى سلوم. الخط العـربي: تاريخـه وأنواعه. ط١؛ بغداد: مكتبة النهضة؛ ١٩٨٤م.
٤٠ ـ إبن عبـد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد. العقد الفريد. تحق/ أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. ط٢؛ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ١٩٤٨م.
٤١ ـ عسيلان، عبد الله عبد الرحيم. تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٢ ـ عواد، كوركيس. فهـارس المخـطوطـات العـربية في العـالم. الكويت: معهد المخطوطات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والفنون؛ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٤٣ ـ فتوحي، ميري عبودي. فهرسة المخطوط العربي. بغداد: دار الرشيد؛ ١٩٨٠م.
٤٤ ـ القحطاني، راشد بن سعد بن راشد. خدمات المخطوطات العربية في مكتبات مدينة الرياض. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٥ ـ القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي؛ ١٩٦٥م.
٤٦ ـ القلقشنـدي، أحمـد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٧ ـ كحاله، عمر رضا. معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. دمشق: مط. الترقي؛ ١٩٥٧م.
٤٨ ـ الكـردي، محمد طاهر. تاريخ الخط العربي وآدابه. ط ٢؛ الرياض: الجمعية السعودية للثقافة والفنون؛ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٩ ـ مركـز الملك فيصـل للبحـوث والدراسات الإسلامية. الخط العربي من خلال المخطوطات. الرياض؛ ١٤٠٦هـ.
٥٠ ـ المسعـودي، أبـو الحسن علي بن الحسين. التنبيه والإشراف. القاهرة: المكتبة العصرية؛ ١٩٣٨م.
٥١ ـ ــــــــ. مروج الذهب ومعادن الجوهر. باريس: ١٨٦١ ـ ١٨٧٧م.
٥٢ ـ المشـوخي، عابـد سليمان. أنـماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٥٣ ـ المنجد، صلاح الدين. قواعد تحقيق المخطوطات العربية. ط٤؛ بيروت: دار الكتاب الجديد؛ ١٩٧٠م.
٥٤ ـ ــــــــ. قواعـد فهـرسـة المخطوطات العربية. ط٢؛ دار الكتاب الجديد؛ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٥٥ ـ إبن منـظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر؛ ١٩٥٦م ـ ١٣٧٥هـ.
٥٦ ـ النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق. كتاب الفهرست. ط٣؛ تحق/ رضا تجدد. بيروت: دار المسيرة؛ ١٩٨٨م.

٥٧ ــ النملة، علي بن إبراهيم. مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥٨ ــ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. رياض الصالحين. ط١؛ تحق/ عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دمشق: دار المأمون للتراث؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥٩ ــ النويري، شهاب الدين أحمد. نهاية الأرب في فنون الأدب. ط٢؛ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٣٩م.
٦١ ــ يعقوب، إميل. الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه. لبنان: جروس برس؛ ١٩٨٦م.
٦٢ ــ يوسف، أرشيد. الكتاب الإسلامي المخطوط تدويناً وتحقيقاً. الأردن: مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية؛ (لا. ت).

المراجع الأجنبيــة :

1. Collier's Dictionary. N.Y.: Macmillan Educational Co. 1986.
2. Duckett, K.W. Modern Manuscripts. Nashville, Tennessee: American Association for State and Local History. 1975.
3. The Random House Thesaurus. College Edition. Ed. by Jess Stein and S.B. Flexner. Random House Inc. 1984

هذا كتاب دراسي، يخدم مقرر المخطوط العربي على المستوى الجامعي، بالدرجة الاولى. لكنة من ناحية اخرى، يُعتبر كتاباً مهماً للقاريء العام والمتخصص في موضوعه، وذلك لشمول مادتة التي تتميز بالتركيز العلمي.

ويحتوي الكتاب على أربعة أبواب رئيسة، تفرع عنها أربعة عشر فصلاً، أحاطت بقضايا المخطوط العربي، حيث نجد في الباب الأول بفصولة الأربعة، موضوع الكتابة؛ نشاتها وتطورها، وادواتها التي يُكتب عليها، والتي تكتب بها، ثم الإصلاحات التي طرأت على الكتابة، وانتشار الخط العربي وتطورة، واللغات التي كُتبت بالخط العربي، وأشهر آنواع هذا الخط وأشهر أعلامة. وفي الباب الثاني، وعبر ستة فصول، يُغطي المؤلف موضوعة الاساسي « المخطوط العربي » فيعرفة ثم يتناول صناعة الكتاب العربي المخطوط، إملاءً وتاليفاً وترجمة، ويتناول مهنة الوراقة والوراقين، وملامح الكتاب العربي المخطوط، ثم المخطوطات العربية في العالم، ويختم هذا الباب بموضوع صيانة المخطوطات. ويعتبر الباب الثالث، مكملاً اساسياً لما قبلة. حيث تناول فية المؤلف فهرسة وتصنيف المخطوطات وهو موضوع لا زال يثير جدلاً بين المتخصصين، وتكتنفة صعوبات.. وقد استعرض المؤلف هذة الأختلافات والآراء مستعرضاً الأشكال المعروفة لفهارس المخطوطات، كما خصص فصلاً، للمصادر والمراجع، التى ينبغي توفرها في مكتبات المخطوطات وخصص فصلاً مهماً عن تحقيق الكتاب العربي المخطوط. اما الباب الرابع، فقد خصصه المؤلف لنماذج مختارة من لوحات الخط العربي. وقد اكتمل الكتاب بمصادره ومراجعة التي حرص المؤلف على أن يضيفها فى نهاية كل باب، فضلاً عن الثبت النهائي للمصادر والمراجع العامة فى نهاية الكتاب، وهو أمر منح لهذا الكتاب صفته العلمية المؤكدة، ومنحه صفة التأصيل فى موضوعه.

ردمك: ٦٠ - ٤٦٣ - ٢٤ - ٩٩٦٠

